القطعة من تفسير الكشاف

١٥٦

الجزء الخامس من كتاب الكشاف

من نسخة اجزا

والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله

تصنيف جار الله الامام العلامة القدوة

فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري

رضوان الله عليه ورحمته

[illegible] يستمد الدعاء [illegible]

وصلى الله على [illegible]

[illegible]

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطان الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع [illegible]

حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين

غفر لهما

[illegible]

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل
الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت
الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك
المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه
من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فان قلت فاين الكلام الدال
على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الاية قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون
وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم
امنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله
فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجي بالحسبان تقدر ان تقول تركهم
غير مفتونين لقولهم امنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة
تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدا قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر
وضربه للتاديب وقد كان التاديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما
مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان
ومجاهدة الاعدا وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع
المصائب في الانفس والاموال وبمصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب
الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون بذلك غير ممتحنين
بل يمسهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع
نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب فيه والمتمكن من العابد على
حرف كما قال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروي انها نزلت في ناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه
وكان يعذب في الله وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم

حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم
المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقتله فقال
رسول الله سيد الشهدا مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه
ابواه وامراته ولقد فتنا موصول باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن
من هو خير منه يعني ان اتباع الانبيا عليهم السلام قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما
هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا الاية وعن النبي
صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه
ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه
فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه فان قلت كيف
وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد
والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن
الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرا علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم
الناس من هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون
وزرقتها ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزا يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا
به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر
ذلك ويطمع فيه ونظيره وما انتم بمعجزين في الارض ولن نعجزه هربا
فان قلت اين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها
ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا
يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه
حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم يرجو لقاء الله مثل الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت
والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد

اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فإما أن يلقاه ببشرى وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد
ذلك لما سخطه منها فهذا معنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى
فيها الكرامة من الله والبشرى فإن أجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح
الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي
لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول
الهذلي في صفة عسال إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فإن قلت فإن أجل الله لآت كيف وقع
جوابا للشرط قلت إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك
الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل
واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس
يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فإنما يجاهد لنفسه لأن
منفعة ذلك راجعة إليها وإنما أمر الله عز وجل ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم إما
أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساؤوا في بعض أعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها
عنهم أي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون أي أحسن جزاء أعمالهم
وإما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بأن يسقط عقاب ما
تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام ووصى حكمه حكم أمر في معناه
وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه بيت الإصلاح
وذبيانية وصت بنيها بأن كذب القراطف والقروف كما لو قال أمرتهم بأن ينتهوا
ومنه قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك
وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ووصينا الإنسان بوالديه حسنا
وصيناه بإيتاء والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا أي فعلا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن
لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وفي حسنا وأحسانا ويجوز أن تجعل حسنا
من باب قولك زيدا بإضمار اضرب إذا رأيته متهيئا للضرب فتنصبه بإضمار أولهما أو افعل
بهما لأن التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفا ولا تطعهما

في الشرك إذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير إن وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقوف
وعلى التفسير الأول لا بد من إضمار القول معناه وقلنا إن جاهداك أيها الإنسان ما ليس لك
به علم أي لا علم لك بإلهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيئا لا يصح
أن يكون إلها ولا يستقيم وصاه بوالديه وأمره بالإحسان إليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما إذا
أراداه على ما ذكر على أن كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق ثم قال إلي مرجعكم أي مرجع من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان أحدهما
أن الجزاء إلي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك
في الدنيا كما أني لا أمنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات
والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد وروي أن سعد بن أبي وقاص الزهري حين أسلم قالت
أمه وهي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس يا سعد بلغني أنك صبأت فوالله لا
يظلني سقف بيت من الضح والريح وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها إليها
فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه
فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الأحقاف فأمره رسول الله أن يداريها ويترضاها
بالإحسان وروي أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب
مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخرمة
امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له إن من دين محمد صلة الأرحام وبر
الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي أشد حبا لك منا
فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك
عندي مالي نصفه فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال عمر أما إذ عصيتني فخذ
ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فإن رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل
إن ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه فشداه وثاقا
وجلداه كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به إلى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن
دين محمد فنزلت في الصالحين في جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى أنبياء الله

قال الله تعالى حكاية عن سليمان وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في إبراهيم وإنه
في الآخرة لمن الصالحين أو في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا مسهم أذى من
الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين
عن الكفر أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا وإذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم
وقالوا إنا كنا معكم أي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم ما قدرنا أن نفتننا
فأعطونا نصيبنا من المغنم ثم أخبر سبحانه أنه أعلم بما في صدور العالمين من العالمين ومن
لقولك تبع اللام أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وأمروا
أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول **أن**
اتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا
يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فإن عسى كان ذلك فإنا نتحمل عنكم الإثم وترى في
المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض
العظائم افعل هذا وإثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة
وجهلتهم ومنه ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع إليه بعض أهل الحشو حوائجه فلما قضاها
قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو
بن عبيد إياك وهؤلاء فإنهم قطاع الطريق في المأمن فإن قلت كيف سماهم كاذبين
وإنما ضمنوا شيئا علم الله أنهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء
به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لأنه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر
عن الشيء لا على ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم إلى أن
يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما
عليه المخبر عنه ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين
الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن أثقالهم أي أثقال أنفسهم يعني أثقالا
أخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا أسبابا في ضلالهم وليسألن

لفظ السبع ورسوله / وأما الآية فهي والرسول / في سورة النساء

سؤال تقريع عما كانوا يفترون أي يختلقون من الأكاذيب والأباطيل وقرئ من
خطيئاتهم كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة
وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة فإن قلت
هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ
بالفائدة وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده
من طول المصابرة تسلية لرسول الله وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه
أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره فإن قلت فلم جاء المميز أولا بالسنة
وثانيا بالعام قلت لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة إلا إذا
وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك والطوفان ما
أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال العجاج وغم طوفان الظلام
الأثأبا **وأصحاب السفينة** كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم
أولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن إسحاق كانوا عشرة خمسة رجال و خمس نسوة
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة والضمير في وجعلناها
للسفينة أو للحادثة والقصة نصب إبراهيم بإضمار اذكر وأبدل عنه إذ بدل الاشتمال لأن
الأحيان تشتمل على ما فيها أو هو معطوف على نوحا أو إذ ظرف لأرسلنا يعني أرسلناه حين
بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لأن يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم
بالعبادة والتقوى وقرأ إبراهيم النخعي وأبو حنيفة وإبراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين
إبراهيم **إن كنتم تعلمون** يعني إن كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم أو إن نظرتم
بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم وقرئ تخلقون من خلق
بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ أفكا وفيه وجهان
أن يكون مصدرا نحو كذب ولعب والإفك مخففا منه كالكذب واللعب من أصلهما وأن يكون
صفة على فعل أي خلقا إفكا أي ذا إفك وباطل واختلاقهم الإفك تسميتهم الأوثان
آلهة وشركاء لله وشفعاء إليه أو سمى الأصنام إفكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للإفك

صلى الله عليه وسلم

وإبراهيم ع

فان قلت لم نكر الرزق ثم عرّفه قلت لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من
الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره اليه ترجعون
وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وان تكذبوا فلا
تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم
حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ
المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما
بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان
يصدق ولا يكذب والآيات اعني هذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة
ان تكون من جملة قول ابرهيم صلوات الله عليه لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة
في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين اول قصة ابرهيم وآخرها
فان قلت اذا كانت من قول ابرهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث وادريس
ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف
سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم
على التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض قلت هو حكاية كلام
الله حكاه ابرهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه كلام الله على هذا
المنهاج في اكثر القرآن فان قلت فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها في
قصة ابرهيم والجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه
الا ترى انك لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله قلت ايراد قصة ابرهيم
ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله وان تكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه
ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان
فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب
ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله امة
ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من
ذيولها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده

نخ الرازق

عز وجل صح

طرفي

اي مبتلا

صلى الله عليه وسلم

سائر من السؤر وهو البقية ولسائر جمع

وصفه من قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه وقرئ تروا بالتاء والياء ويبدئ و
بدأ وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار
على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله فانظروا كيف بدأ الخلق
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه
على من اخلفه فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو قلت
هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك قوله واستخلفه معطوف
على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا وذلك يرجع الى ما يرجع اليه في قوله وهو اهون عليه
من معنى يعيد دل بقوله النشأة الآخرة على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما
انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء
بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة
فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد
اضماره في قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ
النشأة الآخرة قلت الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب
فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله
الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم
ذاك الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة على هذا
المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ يعذب من يشاء بعدله ويرحم من يشاء برحمته ومتعلق
المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبها من الكافر والفاسق اذا لم
يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون وما انتم بمعجزين ربكم
اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها
وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فا
نفذوا او قيل ولا من في السماء كما قال حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه
وينصره سواء ويحتمل ان يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها

في انشا مثله

اي من يمدحه

او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السما كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون
امره الجاري في السما والارض ان يجري عليكم ويصيبكم بلا يظهر من الارض او ينزل من السما والذين كفروا بايات
الله من دلائل الله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيد اي
ييأسون يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم
لان المومن انما يكون راجيا خاشيا واما الكافر فلا يخطر بباله رجا ولا خوف او شبه حالهم
في انتفا الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه
فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمومن
ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه فان صفة المومن ان يكون
راجيا لله خائفا فما كان جواب قومه بالنصب والرفع قالوا اي قال بعضهم لبعض او قاله
واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع
ذلك اليوم بالنار يعني يوم القي ابرهيم في النار وذلك لذهاب حرها وقرئ على النصب
بغير اضافة وما اضافه وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اي لتتوادوا
بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وايتلافكم كما يتفق الناس على
مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله من اتخذ الهه
هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم
بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله
وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى
ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم
مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
اوثانا انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم
يوم القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي فيلاعن العبدة ويلاعن العبدة
والاصنام كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدا فامن له لوط ابن اخت ابرهيم صلوات الله عليه وهو اول
من امن له حين راى النار لم تحرقه وقال يعني ابرهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد

الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان
معه في هجرته لوط وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني
بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا بما هو مصلحتي اجره
الثنا الحسن والصلاة عليه اخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه
فان قلت ما بال اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت
قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية والزبور
والانجيل والفرقان ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة
البالغة في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة لفاحشة تلك
الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في
طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز
ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد
وجدته في الامام بحرف واحد بغير يا ورايت الثاني بحرفين اليا والنون وتقطعون السبيل
عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة
وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس هو الخذف بالحصا
والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب
والفحش في المزاح وعن عائشة كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة
في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جا من خرق
جلباب الحيا فلا غيبة له ولا يقال للمجلس نادي الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا
ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا
ما هم عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها
فمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق
العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين

في دعائه بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب واضافة مهلكو اضافة
تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم كانوا
ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم الى حادث في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم
كفرهم والوان معاصيهم ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شأنه لانهم
لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال
اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف
من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن الا حوط المؤمن اينما كان فاجابوهم
بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم
الامتياز البين وانه لا يستاهل ما يستاهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرى
لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما
على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه
قيل كما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا
وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع
والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل
فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز
والقدرة الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب
من القلق والاضطراب وقرى منزلون مخففا ومشددا منها من القرية اية بينة هي
اثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل
الخبر عما صنع بهم لقوم يتعلق بتركنا او ببينة وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم
المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراطه كما تقول عنه من الايمان كما تقول
الكافر بالشرع عبادات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف والرجفة الزلزلة
الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم
او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا منصوب

سدوم بالدال غير المعجمة والمحدوب بالذال المعجمة

بانا اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم
ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم
بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء
متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا وكانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى
قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم
يفوتوه الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة
لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون الغرض تشبيه ما اتخذوه
متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو
نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فان قلت ما
معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون
ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه اخر وهو انه اذا صح تشبيه ما
اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن
الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان
اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك
الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا
باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك
اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون قرى يدعون
بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم
فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا
عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير كان الجهلة والسفهاء
من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما
يعقلها الا العالمون لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي
الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور

هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا
هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه بالحق أي بالغرض الصحيح
الذي هو حق لا باطل وهو أن تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم
قدرته ألا ترى إلى قوله إن في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والأرض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا الصلاة تكون لطفا في ترك المعاصي فكأنها
ناهية عنها فإن قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته قلت الصلاة التي هي الصلاة عند الله
المستحق بها الثواب أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين
ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني
والنار عن يساري وملك الموت من فوقي وأصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصليها
فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنه من لم تأمره
صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا وعن الحسن رحمه
الله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل
من كان مراعيا للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روي أنه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه وروي أن فتى من الأنصار
كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته
ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال إن المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر
ممن لا يراعيها وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي
أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول إن زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى
عن جميع المناكير وإنما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم
ولذكر الله أكبر يريد وللصلاة أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده
عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس ولذكر الله إياكم برحمته
أكبر من ذكركم إياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن
الثواب بالتي هي أحسن بالخصلة التي هي أحسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم

والسورة بالأناة كما قال ادفع بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم
يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل إلا الذين آذوا رسول الله وقيل
إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه لا تجادلوا الداخلين في الذمة
المؤدين للجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فإن أولئك مجادلتهم
بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة
أشد من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا من جنس المجادلة بالتي هي أحسن وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه
ورسله تحقيقا لقوله آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ومثل ذلك وكما أنزلنا الكتب التي من قبلك
أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء من أهل
مكة وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من أهل الكتاب ومن
هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلا المتوغلون في الكفر
المصممون عليه وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه وأنت أمي ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا
خطه إذن لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من أهل الكتاب وقالوا
الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه
بيده فإن قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين
محقين ولكان أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارئ كاتب
قلت سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم
به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو
أن سائر الأنبياء لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة
الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا به منه بموسى
وعيسى على أن المنزل ليس بمعجز وهذا المنزل معجز فإذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا
به وهو أمي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمي فإن قلت ما فائدة قوله بيمينك
قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا

الا ترى انك اذا تاملت في الاسباب لارتاب الامر تخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لانكار به ولكنه
وكذلك النفي بل القران ايات بينات في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القران
كون اياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر
الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة
صدورهم اناجيلهم وما يجحد بايات الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون وقالوا
لولا انزل عليه ايات اي ذوا هلا انزل عليه اية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى وعصى موسى انما الايات عند الله
ينزل ايتها كما يشاء ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير مبين كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من
الايات وليس لي التخير على الله اياته فاول دل على انه كذا اولم يكفهم كرامة علمي ان القرآن
من الاية نبوي الدالة والايات كلها حكمها واحد في ذلك بما يدل كل من يكفهم اية مغنية
عن سائر الكتب الايات او كانوا طالبين لكن عن متفقين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم
في كل مكان وزمان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها
ويكون في مكان دون مكان ان في هذه الاية الموجودة في كل مكان وزمان الى اخر الدهر
لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكل وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم يحقق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين
اتوا رسول الله بكتف قد كتبوا فيها بعض ما تقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى
بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت الاية
فما ذكرنا كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم
قابلتموني بالجحود والتكذيب يعلم ما في السماوات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم
بحقي وباطلكم والذين امنوا بالباطل منكم وهو ما يعبدون من دون الله وكفروا بالله
اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان
الا ان الكلام ورد على سبيل الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد
سيهلك ان كنت رسول الله فلتنزل علينا ويستعجلونك بالعذاب استهزاء منهم وتكذيبا والفصل

من الحين ذا هو الذي قال اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا
كسفا من السماء ولولا اجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجب الحكمة تاخيره الى الاجل
المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالاجل الاخرة لما روي ان الله عز وجل وعد رسوله الا
نعذب قومه ولا نستاصلهم وان نؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت
فنائهم بالحالهم محيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب او هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي
التي توجبها محيطة بهم او لانها مالهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم
ويوم يغشاهم على هذا متصل بمحذوف اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت من فوقهم
ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ويقول ويقرى بالنون
والياء ما كنتم تعملون اي جزاءه معنى الاية ان المومن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه
ولم يتمش له امر دينه كما يجب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر
عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب
الاولون فلم نجد فيما درنا وجدنا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتقلب واضم
للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني
في الجملة من سكنى حرم رسول الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب
ورزق من الصبر واوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض
الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هي في
المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك
لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فاياي فاعبدون في التكلم بجواباه
ضميره في الغائب اياه وفي الخاطب اياك والمتكلم اياي فاعبدوا فاعبدون فان
قلت ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان
ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط
وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص لما
امر بعبادة ما يحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد

وان ضاقت ارضه قوله كل نفس ذائقة الموت اى واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم
المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من
التزود لها والاستعداد بجهده لنبوئنهم من الجنة علالى وقرى لنثوينهم من الثوى وهو النزول
للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم
يجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف
اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف المؤقت
بالمبهم وقرى فنعم بزيادة الفاء نعم اجر العاملين الذين صبروا على مفارقة الاوطان والهجرة
لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى وعلى ربهم يتوكلوا
في جميع ذلك الا على الله لما امر رسول الله من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان
يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت وكاين من دابة والدابة
كل نفس دبت على وجه الارض عقلت ام لم تعقل لا تحمل رزقها لضعفها عن حمله الله يرزقها
واياكم اى لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم
مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من
الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس
شيء يخبا الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق
مخابي الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم الضمير في
سالتهم لاهل مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم
بانه خالق السموات والارض قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه فان قلت الذي رجع اليه الضمير
في قوله ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين
جميعا ان يريد ويقدر بعد البسط فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين
فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل
شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم استحمدهم رسول الله على ان ممن اقر بنحو ما اقروا
به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار

للمشركين وعلى انهم اقروا وانما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة
للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة
التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم هذه
فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة يريد ما
هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون
وان الدار الاخرة لهي الحيوان اى ليس فيها الا حياة دائمة مستمرة خالدة لا موت فيها فكانها في
ذاتها حياة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا
حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حياة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من
الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة
والاضطراب كالنزوان والنغضان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما
ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت
على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا
عليها فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح
من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا
الله ولا يدعون معه الها اخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر
وآمنوا عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة ان تكون لام كي وكذلك في
وليتمتعوا فيمن قراها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكفروا بنعمة النجاة وقاصدين
التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم
الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة
لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرا وليتمتعوا بالسكون تشهد
له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يامر الله
تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز

عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر مستثنى طالى غايته ومثاله ان ترى الرجل
قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله
عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشأنك وافعل ما
شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة متحسر
ولكنك كانك تقول له فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت
وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك كانت العرب حول مكة
يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا
يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة ووبخهم بانهم يؤمنون
بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها
الا الله وحده مكفورة عندهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان جعل له شريكا وكذب
بما جاءهم من الحق بكفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم
يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في
الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى ان يصح لهم صدقه
او كذبه أليس يقرر لثوائهم في جهنم كقوله ألستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو
كان ناسيها اما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار
دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فيها وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا
يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب
والثاني ألم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترأوا مثل هذه الجرأة
اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة
بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا
لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن
سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل
بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم

مع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية
الا قوله فسبحان الله وهي ستون او تسع وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم
العداة المشهورة الكسيرة غلبتهم (الروم) الفرس وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض
المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام
او ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد
هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ في اداني
الارض والبضع ما بين الثلاث الى العشر وعن الاصمعي قيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات
وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله والمسلمين لان فارس
مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى
اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم
فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على
فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فضيل اجعل بيننا اجلا اناحبك
عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل
ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده
في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح
رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين
وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى
رسول الله فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة
وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون
اللام والغلب والغلبة مصدران كالجلب والجلبة والحلب والحلبة وقرئ غلبت الروم
بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في
بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم

بخلاف القراءتين فهي في احديهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته المصدر
الى الفاعل وحينئذ فهو كقوله محرم عليكم اخراجهم ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت
المناحبة وانما هي قمار قلت عن قتادة رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب
ابي حنيفة رحمه الله ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين
المسلمين والكفار وقد احتجا على صحته بذلك كما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن
خلف من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل
من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم
غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام
نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه
كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم على فارس ويحل ما
وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له
وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا
به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى
تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم
ينصر عليكم تارة وينصر لكم اخرى وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك علي الف درهم
عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعدهم
الله عز وجل لانهم غفلة في امور الآخرة وفي امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات
ومكاسب عن الحسن بلغ من حذق احدهم انه ياخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردي
هو ام جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله
منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذي
هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد
ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها

وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير
الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدا وغافلون
خبره والجملة خبر هم الاولى وان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى واية كانت فذكرها
مناد على انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع في
انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة
من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك
اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال
فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول
وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها
باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة
بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب
والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف
سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر
واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك
عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به فان قلت اذا جعلت في
انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من
غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فتدبروا ما اودعها
الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء
الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى
يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها
من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى اولم يسيروا تقرير لسيرهم
في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم
اخذ يصف لهم احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال

قال الله تعالى لا ذلول تثير الأرض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لإثارته الأرض
وبقرة لأنها تبقرها أي تشقها وعمروها يعني أولئك المدمرون أكثر مما عمروها هؤلاء من
عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل واد غير ذي زرع ما لهم إثارة الأرض أصلا ولا عمارة لها
رأسا فما هو إلا تهكم بهم وتضعيف حال لهم في دنياهم لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون
به أمر الدهقنة وهم أيضا ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أي من عاد وثمود
وأضرابهم من أهل القبيل كقوله أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وإن كان
هذا أبلغ لأنه خالق القوى والقدر فما كان تدميره إياهم ظلما لهم لأن حاله منافية
للظلم ولكن ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم قرئ عاقبة بالنصب والرفع
والسوأى تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن والمعنى أنهم عوقبوا في
الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر أي العقوبة
التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي جهنم التي أعدت للكافرين وأن كذبوا بمعنى لأن كذبوا
ويجوز أن تكون أن بمعنى أي لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى
القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر أن تكون أساءوا السوأى بمعنى اقترفوا
الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف
جواب لما ولو إرادة الإبهام ثم إليه ترجعون أي إلى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والتاء
الإبلاس أن يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس ويئس من أن يحتج
ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته من
شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين أي يكفرون
بإلهيتهم ويجحدونها أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعوا في المصحف
بواو قبل الألف كما كتب علموا بني إسرائيل وكذلك كتب السوأى بألف قبل الياء
إثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين
لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هؤلاء في عليين وهؤلاء
في أسفل السافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها في روضة في بستان وهي الجنة

والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفي أمثالهم أحسن
من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره إذا سره سرورا
تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار
فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش
التيجان على رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة
وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال
نعم يا أعرابي إن في الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم
تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت أبا الدرداء بم
يتغنين قال بالتسبيح وروي أن في الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل
الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس
بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله
وما هم بخارجين لا يفتر عنهم لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد
وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه
بالخير في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل لابن
عباس هل تجد ذكر الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلاتا
المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة
الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد في السماوات والأرض
اعتراض بينهما ومعناه أن على المميزين كلهم من أهل السماوات والأرض أن يحمدوه
فإن قلت لم ذهب الحسن رحمه الله إلى أن الآية مدنية قلت لأنه كان يقول فرضت
الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول
الأكثر أن الخمس إنما فرضت بمكة وعن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلاة ركعتين
فلما قدم رسول الله المدينة أقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وعن النبي عليه السلام
من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون

العلوم صح

الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله
وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته
وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه يخرج الحي من الميت الطائر من البيضة والميت من الحي
البيضة من الطائر وإحياء الأرض إخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الإخراج
تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى أن الإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو
قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من الحي وإخراج الحي من الميت وإحياء الميت وإماتة
الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء خلقكم من تراب لأنه خلق أصلهم منه وإذا
للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الأرض كقوله وبث منهما
رجالا كثيرا ونساء من أنفسكم أزواجا لأن حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن
من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من
جنس واحد من الإلف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التواد
والتراحم بعصمة الزواج بعد أن لم يكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف
من قرابة أو رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا
وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال [illegible] الله إذا [illegible] الله كقوله أطيعوا الله وأطيعوا
الله ومنه السكنى وهو الإلف المسكون إليه فعل بمعنى مفعول ويقال إن المودة والرحمة
من قبل الله وإن الفرك من قبل الشيطان الألسنة اللغات أو أجناس النطق وأشكاله
المختلفة صح
المختلفة خالف عز وعلا بين هذه الأشياء لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد
ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك
من صفات النطق وأحواله وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنوعها ولاختلاف
ذلك وقع التعارف وإلا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل
والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية فيعروك
الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدا

عز وجل صح

من أب واحد وفرعوا من أصل واحد وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفين متفاوتين
وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها إلا العالمون هذا من
باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إلا أنه فصل بين
القرينين الأولين بالقرينين الآخرين لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة
اللف على الاتحاد ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الأول
لتكرره في القرآن وأسد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية في يريكم
وجهان إضمار أن وإنزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي
خير من أن تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت ألهو إلى الإصباح آثر ذي أثير خوفا
من الصاعقة أو من الإخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر
وهما منصوبان على المفعول له فإن قلت من حق المفعول له أن يكون فعلا لفاعل الفعل
المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن المفعولين فاعلون
في المعنى لأنهم راءون فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني أن يكون على
تقدير حذف المضاف أي إرادة خوف وإرادة طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه
ويجوز أن يكونا حالين أي خائفين وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد ومن آياته أن تقوم
السماء والأرض بأمره واستمساكهما بغير عمد بأمره أي بقوله كونا قائمتين والمراد بإقامته
لهما إرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله إذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم البرق
في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والأرض ثم
خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة
وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل
دعوت كليبا دعوة فكأنما دعوت به ابن الطود أو هو أسرع يريد بابن الطود الصدى أو الحجر
إذا تدهدى وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك
الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين
إلا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون [illegible]

من مكانك كذا كما يجوز أن يكون مكانك مكان صاحبك تقول دعوت
زيداً من أعلى الجبل فنزل علي ودعوته من أسفل الوادي فطلع إلي فإن قلت بم تعلق من الأرض
أبالفعل أم بالمصدر قلت هيهات إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل فإن قلت ما الفرق بين إذا وإذا
قلت الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم
التاء وفتحها **قانتون** منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه **وهو أهون عليه** فيما
يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل
عليه وأهون من إنشائها وتعتذرون للصانع إذا أخطأ في بعض ما ينشئه بقولكم أول الغزو أخرق
وتسمون الماهر في صناعته معاوداً تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه
فإن قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو أهون عليه والمراد به الإعادة قلت معناه وأن يعيده أهون
عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص في قوله وهو أهون عليه
كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير
المعنى فإن قلت ما بال الإعادة استعظمت في قوله ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السماوات
والأرض بأمره ثم هونت بعد ذلك قلت الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء
وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على الخلق من الإنشاء لأن تكوينه في حد الاستحكام
والتمام أهون عليه وأقل تعباً وكداً من أن يتنقل في أحوال ويتدرج فيها إلى أن يبلغ ذلك
الحد وقيل الأهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه
الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لأنها لجزاء
الأعمال وجزاؤها واجب والأفعال إما محال والمحال ممتنع أصلاً خارج عن المقدور وإما ما
يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لأن الصارف يمنع وجود
الفعل كما تمنعه الإحالة وإما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله
وإما واجب لا بد من فعله ولا سبيل إلى الإخلال به فكان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع
وأقربها من الحصول فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب كانت أبعد الأفعال من الامتناع
وإذا كانت أبعدها من الامتناع كانت أدخلها في التأتي والتسهل فكانت أهون منها

وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء **وله المثل الأعلى** أي الوصف الأعلى الذي ليس
لغيره مثله قد عرف به ووصف في السماوات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل
وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه
قوله وهو العزيز الحكيم أي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا
حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الأعلى قول لا إله إلا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذي
هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلاً من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل
الأعلى في السماوات والأرض أي قوله وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلاً فيما يصعب ويسهل
يريد التفسير الأول فإن قلت أي فرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله من أنفسكم
مما ملكت أيمانكم من شركاء قلت الأولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء
منكم وهي أنفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري
مجرى النفي ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد
أن يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير
تفصلة بين حر وعبد تخافون أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما
يخاف بعضكم بعضاً من الأحرار فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب
ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك أي مثل هذا التفصيل
نفصل الآيات أي نبينها لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل
لها ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة **الذين ظلموا** أي أشركوا كقوله تعالى
إن الشرك لظلم عظيم بغير علم أي اتبعوا أهواءهم جاهلين لأن العالم إذا ركب هواه ربما ردعه
علمه وكفه وأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء من أضل الله من خذله
ولم يلطف به لعلمه أنه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين
دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان **فأقم وجهك للدين** فقوم وجهك له وعدله غير
ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه
بأسبابه فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه

مصلاته عليه حنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله الزموا فطرة الله او عليكم
فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا
وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى
قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه
ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا
عليه دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه السلام كل عبادي
خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله كل مولود
يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما
ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع
بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام
وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا
كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب
باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب
فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه الضر
الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا
مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم
وفي قراءة ابن مسعود وليتمتعوا السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا
وهذا مما نطق به القران ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم
وبصحته وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون موصولة
ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون
المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان
الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة

رضي الله عنه

فرحوا بها وان تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب شؤم معاصيهم
قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون
من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها
حتى يعيد اليهم رحمته حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما
من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الاية في وجوب النفقة
للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة بالقرابة
الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولادة بينهم فان قلت كيف تعلق
قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم
اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه
ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون ويتطلعون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان
ولكن الطريقة مختلفة هذه الاية في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات
سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربا من ربا ليربو في اموالهم ليزيد ويزكو في اموالهم
فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما اتيتم من زكاة اي صدقة تبتغون به وجهه
خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء وسمعة فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من
الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل
نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه
اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك
الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة
والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته او يهدي له اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من
هبته وقرئ وما اتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ
لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم
المضعفون التفات حسن كانه قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون

وجه الله بصدقة فانهم هم المضعفون وهو امدح لهم من ان يقل فانتم المضعفون والمعنى
المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما وجهة اخرى وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك
هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املا بالفائدة
الله مبتدأ وخبره الذي خلقكم اي الله هو الفاعل لهذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها
احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم اندادا له من الاصنام وغيرها من يفعل
شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد ما لهم من حال بشركائهم
ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو
الذي ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة
منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر نحو الجدب
والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة
المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا
اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على
شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرى في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس
بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس رضي الله عنه
ظهر الفساد في البر بقتل ابن ادم اخاه وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا
وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله رجع راجعون عن الضلال
والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى قوله
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله تعالى
قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان
يعاقبهم بجميعها في الاخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على
معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة
الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرى

٤٢

لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا
في الارض فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله
كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من
المعاصي يكون سببا لذلك القيم البليغ الاستقامة الذي لا ياتي فيه عوج من الله اما ان يتعلق
بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون ردها
او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد
يصدعون يتصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد
احاطت به كل مضرة فلانفسهم يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي
يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبو عليه وينغص عليه مرقده من نتوء
او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في
المشفق امك فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر
لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه
ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما تفضل عليهم بعد توفية الواجب من
الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع
له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير
الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن
الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس الرياح هي
الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله
عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها وانه ارسلها
للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح
الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض وان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات
زكت الارض واذا المراد العفن تصفير الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك

في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون موافقة فلا بد من ارسا
السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها **ولتبتغوا من فضله** يريد تجارة
البحر ولعلكم تشكرون نعمة الله فيها فان قلت بم تعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان
ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف
تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها فاختصر الطريق الى الغرض بان
ادرج تحت ذكر الارسال والنصر ذكر الغرض ثم حل الكلام او لا عن ذكرهما
وقوله وكان **حقا علينا نصر المومنين** تعظيم للمومنين ورفع من شانهم وتاهيل لسنية
واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم مستحقين عليه
ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدا علينا
نصر المومنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امري مسلم يرد عن عرض اخيه
الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المومنين
فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة **فترى الودق** يخرج من خلاله
في التارتين جميعا والمراد بالسما سمت السما وشقها كقوله وفرعها في السما وباصابة
العباد اصابة بلادهم واراضيهم من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان
عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول
وبعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك
فانظر الى اثار على الواحد **اثار** على الجمع وقرا ابو حيوة وغيره كيف تحيي اي الرحمة ان ذلك
يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو
على كل شي من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشا فراوه قرا
اثر رحمة الله اي رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرا بالجمع رجع الضمير
الى معناه ومعنى اثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر
سمي به ما ينبت ولين هي اللام الموطية للقسم دخلت على الشرط ولظلوا جواب القسم
سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز

وجل بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين
فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم
بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان
عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا
على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز ان
تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصير هشيما وقال مصفرا لان
تلك صفرة حادثة وقيل فراوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر وقري
بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراة لما روي ابن عمر قال قراتها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقراني من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله
خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان
ضعيفا اي ابتداناكم في اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشو حتى بلغتم وقت
الاحتلام والتشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل
حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطفة لقوله من ما مهين
وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل
واعدل شاهد على الصانع العليم القدير **الساعة** القيامة سميت بذلك لانها تقوم
في اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن
تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وارادوا لبثهم في الدنيا او في
القبور او فيما بين فنا الدنيا الى البعث وفي الحديث ما بين فنا الدنيا الى وقت البعث اربعون
قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع
عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارا لها او ينسون
او يكذبون ويحلفون **كذلك كانوا يوفكون** اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون
عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق ومثل ذلك
الافك كانوا يافكون في الاغترار بما تبين لهم الا انه ما كان الا ساعة العاقلون

هم الملئكة والانبيا والمؤمنون في كتاب الله في اللوح او في علم الله وقضائه او فيما كتبه اي اوجبه
بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث
بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه فان
قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط
يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد فقد جئنا خراسان
وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان
قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك لا ينفع قرئ بالياء والتاء يستعتبون من قولك استعتبني
فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقته اعتبته ازلت عتبه
الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم
غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم
بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت كيف جعلوا غير
مستعتبين في بعض الآيات وغير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم
فهم عاتبون على الجاني غير راضين عنه فان يستعتبوا الله اي يسألوه ازالة ما هم فيه
فما هم من المجابين الى ازالته ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا
عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما
يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم
ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم باية من آيات القرآن [illegible] بعد الحق
وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف
التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني
عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك
كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو
وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة
فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق

لا بد من انجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم
قوم ضالون شاكون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحق
ويعقوب ولا يستحقنك اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل
ملك يسبح الله بين السما والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمن مكية
وهي اربع وثلثون اية وقيل ثلث بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب
الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل
الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن
في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك
من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف للمحسنين الذين يعملون
الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايقان بالآخرة ونظيره قول
اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا حكي عن الاصمعي انه سئل
عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم
القائمين بهذه الثلث لفضل اعتداد بها اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو
الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك
وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغنا وتعلم الموسيقار وما اشبه
ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث
بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث
رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع
القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته
فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة والصيام
وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي عليه السلام لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا
اثمانهن وعنه ما من رجل يرفع صوته بالغنا الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا

الموسيقار بالراء المهملة بعد القاف علم على الادوات من آلات الغنا كالبربط والجنك والعيدان وهو الحارة لها والموسيقى علم الغنا ومعرفة النغم ومعرفة مخارج الحروف وهذه الالفاظ يونانية

المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل
الغناء مفسدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فإن قلت ما معنى إضافة اللهو إلى
الحديث قلت معناها التبيين وهي الإضافة بمعنى من وأن يضاف الشيء إلى ما هو منه كقولك
ثوب خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره
فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل
الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من التبعيضية
كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري إما من
الشرى على ما روي عن النضر من شراء كتب الأعاجم أو من شراء القيان وإما من قوله اشتروا
الكفر بالإيمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه
يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الإسلام
أو القرآن فإن قلت القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس
عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه
معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فإن
المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل
موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فإن
قلت ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة
وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين أي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ **ويتخذها**
بالنصب والرفع عطفا على يشتري وليضل والضمير للسبيل لأنها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون
عن سبيل الله من آمن به تبغونها عوجا **ولى مستكبرا** زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها
رأسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في أذنيه وقرا أي
ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فإن قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكأن
قلت الأولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز أن يكونا استئنافين

والأصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن وعد الله حقا مصدران مؤكدان
الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله
جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد
ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم **وهو العزيز الحكيم** الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه
يقدر على الشيء وضده يعطي النعيم من يشاء والبؤس من يشاء وهو الحكيم لا يشاء إلا ما توجبه
الحكمة والعدل **ترونها** الضمير فيه للسماوات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على
قوله بغير عمد يعني أنه عمدها بعمد لا ترى وهي إمساكها بقدرته هذا إشارة إلى ما
ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق **والذين من دونه** آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء
العظيمة مما خلقه الله وأنشأه **فأروني** ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة
ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال هو لقمان بن
باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك
داود وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له
فقال ألا أكتفي إذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني إسرائيل وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما
ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنه لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود
فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال
عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان
أسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا أسود غليظ الشفتين متشقق
القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة
وعنه أنه قال لرجل ينظر إليه إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام
رقيق وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض وروي أن رجلا وقف عليه في مجلسه فقال ألست
الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني
وروي أنه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله
فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكم

ودليله فاعله فقال له داود نحو ما سمعت كما روي ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها
اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين
فاخرج اللسان والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما
فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلثة
من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمن ان هي المفسرة لان ايتا الحكمة في معنى القول
وقد نبه الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله
والشكر له حيث فسر ايتا الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج
الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي
اشكم وقيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان
التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه
عظمه اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على
بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف
لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك
عن ابي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا
ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام
كقوله ما يدعون من دونه من شيء معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا
بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروة واتبع سبيل
من اناب الي يريد واتبع سبيل المومنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا
بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما
على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من
مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما
وحالهما في الاخرة وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة انها مكثت
ثلثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروي انه قال لو كانت لها سبعون

بعينها نحو حبطا اردنا في الكشف فان قلت هذا الكلام كيف وقع في اثنا وصية
لقمن قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمن من
النهي عن الشرك فان قلت فقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف
اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق
والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا
بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر امك
ترضعني الدرة والعلالة والا يجازي والد فعاله فان قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين
قلت المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول
الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله عز وعلا
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد
الشافعي رحمه الله على ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما
وهو مذهب ابي يوسف ومحمد واما عند ابي حنيفة رحمه الله فمدة الرضاع ثلثون شهرا
وعن ابي حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن
رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع
محرم وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة
او الاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في اخفى
موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي
يات بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل
خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرا بالرفع
كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة
من الدم وروي ان ابن لقمن قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها
الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشيا في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها
في الما وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وقرئ

ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه احمل امي وهي الحمالة

تشرب ... في الدرة ... عنه

فتكون بكسر الكاف من مكر الطائر بكرا اذا اسفر في وكنته وهي مقره ليلا **واصبر على ما اصابك** يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر **ان ذلك** مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الاية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مامورا بها في سائر الامم وان الصلاة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها **تصاعر** وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد **ولا تمش** تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد ولا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس **والمختال** مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا **واقصد في مشيك** واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول

عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ **واقصد** بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية **واغضض من صوتك** اي انقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه **انكر** الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله تعالى بمكان فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده **ما في السماوات** الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى **واسبغ** قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته فان قلت لم كان خلق العالم مقصودا به الانسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع الى الله من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور

قال فان قلت ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة

التالع المرشد

الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن ابن عباس الظاهرة الاسلام
والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة
المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة
القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى صلوات الله عليه الهي دلني
على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل
النار الاخذ بالانفاس معناه اتتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء
الشيطان اياهم الى العذاب وقرئ على من طالب عليه السلام ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك
وسلم امرك الى الله فان قلت ماله عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه
لله قلت معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه
مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه
والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال
من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين
مأمون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه وقرئ فلا يحزنك ويحزنك
من حزن واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه وحزنه والمعنى لا يهمنك
كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم
منه ومعاقبه على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم
زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه
باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام
الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم
بان الذي خلق السماوات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد
معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا الله
هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمد وقرئ والبحر بالنصب عطفا
على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما

الظاهرة ح

اتتبعونهم ح

رضي الله عنه ح

اهمه الامر اذا اقلقه وهمه المرض اذا اذابه صحاح

الثقل على وزن عنب ضد الخفة والثقل على [illegible] حمل [illegible] صحاح

وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في
حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجوز ان يحمل
هذا على الوجه الاول وقرئ يمده ويمده بالتاء والياء فان قلت كان مقتضى الكلام ان يقال
ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت اغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد
الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا
فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود
بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت
الاقلام والمداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس
فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقوله وقد اغتدي والطير في وكناتها وجئت
والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان
يكون المعنى وبحرها والضمير للارض فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون
اسم الجنس الذي هو شجر قلت اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى
من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع
موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار
فكيف بكلمه وعن ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة
وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعني الوحي كلام سينفد
فاعلم الله ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة
وقيل هي مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله الست تتلو فيما
انزل عليك انا قد اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم
لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمته الا كنفس واحدة الا كخلقها
وبعثها اي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك انه
انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شأن

وكنات جمع وكنة [illegible]

[illegible]

عن شأنٍ وفعلٌ عن فعلٍ وهو تعالى عن ذلك إن الله سميع بصير يسمع كل صوتٍ
ويبصر كل مبصَرٍ في حالةٍ واحدةٍ لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعضٍ فكذلك
الخلق والبعث كل واحدٍ من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه إلى وقت معلوم
الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وعن الحسن الأجل المسمى يوم القيامة لأنه لا
ينقطع جريهما إلا حينئذٍ أيضاً بالليل والنهار يدوماً فينقصهما ويزيد بهما ونقصانهما
وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقديرٍ وحسابٍ وبإحاطته بجميع أعمال الخلق
على عظم قدرته وحكمته فإن قلت يجري لأجلٍ مسمى ويجري إلى أجلٍ مسمى أهو من تعاقب
الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين
أعني الانتهاء والاختصاص كل واحدٍ منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجري
إلى أجلٍ مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه وقولك يجري لأجلٍ مسمى تريد يجري لإدراك
أجلٍ مسمى تجعل الجري مختصاً بإدراك أجلٍ مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر
السنة وجري القمر بآخر الشهر وكلا المعنيين غير نابٍ به موضعه ذلك الذي
وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف
بالجماد الذي تدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته وأن
من دونه باطل الإلهية وأن الله هو العلي الشأن الكبير السلطان أو ذلك الذي أوحي
إليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن إلهاً غيره باطل وأن الله
هو العلي الكبير عن أن يشرك به وقرئ الفلك بضم اللام وكل فُعْلٍ يجوز فيه
فُعُل كما يجوز في كل فُعُلٍ فُعْل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين
وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة الله بإحسانه ورحمته
صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال إن في ذلك لآيات
لكل مؤمنٍ يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من
جبلٍ أو سحابٍ أو غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد
متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار والمقتصد

في الإخلاص الذي كان عليه في البحر يعني أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحدٍ
قط والمقتصد قليل نادر وما هو من قد بقي على ما عاهد عليه الله في البحر والختر أشد
الغدر ومنه قولهم إنك لا تمد لنا شبراً من غدرٍ إلا مددنا لك باعاً من ختر قال
وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدرٍ وختر لا يجزي لا يقضي عنه شيئاً ومنه قيل
للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة تجزي عنك ولا تجزي عن أحدٍ بعدك
وقرئ لا يُجزئ لا يُغني يقال أجزأت عنك مجزأ فلانٍ والمعنى لا يجزئ فيه فحذف
الغرور الشيطان وقيل الدنيا وما يغركم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير
الغرة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك
ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غروراً وجعل
الغرور غاراً كما قيل جد جده أو أريد زينة الدنيا لأنها غرور فإن قلت قوله ولا
مولود هو جازٍ عن والده شيئاً وارد على طريقٍ من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف
عليه قلت الأمر كذلك لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله
هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض
آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا
آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئاً فلذلك جيء به على الطريق الآكد
ومعنى التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم
تقبل شفاعته فضلاً أن يشفع لمن فوقه من أجداده لأن الولد يقع على الولد وولد
الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك وروي أن رجلاً من محارب وهو الحارث
بن عمرو بن حارثة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن
الساعة متى قيامها وإني قد ألقيت حباتي في الأرض وقد أبطأت عنا السماء فمتى
تمطر وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها أذكر أم أنثى وإني علمت ما عملت
أمس فما أعمل غداً وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم
مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب

أبلكم والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والسحر وأهله في النار وعن المنصور
أنه أهمته معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار
إليه بالأصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة أشهر
وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا
الله وإن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه إن الله عنده علم الساعة أي وقت قيامها وينزل الغيث
في إبانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوزه به **ويعلم ما في الأرحام** أذكر أم أنثى
أتام أم ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال وما تدري نفس بأي أرض تموت وربما
أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها وأقبر فيها فترمي بها مرامي القدر
حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروي أن ملك الموت مر على سليمان
فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال
كأنه يريدني وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك
الموت لسليمان كان دوام نظري إليه تعجبا منه لأني أمرت أن أقبض روحه بالهند
وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة
والمعنى أنها لا تعرف وإن أعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء أخص
بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان من معرفة ما
عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيث أي بتأنيث كل في قولهم كلتهن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطي
من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر **سورة السجدة**
مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم الم على أنها
اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وإن جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بأنه
خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره من رب
العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك
أي في كونه من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله أم يقولون افتراه لأن قولهم هذا مفترى

وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا

صح

لأن يكون من رب العالمين وإن ذلك ما لا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون
افتراه لأن أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة إنكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره
في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك
ونظيره أن يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحترازات كعرف
المتكلمين النظار أو الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعبر عن وجوبها مكلف ثم
يعترض عليه فيها بعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود
إلى تقرير كلامه وتمشيته فإن قلت كيف نفى أن يرتاب في أنه من الله وقد أثبت ما هو أطم
من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب فيه أن لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله لأن نافي
الريب وممبطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شيء من الريب وأما قولهم
افتراه فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهوره بالإعجاز له أو جاهل يقوله قبل التأمل
والنظر لأنه سمع الناس يقولونه **ما أتاهم من نذير** من قبلك كقوله ما أنذر آباؤهم
وذلك أن قريشا لم يبعث الله إليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فإن قلت فإذا لم يأتهم
نذير لم تقم عليهم حجة قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسل فلا
وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم
في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان أن يكون على الترجي من رسول الله كما كان
لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون وأن يستعار لفظ الترجي للإرادة فإن قلت ما معنى
قوله **ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع** قلت هو على معنيين أحدهما أنكم إذا جاوزتم رضاه
لم تجدوا لأنفسكم وليا أي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني أن الله وليكم
الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم أي ناصركم على سبيل المجاز لأن الشفيع ينصر المشفوع له
فهو كقوله وما لكم من دونه من ولي ولا نصير فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير الأمر
المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء إلى الأرض ثم لا يعمل
به ولا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه إلا في مدة متطاولة
لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الصالحة عده لأنه لا يوصف بالصعود

صلى الله عليه وسلم

عليهما السلام

الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السما
الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من
اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة اخرها
ثم يدبر ايضا ليوم اخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من
السما الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت
هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين
السما والارض مسيرة خمسماية سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف
سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السما الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم
يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير الى الله ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو
يوم القيمة وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البنا للمفعول وقرى يعدون بالتا واليا احسن كل
شي خلقه حسنه لانه ما من شي خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة
فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
وقيل علم كيف يخلقه من قولهم قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي
يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرى خلقه على البدل اي احسن خلق كل شي
وخلقه على الوصف اي كل شي خلقه فقد احسنه سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه
اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه كقوله
في احسن تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله
ويسالونك عن الروح الاية كانه قال ونفخ فيه من الشي الذي اختص هو به وبمعرفته
وقال ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرى ايذا وانا على
الاستفهام وتركه وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه
كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله وابو مضلوه بعين
جلية وقرا علي وابن عباس ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرا الحسن

صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صللنا من الصلة وهي الارض فان قلت
بم انتصب الظرف في ضللنا قلت بما دل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث او نجدد
خلقنا لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراه فلما ذكر كفرهم
بالانشا اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة
لا بالانشا وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك
مبعوثين للحساب والجزا وهذا معنى لقا الله على ما ذكرنا والتوفي استيفا النفس وهي الروح
قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها
شي من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان
والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقضيته واستقضيته اعوان من الملائكة
وملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها ولو ترى يجوز ان
يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال
وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت اليها والمتمني لرسول الله كما كان
الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع الغصص من عداوتهم وضرارهم فجعل الله
له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحيا والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون
لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت اسوا حال ترى ويجوز
ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اسا
اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما
للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر
لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم
ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق
رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة الى الدنيا اتينا كل نفس
هداها على طريق الالجا والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا
العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون البصرا الا ترى الى ما عقبه

وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء

من قوله **فذوقوا بما نسيتم** فحاصل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد من النسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها **انا نسيناكم** على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو الترك اي تركناكم من الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف فعله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء **وذوقوا العذاب المخلد** في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة اذا ذكروا بها اي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام **وسبحوا بحمد ربهم** ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا وسبحان ربنا **تتجافى** ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها **ما اخفي لهم** على البناء للمفعول ما اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من **قرة اعين** وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك

مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال **جزاء بما كانوا يعملون** فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت **كان مؤمنا كمن كان فاسقا** محمول على المعنى ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله **فاما الذين آمنوا** واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك **فلهم جنات المأوى** نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تأوي اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد **نزلا** عطاء بعملهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما **فماواهم النار** اي ملجأهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة ماواهم اي النار نعوذ بالله مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم **الادنى** عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر **والعذاب الاكبر** عذاب الآخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة **لعلهم يرجعون** اي يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فان قلت من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تعالى تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال العباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فان اراده قسرهم عليها حكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك

ان يمتاز عنه كطاعتك وهو لا يحاذيها لاختصاره لا يستعلى بعدد ذلك واذا المرسلين بعدد ربك لم تكن
نفذه ذا الاتباع عن كل دين في نزولها انه شخص من علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة اخي
عثمان لامه بينهما كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك
جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة
فقال له علي كرم الله وجهه اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولهما
وكل من في حالهما وعن الحسن بن علي انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في القرآن
في عشر آيات وسماك فاسقا ثم في قوله ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض
مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى
بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك
الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء
الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها
واستيقنها واطلع على شدتها فان قلت هلا قيل **انا منه منتقمون** قلت لما جعله
اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم
النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة **الكتاب** للجنس
والضمير في لقائه له ومعناه انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك
من الوحي فلا تك في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما
انزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى
القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا **وجعلناه** اي الكتاب
المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التوراة
من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك
هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة
الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسراء او يوم القيمة وقيل من
لقاء موسى الكتاب ولمستعد بما فيها ولذا تجعل **يفصل بينهم** يقضي فيميز المحق من المبطل

اما حمل الله التي اعنى اسرائيل خاصة
او من يلبسه لها الرضا والقبول وقيل كما صدروا
والحاصد ... عليهم وعرا ... واعلى الدنيا وملة

الواو في **اولم يهد** للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة
وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه **كم اهلكنا** لان كم لا يقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل
تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك
يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله لدلالة القراءة بالنون **القرون**
عاد وثمود وقوم لوط يمشون يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ
يمشون بالتشديد **الجرز** الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل
ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله **فنخرج به زرعا** وعن ابن عباس انها ارض
اليمن وعن مجاهد هي ابين به الماء ما كل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من
حبه وقرئ يأكل بالياء الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون
قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون **ان كنتم صادقين** في انه كائن ويوم الفتح يوم القيمة
وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد
والحسن يوم فتح مكة فان قلت قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على
سؤالهم قلت كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء
فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأني
بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم
تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان
وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم
ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق **وانتظر** النصرة
عليهم وهلاكهم **انهم منتظرون** الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا انا معكم
متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه ان هلاكهم وانهم
احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة
في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك

أعطي من الأجر كأنما أحيى ليلة القدر، وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان
بيته ثلاثة أيام. سورة الأحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
عن زر قال قال لي أبي بن كعب كم تعدون سورة الأحزاب قلت ثلثا وسبعين آية قال
فوالذي يحلف به أبي بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم
الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي
رحمه الله أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة
في بيت عائشة فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض. جعل نداءه بالنبي والرسول
في قوله يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي لم تحرم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وترك نداءه باسمه
كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وتنويها بفضله فإن
قلت إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد إلا رسول
قلت ذلك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت
من النداء والإخبار ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الأخبار كيف ذكره بنحو ما
ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم إن الله
وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي. اتق الله واثبت على ما أنت عليه
من التقوى وازدد منه وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره. ولا تطع الكافرين
والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فإنهم
أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون إلا المضارة ... على النفاق وكان يلين لهم جانبه ويكبر من
صغيرهم ويكبرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم. روي أن أبا سفيان
بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه
وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للرسول
الله ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول
الله وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع

الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك. وروي أن أهل مكة طلبوا
دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبة بن ربيعة
بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع فنزلت. إن الله كان عليما بالصواب من
الخطأ والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يأمر به إلا بداعي الحكمة. واتبع ما يوحى إليك
في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك إن الله الذي يوحي إليك خبير بما تعملون فموح
إليك ما يصلح به أعمالكم ولا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة. وقرئ يعملون بالياء أي بما يعمل
المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم. وتوكل على الله وأسند أمرك إلى الله وكله إلى
تدبيره وكفى بالله حافظا موكولا إليه كل الأمر. ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية
وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى أنه سبحانه كما لم ير في حكمته
أن يجعل للإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب
فأحدهما فضلة غير محتاج إليها وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي إلى اتصاف
الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير أيضا أن تكون
المرأة الواحدة أما لرجل وزوجا له لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة
مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان
وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لأن البنوة أصالة في النسب وعراقة فيه
والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل
وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب
في جاهليتها يغيرون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها
رسول الله وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله فأعتقه وكانوا يقولون
زيد بن محمد فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب وأذهنهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل
بن أسد الفهري وكان يقول لي قلبان أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروي أنه انهزم
يوم بدر فمر بأبي سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

هم ما هو بين مقبول وهائب فقال له ما لك أحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك فقال
ما ظننت إلا أنهما في رجلي فكيف أثبت الله قوله وقد فرقهم وصدقه مثلا في الظهار والتبني وعن الحسن
نزلت في أن الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وإدخال من الاستغراقية
على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه قال ما جعل الله لأمة من الرجال ولا لواحد
منهم قلبين البتة في جوفه فإن قلت أي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة
في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي
للمدلول عليه لأنه إذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان أسرع إلى الإنكار
قرئ **اللائي** بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة **وتظاهرون** من
ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون
من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى
ظاهر من امرأته قال لها أنت علي كظهر أمي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم إذا قال لبيك
وأفف الرجل إذا قال أف وأخوات لهن فإن قلت فما وجه تعديته وأخواته بمن قلت كان
الظهار طلاقا عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة
فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها
حاذر منها وظهر منها وحنث في طهر منها خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد
منها عدي بمن وإلا فآلى في أصله الذي هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه فإن قلت ما معنى
قولهم أنت علي كظهر أمي قلت أرادوا أن يقولوا أنت علي حرام كبطن أمي فكنوا عن البطن
بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وإنما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر
لأنه عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره ووجه
آخر وهو أن إتيان المرأة وظهرها إلى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان أهل
المدينة يقولون إذا أتيت المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول فلقصد المطلق منهم
إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه فلم
يترك فإن قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على أفعلاء وبابه

ما كان منه بمعنى فاعل كتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت
إن شذوذه عن القياس كشذوذ قتلى وأسرى والطرقي في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم
النسب هو قولكم بأفواهكم هذا ابني لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا
والله عز وجل لا يقول إلا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي إلا سبيل الحق ثم قال ما هو
الحق وهدى إلى ما هو سبيل الحق وهو قوله **ادعوهم** لآبائهم وبين أن دعاءهم لآبائهم
هو أدخل الأمرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة
ما لا يغبى على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل
في الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من
أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان بن فلان فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم
إليهم فهم إخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي
يريد الأخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما أخطأتم ويجوز أن يكون
مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى
لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الإثم فيما
تعمدتموه بعد النهي أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان
ولكن إذا قلتموه متعمدين ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله
عليه السلام ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد وقوله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان
وما أكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده فإن قلت فإذا وجد التبني فما حكمه
قلت إذا كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وإن كان
عبدا له عتق مع ثبوت النسب وإن كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق
عند أبي حنيفة رحمه الله وعند صاحبيه لا يعتق وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وإن
كان عبدا أعتق **وكان الله غفورا رحيما** لعفوه عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العامد
النبي أولى بالمؤمنين في كل شيء من أمور الدين والدنيا من أنفسهم ولهذا أطلق ولم يقيد
فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها آثر لديهم من
وحقه

إثم

حقوقها وشفقتهم عليها ادهم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداه اذا
اعضل خطب ووقاه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما يصرفهم
عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله وصرفهم عنه لان كل ما دعاهم اليه فهو
ارشاد لهم الى سبيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا
يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف
عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا
انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك
مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي هو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة
لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام
وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا وهن فيما وراء ذلك اجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء
تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على
ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن ولذلك لم يثبت لهن سائر احكام الامهات كان
المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت
تتالف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل
التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية
المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان
يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان
يكون لابتداء الغاية اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في
الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة فان قلت مم استثني ان تفعلوا قلت من اعم العام
في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق منه
في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل

صلى الله عليه وسلم

تبذلوا خ

المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدي بالى لانه في معنى تسدوا وتزلفوا والمراد
بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعا
وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذكر
حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا
ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى وانما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة عند تواقف
الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم
وشهادتهم وكانوا مؤمنين او ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت
كان صادقا في قوله او ليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتاويل مسألة الرسل تبكيت الكفرة
بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قلت لم قدم رسول الله على
نوح فمن بعده في هذا العطف قلت هذا العطف لبيان تفضيله الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله
عليه وسلم افضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه
فان قلت فقد قدم عليه نوح في الآية التي هي اخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره قلت مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة
تلك وذلك ان الله عز وجل انما اورد هذا الوصف في الاسلام بالاصالة والاستقامة فكانه
قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء
في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير فان قلت فماذا اراد بالميثاق
الغليظ قلت اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا
والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق
الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فان قلت علام عطف قوله واعد للكافرين
قلت على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين
واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب المؤمنين
واعد للكافرين اذكروا نعمة الله عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم

صلى الله عليه وسلم

عليه السلام

جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم
صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد
وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف
في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد
فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم
ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة آلاف من
المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام
واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان
محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في
عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف
ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم
اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي
بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر اذ جاؤوكم بدل من اذ جاءتكم **من فوقكم** من اعلى الوادي من
قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا
وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا **واذ زاغت الابصار** مالت عن سننها ومستوى
نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع
الحناجر راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا
انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها
الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب
القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة **وتظنون بالله الظنونا** خطاب
للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف
والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن [illegible] الاولون

من الخصر الذي هو البرد

واحد لا يقدر

بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي
عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن
المؤمنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وزيادة
الف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا
وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له
مجرى الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالالف وعن ابي عمرو اشمام الزاي زلزلوا
وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج الاعذرا فقال معتب
بن قشير حين راى الاحزاب يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا
ما هذا الا وعد غرور **طائفة منهم** هم اوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي
عبد الله بن ابي واصحابه ويثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها **لا مقام**
لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه او تقيمون فيه فارجعوا
الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا
محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان **عورة** قرئ بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل
والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو
والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو
ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه
فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار **ولو دخلت عليهم** المدينة وقيل
بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه
العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها
واثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة
الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لأتوها لجاؤوها وفعلوها وقرئ
لآتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما ألبثوا اعطاءها **الا يسيرا** ريثما يكون السؤال والجواب
من غير توقف او ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى

أنهم يتعللون بأن عورة بيوتهم في بيتهم أن يفروا عن نصرة رسول الله والمؤمنين وعن
مصافة الأحزاب الذين ملأوهم هولا ورعبا وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم
وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعللوا
بشيء وما ذاك إلا لمقتهم الإسلام وشدة بغضهم لأهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه
عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه
أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن
إسحق عاهدوا يوم أحد أن لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل **مسؤولا** مطلوبا مقتضى حتى
يوفى به لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل وإن نفعكم الفرار
مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا زمانا قليلا وعن بعض المروانية أنه مر
بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب فإن قلت كيف جعلت الرحمة
قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء قلت معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة
فاختصر الكلام وأجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة
من معنى المنع **المعوقين** المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون كانوا يقولون لإخوانهم
من ساكني المدينة من أنصار رسول الله ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما
لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم وهلموا إلينا أي قربوا أنفسكم إلينا وهي لغة أهل الحجاز
يسوون فيه بين الجماعة والواحد وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال
وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم إلا قليلا إلا إتيانا
قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون
إلا شيئا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله ما قاتلوا إلا قليلا **أشحة عليكم** في وقت الحرب
أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف
ينظرون إليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا
وخورا ولواذا بك فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا
ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم إلى الخير والمال والغنيمة ونسوا تلك

الحالة الأولى واجترءوا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فإنا
قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب أشحة
على الحال أو على الذم وقرئ أشحة بالرفع **وصلقوكم** بالصاد فإن قلت هل يثبت للمنا
فق عمل حتى يرد عليه الإحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان
إيمان وإن لم يواطئه القلب وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدي عليه فبين أن إيمانه ليس
بإيمان وأن كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على إتقان المكلف أساس أمره وهو
الإيمان الصحيح وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس وأنها مما
تذهب عند الله هباء منثورا فإن قلت ما معنى قوله **وكان ذلك على الله يسيرا** وكل
شيء عليه يسير قلت معناه أن أعمالهم حقيقة بالإحباط تدعو إليه الدواعي ولا يصرف عنه
صارف **يحسبون الأحزاب** لم ينهزموا وقد انهزموا وكان سعيه عليه تيسير فانصرفوا
عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط
وإن يأت الأحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة أنهم خارجون إلى البدو
حاصلون بين الأعراب يسألون كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى
عليكم **ولو كانوا فيكم** ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا إلا تعلة رياء وسمعة
وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الإقليد بدا بوزن عدى
ويتساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون
الأعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه كان عليكم أن تؤاسوا رسول الله بأنفسكم
فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى
الحرب حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه فإن قلت فما حقيقة قوله
قوله **لقد كان لكم** في رسول الله أسوة حسنة وقرئ أسوة بالضم قلت فيه
وجهان أحدهما أنه في نفسه أسوة حسنة أي قدوة وهو المؤتسى به أي المقتدى
به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد
والثاني أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان

يرجوا الله من اسره لكم كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم يرجوا الله واليوم
الاخر من قولك رجوت زيدا وفضله اى فضل زيدا او يرجوا ايام الله واليوم الاخر
خصوصا والرجى بمعنا الامل او الخوف وذكر الله كثيرا قرن الرجا بالطاعات
الكثيره والتوجه على الاعمال الصالحه والمؤتسي برسول الله من كان كذلك وعدهم
الله ان يزلزلوا حتى يستعينوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جا الاحزاب وشخص بهم واضطربوا وارعبوا
الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن
ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اى
في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشاره الى الخطب
او البلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضايائه واقداره نذر رجال من الصحابه
انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمن بن عفان
وطلحه بن عبد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزه ومصعب بن عمير وغيرهم
رضي الله عنهم اجمعين
فمنهم من قضى نحبه يعني حمزه ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمن وطلحه وفي الكريب ص
قلت
احب ان انظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحه فانه بعد ما قضى النحب
وقع عبارة عن الموت لان كل حي لابد له من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات
فقد قضى نحبه اى نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاة
بنذره من الثبات مع رسول الله صلعم قلت فما حقيقه قوله صدقوا ما عاهدوا
الله عليه قلت يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما
المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا
يخلو اما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزله السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد
عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون
به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد
ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهاده ولقد ثبت طلحه مع رسول الله يوم

احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض
بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقين كانهم قصدوا عاقبه
السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبه الصدق بوفائهم لان كلا
الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها
ويعذبهم ان شا اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا الاحزاب
بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل
او تعاقب ويجوز ان تكون الثانيه بيانا للاولى او استينافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح
والملئكه وانزل الذين ظاهروهم الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من
حصونهم والصيصيه ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصيه ولشوكه
الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها روى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صبيحه الليله التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينه ووضعوا
سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل
قال من متابعه قريش فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال
يا رسول الله ان الملئكه لم تضع السلاح ان الله يامرك بالمسير الى بني قريظه فحاصرهم
خمسا وعشرين ليله حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد
بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساوهم
فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعه ارقعه ثم استنزلهم
وخندق في سوق المدينه خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمايه الى
تسعمايه وقيل كانوا ستمايه مقاتل وسبعمايه اسير وقذف في قلوبهم الرعب بسكون العين
وضمها فريقا تقتلون وتاسرون فريقا روى ان رسول الله جعل عقارهم للمهاجرين
دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست
يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله

واراد ان يأتي ... ان الله ان ينصر ... على المسلمين ... الصلاة العصر ... الصلاة الوسطى ... الاولى ... فصلوها
الصبح والصلاح والصبح بعد العشاء

ارفعه ربع ... الساكن ... ارفع ... والرفع

وارضا لم تطاوها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة وكنا نحدث انها مكة وعن مقاتل
هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه اراد نساهم
اردن شيا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله فنزلت فبدا
بعايشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار
الاخرة فروي الفرح في وجه رسول الله ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن
الله ذلك فانزل لا يحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي انه قال
لعايشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرا عليها القران
فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وروي انها قالت لا تخبر
ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت ما حكم التخيير في
الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت
لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة باينة عند ابي حنيفة واصحابه
واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر
الشافعي رحمه الله اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر
وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا
اختارت زوجها لم يقع شي باجماع فقها الامصار وعن عايشة رضي الله عنها خيرنا
رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي افكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه
اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة باينة وروي عنه
ايضا انها اذا اختارت زوجها فليس بشي اصلا واحد امرين ولم يرد بهن مهر البته
بانفسهن كما سولت ولما يرضي وذهب يكلمني وقام يهددني **امتعكن**
اعطكن متعة الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت المطلقة
التي لم يدخل ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه
واما ساير المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احداهما يقضي بها
السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق

[صلعم] [اختارت] [صلى الله عليه وسلم]

بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت
من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل
مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب
السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل
منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من
نصفها فان قلت ما وجه قراءة من قرا امتعكن واسرحكن بالرفع قلت
وجهه الاستيناف **سراحا** جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة **منكن**
للبيان لا للتبعيض **الفاحشة** السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة **والمبينة**
الظاهر فحشها والمراد كلما اقترفن من الكباير وقيل هي عصيانهن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه
ويغتم لاجله وقيل الزنى والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك
وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من ساير النسا كان اقبح منهن واقبح لان
زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من
المعصي وليس لاحد من النسا مثل فضل نسا النبي صلى الله عليه وسلم ولا على احد
منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزا يتبع الفعل وكون الجزا عقابا
يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان
ذم العقلا للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح
ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون الرجم
على الكافر **وكان** ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نسا النبي ليس
بمغن عنهن شيا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان
داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه وقرى يات بالتاء والياء **مبينة**
بفتح اليا وكسرها من بين بمعنى تبين **نضاعف** ونضعف على البنا للمفعول
ونضعف بالتخفيف والتشديد وقرى **يقنت** وتعمل بالتاء والياء **ونوتها**

[صلعم] [صلعم] [صلعم]

بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة
الله عز وجل والتقوى أحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي
العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن
كأحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء
جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة
ومثله قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد
منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين
ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن
خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض
اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي عن الخضوع
بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه
قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي
فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من
غير تخنث او قولا حسنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او
من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها
الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت
فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب
التبيان وجها اخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى
الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة
التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابراهيم كانت المرأة
تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل
ما بين ادم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية

الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جا
هلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في
الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل
جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدردا
ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام جاهلية اسلام فقال بل جاهلية كفر
امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين
الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه
جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت
رسول الله المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى
الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بالارجاس
واما المحسنات فالعرض منها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما
ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما
رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل
بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان
لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو ايات بينات تدل على صدق
النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا خبيرا
حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن
يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين روي
ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن
بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة وقيل السائلة
ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين
فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا
يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمؤمن

المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها
والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات
وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف
من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل
من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر
فهو من الصائمين والذاكرين الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله
بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من
الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امرأته
وصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى
والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق
بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين قلت
العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا
في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة
على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات
اعد الله لهم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته
اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله
فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين
دينارا وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا
من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر
من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيدا
فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما
صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله او لان
قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاءوا

بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره فان قلت
كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امرأة الا كان من
شأنه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع
الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالياء والتاء والخيرة ما يتخير للذي
انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته وا
ختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله
وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه
فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك
لا يريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد
ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلعم فقال
لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله
ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك
عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت
فاذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها
حين علمت ان رسول الله ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول
الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها
ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلعم ودخل بها وما اولم على امرأة
من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد
النهار فان قلت ماذا اراد بقوله واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد
نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى
الكبر واذى الزوج فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل

مودة مفارقة زيد إياها وقيل علمه بأن زيدا سيطلقها وسينكحها لأن الله قد
أعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
مما أوحي إليه لكتم هذه الآية فإن قلت فماذا أراد الله منه أن يقوله حين قال له
زيد أريد مفارقتها وكان من الهجنة أن يقول له افعل فإني أريد نكاحها قلت
كان الذي أراد منه عز وجل أن يكون الإنسان سوي الظاهر والباطن والتصلب
في الأمور والتأني في الأحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث
إرادة رسول الله صلعم قتل عبد الله بن سرح واعتراض عثمن رضي الله عنه بشفاعته
له أن عمر رضي الله عنه قال له لقد كان عيني إلى عينك هل تشير إلي فأقتله فقال
إن الأنبياء لا تومض ظاهرهم واحد فإن قلت كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن
وقالة الناس لا تتعلق إلا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في
نفس الأمر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع إلى زينب وتتبعها
ولم يعصمه صلعم عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة قلت من شيء يتحفظ منه
الإنسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال
مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما
إلى حصول واجبات تعظم آثارها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ لأطلق كثير
من الناس فيه ألسنتهم إلا من أوتي فضلا ودينا وعلما ونظرا في حقائق
الأمور ولبوبها دون قشورها ألا تراهم كانوا إذا طعموا في بيوت رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين
بالحديث وكان رسول الله يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم
والحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت إن ذلكم كان يؤذي النبي
فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو أبرز رسول الله مكنون ضميره
وأمرهم أن ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذلك
القبيل لأن طموح قلب الإنسان إلى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها

غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لأنه ليس بفعل الإنسان ولا وجوده
باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح أيضا وهو خطبة زينب
ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا الطلب إليه وهو أقرب منه من زينب
أن يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بأن نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء
بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله متعلقة بها ولم يكن مستنكرا
عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا إذا نزل عنها أن ينكحها
الآخر فإن المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الأنصار بكل شيء حتى أن
الرجل منهم إذا كانت له امرأتان نزل عن إحداهما وأنكحها المهاجر وإذا كان
الأمر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة
ولا مضرة بزيد ولا بأحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها أن بنت عمة رسول
الله أمنت الأيمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المسلمين إلى ما
ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا فبالحري أن يعاتب الله رسوله حين كتمه
وبالغ في كتمه بقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وأن لا يرضى له إلا اتحاد
الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من
المكافحة بالحق وإن كان مرا فإن قلت الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس
والله أحق أن تخشاه ما هي قلت واو الحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك
مخفيا في نفسك إرادة أن لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا
في ذلك بأن تخشى الله أو واو العطف كأنه قيل وإذ تجمع بين قولك أمسك وإخفاء
خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك إذا بلغ البالغ
حاجته ممن له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة
وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها
وقرأ أهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما أليس تقرأ على غير ذلك

فقال الأول والذي لا إله إلا هو ما قرأتها علي إلا كذلك ولا أقرأها الحسن بن علي عليهما السلام
على الله إلا كذلك ولا قرأها علي بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كذلك
وكان أمر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان أمر الله الذي يريد أن
يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول
الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في إجراء أزواج المتبنين مجرى
أزواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز
أن يراد بأمر الله المكون لأنه مفعول بكن وهو أمره **فرض الله** له قسم له وأوجب
من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم
سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله
ما كان على النبي من حرج كأنه قيل سن الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين وهو أن لا
يحرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد
كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية
ولسليمان ثلاثمائة وسبعمائة **في الذين** خلوا في الأنبياء الذين مضوا **والذين** يبلغون
يحتمل وجوه الإعراب الجر على الوصف للأنبياء والرفع والنصب على المدح على هم
الذين يبلغون أو على أعني الذين يبلغون وقرئ **رسالة** الله قدرا مقدورا قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد
التصريح في قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه **حسيبا** كافيا للمخاوف
أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله **ما
كان** محمد أبا أحد من رجالكم أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت
بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان
رسول الله وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم
له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الأحكام الثابتة
بين الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه

حكمكم حكمهم

حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان **خاتم
النبيين** يعني أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم
الأنبياء كما يروى أنه قال في إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا فإن قلت أما كان
أبا للطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم قلت قد أخرجوا من حكم النفي بقوله
من رجالكم من وجهين أحدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني أنه قد
أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم فإن قلت أما كان أبا للحسن والحسين
عليهما السلام قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما أيضا من رجاله لا
من رجالهم وشيء آخر وهو أنه إنما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله
وخاتم النبيين ألا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر
على الخمسين قرئ ولكن **رسول الله** بالنصب عطفا على أبا أحد وبالرفع على
ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول
الله من عرفتموه أي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها
بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين
فإن قلت كيف كان آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله
وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا إلى قبلته كأنه
بعض أمته **اذكروا** أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل
والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك **بكرة** وأصيلا أي في كافة الأوقات
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وعن
قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقولهن الطاهر والجنب والغفلان
أعني اذكروا وسبحوا موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم
الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص
جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأن معناه

تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح ومثال
فضله على غيره من الأذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي
والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر
على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد
بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والإقبال على العبادات فإن كل طاعة
وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي
الصلاة في جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشائين
لأن أداءها أشق ومراعاتها أشد لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه
وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض
في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة
والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف فإن قلت قوله هو
الذي يصلي عليكم إن فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله وملائكته
وما معنى صلاتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي
الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولهم حياك الله أي أحياك
وأبقاك وحييتك أي دعوت لك بأن يحييك الله لأنك لاتكالك على إجابة
دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك
وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أي ادعوا الله بأن يصلي عليه والمعنى هو الذي
يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر
والتوفر على الصلاة والطاعة **ليخرجكم** من ظلمات المعصية إلى نور
الطاعة **وكان** بالمؤمنين رحيما دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة ويروى
أنه لما نزل قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر رضي الله عنه ما
خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزلت **تحيتهم** من

تبقيه

إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله ب
سلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا
وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام
الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم **والأجر الكريم** الجنة شاهدا على من بعثت إليهم وعلى
تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد
العدل في الحكم فإن قلت وكيف كان شاهدا وقت الإرسال وإنما يكون شاهدا عند
تحمل الشهادة أو عند أدائها قلت هي حال مقدرة كمسألة الكتاب مررت برجل معه صقر
صائدا به غدا أي مقدرا به الصيد غدا فإن قلت قد فهم من قوله إنا أرسلناك داعيا أنه
مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله بإذنه قلت لم يرد به حقيقة الإذن وإنما جعل الإذن
مستعارا للتسهيل والتيسير لأن الدخول في حق المالك متعذر فإذا صودف الإذن تسهل
وتيسر فلما كان الإذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك أن دعاء أهل
الشرك والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل
بإذنه للإيذان بأن الأمر صعب لا يتأتى ولا يستطاع إلا إذا سهله الله ويسره ومنه قولهم
في الشحيح إنه غير مأذون له في الإنفاق أي غير مسهل له الإنفاق لكونه شاقا عليه
داخلا في حد التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام
الليل بالسراج المنير ويهتدى به أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور
السراج نور الأبصار ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضيء إذا قل سليطه
ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة
ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر
وقيل وذا سراج منير أو وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على
كاف أرسلناك **الفضل** ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وإذا ذكر
المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز أن يريد بالفضل الثواب من قولهم
للعطايا فضول وفواضل وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر الأمم وذلك
الفضل من جهة الله وأنه آتاهم ما فضلوهم به **ولا تطع** الكافرين معناه
الدوام والثبات على ما كان عليه أو التهييج **أذاهم** يحتمل إضافته إلى الفاعل

في الشحيح

هو صاحب الكشاف

والمفعول الثاني ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس هي
منسوخة باية السيف ه وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه وقيل
ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له فقابل الشاهد
بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على
سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين
لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير
بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او اجل
كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من
توكل على الله يسر الله عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من
اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه النكاح
الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم
الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز اسنمة الابال
في سحابه سمى الماء باسنمة الابال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد
لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح
به ومن اداب القران الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان
والقربان والتغشي والاتيان فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به
الاية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على ان اصل
امر المؤمن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة
الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه
فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا
الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات فان قلت ما
فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت
الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح
وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها
المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند ابي حنيفة واصحابه حكم
الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم من عدة تعتدونها دليل

على ان

على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من
قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه ولا
عدة على غير المدخول بها كما لا عدة على امة لم يقربها مالكها وقرئ تعتدونها
مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا
تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت فما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه قلت
ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ح الا لها وحدها دون
سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب
والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا
منع واجب واجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عا
جلا واما فرضها وتسميتها في العقد فان قلت لم قال اللاتي اتيت اجورهن وما افاء
الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله عز وجل
لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص واثره بما
سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية فان وقع
العقد جاز وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق
المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم
وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه
ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب
والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب
واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما
افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق
الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام الخبيث وكذلك اللاتي هاجرن مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات
معه وعن ام هاني بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
الله فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت
من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا

من النساء المؤمنات ان تقع ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن
عباس لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم احد بالهبة منهن وقيل الموهوبات
اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك
بنت جابر وخولة بنت حكيم **ان وهبت** على الشرط وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل
بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس
ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود
بغير ان فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط في الاحلال
هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال
احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما
به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله تعالى نفسها للنبي ان اراد النبي ثم
رجع الى الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على
ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته
واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رحمه
الله على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته سواء
في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك
في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة
جائز لقوله اللاتي آتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد
موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان **خالصة** مصدر مؤكد
كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا
والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة
والدليل على انها وردت على اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه
وسلم على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما
ملكت ايمانهم بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا
يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية

ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة
يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث
اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك
اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع اي ذلك خلوص
لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة
خالصة لك من دونهم **وكان الله** غفورا للواقع في الحرج اذا تاب **رحيما** بالتوسعة
على عباده روي ان امهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول
الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله
افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عائشة قالت اني ارى ربك يسارع
في هواك **ترجي** بهمز وبغير همز تؤخر **وتؤوي** تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء
منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم
لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خطب امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان
يطلق واما ان يمسك واذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق
وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية
وصفية وميمونة وام حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن
اوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا واوى اربعا وروي انه
كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة
وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك التفويض الى مشيئتك **ادنى**
الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء
والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما تريد وما لا تريد الا مثل ما
للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب
التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب **والله** يعلم ما
في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسول الله

يا رسول الله

من نساء امتك ويتزوج من شئت حتى يدعها

ونعث على تواطي قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما فيه طيب نفسه وقرئ تُقِرَّ اعينهن بضم التا ونصب الاعين وتُقَرَّ اعينهن على البنا للمفعول
وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر
كلهن تاكيد لنون يرضين وقرا ابن مسعود ويرضين كلهن بما اتيتهن على التقديم
وقرئ كلَّهن تاكيدا لهن في اتيتهن لا يحل لك وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي
واذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع اللاتي
التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان الاربع نصاب امته منهن على الحلال ان يتجاوز
النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهولا التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد
الله تعالى لهن كرامة وجزا على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عايشه بنت ابي بكر حفصه بنت عمر حبيبه بنت
ابي سفيان سوده بنت زمعه ام سلمه بنت ابي اميه صفيه بنت حيي الخيبريه ميمونه بنت الحارث
الهلاليه زينب بنت جحش الاسديه جويريه بنت الحارث المصطلقيه من في من ازواج لتاكيد
النفي وفايدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النسا من بعد النسا اللاتي
نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات
او من الاما بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول
الرجل للرجل بادلني بامراتك وابادلك بامراتي فينزل كل واحد منهما عن امراته لصاحبه
وحكي ان عيينه بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عايشه رضي الله عنها من
غير استيذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينه اين الاستيذان قال يا رسول
الله ما استاذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الجميله الى
جنبك فقال عليه السلام هذه عايشه ام المومنين قال عيينه افلا انزل لك عن احسن
الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عايشه
ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا يعني ان الايه قد نسخت
ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنه واما بقوله تعالى انا احللنا لك ازواجك
وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل
وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير

ويعضده مفروضا ما عيانك بهن وقيل هي اسما بنت عميس الخثعميه امراه جعفر بن ابي
طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الاما رقيبا حافظا
مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حرامه ان يؤذن لكم في معنى الظرف
تقديره وقت ان يؤذن لكم غير ناظرين حال من لا تدخلوا ووقع الاستثنا على الوقت
والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلا
قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه
ومعناه لا تدخلوا يا هؤلا المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين
اناه وادراكه والا فلو لم يكن لهؤلا خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي صلى الله
عليه وسلم الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة انه
قرا غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير من هو له فمن حق
ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي
واني الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم ان
بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بنت جحش بتمر وسويق وشاه وامر انسا ان يدعو بالناس
فترادفوا افواجا ياكل كل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت
حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون
فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عايشه
رضي الله عنها فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول
الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا
الثلاثه جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحيا فتولى
فلما راوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستانسين لحديث نهوا عن
ان يطيلوا الجلوس يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستانسوا
حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين
وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستانسين لحديث في قوله فيستحيي منكم
من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان

اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحى منه ولما كان الحيا مما يمنع الحيي من بعض الافعال
قيل لا يستحي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب
الله به الثقلا وعن عائشة حسبك في الثقلا ان الله لم يحتملهم وقال فاذا
طعمتم فانتشروا وقرى لا يستحي بيا واحدة الضمير في سالتموهن لنسا النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فاسالوهن فسلوهن المتاع قيل
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان
يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما راتكن عين وقال
يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فنزلت وروي
انه مر عليهن وهن مع النسا في المسجد فقال لان احتجبتن فان لكن على النسا فضلا كما
ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في
بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم
ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فنزلت اية الحجاب وذكر ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من ورا حجاب
لان مات محمد لاتزوجن فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو
من اعلام تعظيم الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا
واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما
يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته
يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى
الدنيا الا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعدا وانتحب فعلا
نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما
عسى يتفق من بقايها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقها ان الزوج
الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما يلاحظ ذلك ان تبدوا شيا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم
فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد
به

وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول واجزل روي
انها لما نزلت اية الحجاب قال الابا والابنا والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن
من ورا الحجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هولا ولم يذكر
العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جات تسمية العم ابا قال الله تعالى واله
ابايك ابرهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الحجاب
عنهما لانهما يصفانها لابنايهما وابناوهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى
الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن به
من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما
قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى في حفظهما وليكن عملكن
في الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات ليفضل سركن على علنكن ان
الله كان على كل شي من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا تتفاوت
في علمه الاحوال قرى وملايكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على
مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا
عليه وسلموا اي قولوا الصلاة على الرسول والتسليم ومعناه الدعا بان يترحم عليه
الله ويسلمه فان قلت الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ام مندوب
اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره
وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه
قيل يا رسول الله ارايت قول الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي فقال عليه السلام هذا
من العلم المكنون ولولا انكم سالتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا
اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملايكته
جوابا لذينك الملكين امين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك
الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملايكته لذينك الملكين امين ومنهم من
قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في اية السجدة وتشميت العاطس
وكذلك في كل دعا في اوله واخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال
في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد في
الاخبار فان قلت فالصلاة عليه في الصلاة اهي شرط في جوازها ام لا قلت ابوحنيفة

رحمهم الله

واضرابه ونحوها شرطا وعن ابرهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة
بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا فان
قلت فما تقول في الصلوة على غيره قلت القياس جواز الصلوة على كل مؤمن لقوله تعلى
هو الذي يصلي عليكم وملئكته وقوله وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وقوله
صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن للعلما تفصيل في ذلك وهو انها ان
كانت على سبيل التبع كقولك اللهم صل على النبي واله فلا كلام فيها واما اذا افرد
غيره من اهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر
رسول الله ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم **يؤذون الله** ورسوله فيه وجهان
احدهما ان يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار
النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من انواع
المكروه وعلى سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة في
رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة
والثاني ان يراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين
يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملئكة بنات الله والاصنام شركاؤه
وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
حكى عن ربه شتمني ابن ادم ولم ينبغ له ان يشتمني واذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه
اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بداني وعن عكرمة
فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول
الله قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه
يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي واطلق ايذاء الله ورسوله
وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق ابدا واما
اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى **بغير** ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق
للاذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل
في الذين افكوا على عائشة رضي الله عنها وقيل في زناة كانوا يتبعون النسا وهن
كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف

وقد كان شعور لا يكون الحرائر الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة
عند كثير الجول **الجلباب** ثوب واسع اوسع من الخمار دون الرداء تلويه
المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر
من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء او غيره قال ابو زبيد
مجلبب من سواد الليل جلبابا ه ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن
ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المراة ادني ثوبك
على وجهك وذلك ان النسا في اول الاسلام كن على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المراة
في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا
خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاما وربما تعرضوا للحرة بعلة
الامة يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاما بلبس الاردية
والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله
ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن
فان قلت ما معنى من في قوله تعالى ~~ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن~~ فاي من
جلابيبهن قلت هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض
ما لهن من الجلابيب والخمار ان لا تكون المراة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة
ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المراة بعض جلبابها وفضله على وجهها
تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سالت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداها
فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها
والشق الاخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى
الادنا **وكان** الله غفورا رحيما لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن
معرفته بالعقل **الذين** في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه
وفيما هم الزناة واهل الفجور من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض **والمرجفون** في
المدينة ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون قتلوا وهزموا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين
يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي

الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم
والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم
وتنوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا
زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك إغراء وهو
التحريش على سبيل المجاز **ملعونين** نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين
دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله إلا أن يؤذن لكم إلى طعام
غير ناظرين إناه ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها
وقيل قليلا هو منصوب على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين فإن
قلت ما موقع لا يجاورونك قلت ~~لا يجاورونك~~ قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لأنه
يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك فإن قلت أما كان
من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل
الثاني مسببا عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا
على الأول وإنما عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا
به فتراخت حالة عن حال المعطوف عليه **سنة الله** في موضع مصدر مؤكد أي سن الله
في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا
كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا
على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لأن الله سبحانه وتعالى عمى وقتها في التوراة وفي
كل كتاب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به
لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين
وإسكاتا للممتحنين **قريبا** شيئا قريبا أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب
السعير النار المسعورة الشديدة الإيقاد وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب
بمعنى تتقلب وتقلب أي نقلب نحن وتقلب على إسناد الفعل إلى السعير ومعنى تقليبها تصريفها
في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة
إلى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين
منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من

صلعم

جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف
وهو اذكر وإذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا وقرئ ساداتنا وسادتنا وهم
رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال **ضل** السبيل وأضله إياه
وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف
والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف وقرئ كثيرا تكثيرا لأعداد
اللاعنين وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه **ضعفين** ضعفا لضلاله وضعفا
لإضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك **لا** تكونوا كالذين
آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في
أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم
إياه بقتل هارون وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا
به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءته موسى
عليه السلام وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على أنه بريء منه
وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ
عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة
وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة وكان عبدا لله وجيها وقراءة العامة أوجه
لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين وهذه ليست
كذلك فإن قلت قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لأن ما إما مصدرية
أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت المراد بالقول أو المقول مؤداه
أو مضمونه وهو الأمر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول
قولا سديدا قاصدا إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال سدد
السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم
عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن
يسدد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى
راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم
الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم

الكفار خ

قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في رمضان فسمعته يقرؤها

ويكفرها وقد اصلح الاعمال التوفيق والمحي بها خالصة مرضية وهذه الاية
مقررة للتي قبلها ببيين ذلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم الامر والنهي مع اتباع
النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف
عن الاذى والداعي الى تركه لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز
العظيم اتبعه قوله انا عرضنا الامانة وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها
وفخم شانها وفيه وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من السماوات
والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتأتى من
الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته
وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما
قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق
به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل
حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد
بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على
الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل
للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن
عهدتها لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون
ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها
ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل النصرة له ويسامحه
بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل اخوك الذي لا تملك
الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتائف اي لا يمسك الرقة والعطف
امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض
حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه
واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين الا ان يؤدينها وابى الانسان
الا ان يكون محتملا لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة

الحس والحفيظة والتعظيم [illegible]

وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه
الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام
واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به واشفق
منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث
حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب
وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم ومن ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب
لقال اسوي العوج وكم وكم لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور
مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف
مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي به آنس
وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها
وثقل محملها والوفاء بها فان قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت
على راي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه
بين الرايين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي
في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة
وليس كذلك ما في الاية فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه محال في نفسه
غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه
به غير معقول قلت الممثل به في الاية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره
مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته
وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السماوات والارض والجبال لابين ان يحملنها
واشفقن منها واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل
الامانة كما ان التاديب في ضربته للتاديب نتيجة الضرب وقرا الاعمش فيتوب
ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدي ويتوب الله ومعنى قراءة العامة
ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي
كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر ٥٥

خاس بعهده ... ونحو هذا

تم المجلد الخامس من خط المصنف رحمه الله حامدا ومصليا

سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ما في السموات والأرض كله نعمة
من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته
بالإنعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول
أحمد أخاك الذي كساك وحملك تريد أحمده على كسوته وحملانه ولما قال
وله الحمد في الآخرة علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب فإن قلت ما الفرق بين
الحمدين قلت أما الحمد في الدنيا فواجب لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى
تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة
واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم
يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي أحكم
أمور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به
علما ما يلج في الأرض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز
والدفائن والأموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات
وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج
والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال
وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد
وهو مع كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في أداء
مواجب شكرها وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ننزل بالنون والتشديد
قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه
من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد أوجب ما بعد
النفي ببلى على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية
في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد
القسمي إمدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله لتأتينكم لأن عظمة
حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته
لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين

فضلا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ
فإن قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم
وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة
إلى القلب إذا قيل عالم الغيب وأنه لا يعزب عنه شيء من الخفيات اندرج تحته إحاطته
بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فإن قلت
الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم
عليه جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة
لما أنكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة
وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء
وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل
بقوله لتأتينكم تعليلا له قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء
أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أي ليأتينكم أمره كما
قال هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وقال أو يأتي أمر ربك وقرئ
عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع
على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب
بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار أصغر نملة ذلك إشارة إلى مثقال الذرة وقرئ
ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك
لا حول ولا قوة إلا بالله بالرفع والنصب وهو منقطع عما قبله فإن قلت هل
يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب
عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على
ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال
ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر قلت يأبى ذلك حرف الاستثناء إلا
إذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل
أن تكتب في اللوح لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل
عن الغيب شيء ولا يزل عنه إلا مسطورا في اللوح وقرئ معجزين بالرفع والجر

وعن قتادة الرجز سوء العذاب «ويرى» في موضع الرفع أي ويعلم أولو العلم يعني أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا
مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام «الذي أنزل إليك» الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل
ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى
في موضع النصب معطوفا على ليجزي أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما
لا يزاد عليه في الإيقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز أن يريد وليعلم من
لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما «الذين» كفروا قريش
قال بعضهم لبعض «هل ندلكم» على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم
بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا
ويمزق أجسادكم البلاء «كل ممزق» أي يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد
أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك «أم به» جنون يوهمه ذلك ويلقيه
على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء
القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم إليه من الضلال
عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون وأشده إطباقا على عقولهم
جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كأنهما في الحقيقة مقترنان
وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه ينبئكم فإن قلت قد جعلت الممزق مصدرا كبيت
الكتاب ألم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا فهل يجوز أن
يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الأموات في بطون الطير والسباع
وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته
الرياح فطرحته كل مطرح فإن قلت ما العامل في إذا قلت ما دل عليه إنكم لفي
خلق جديد وقد سبق نظيره فإن قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول
قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد
وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده إذا قطعه وقالوا
هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين
كقوله إن رحمة الله قريب ونحو ذلك فإن قلت لم أسقطت الهمزة في قوله

افترى دون قوله السحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن أمرا
اضطرهم إلى ترك إسقاطها في نحو السحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون
همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فإن قلت ما معنى وصف الضلال
بالبعيد قلت هو من الإسناد المجازي لأن البعد صفة الضال إذا بعد عن الجادة وكلما
ازداد عنها بعدا كان أضل فإن قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما
في قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل
ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول
قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فأخرجوه مخرج التحلي ببعض الأحاجي
التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض
وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن
ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا أن يخسف
الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول صلى الله عليه
وسلم وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة «إن في» النظر إلى السماء والأرض والفكر
فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة «لكل» عبد منيب وهو الراجع إلى ربه
المطيع له لأن المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن
عقاب من يكفر قرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله أفترى على الله كذبا وبالنون
لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ الكسائي يخسف بهم بالإدغام
وليست بقوية «يا جبال» إما أن يكون بدلا من فضلا وإما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال
أو قلنا يا جبال وقرئ «أوبي» وأوبي من التأويب والأوب أي رجعي معه التسبيح وارجعي
معه في التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال
أن الله يخلق فيها تسبيحا كما يخلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما
يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت
الجبال تسعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها وقرئ «والطير» رفعا
ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا أن ينتصب مفعولا معه وأن
يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فإن قلت أي فرق بين هذا النظم وبين

أن يقال فأساء أو دمنا فضلاً تأويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما ألا ترى
إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الإلهية حيث
جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا وإذا دعاهم سمعوا
وأجابوا إشعاراً بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته
غير ممتنع على إرادته **وألنا** له الحديد وجعلناه له ليناً كالطين والعجين والشمع يصرفه
بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما أوتي من شدة
القوة وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو أول من اتخذها وكانت
قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق
على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني إسرائيل متنكراً فيسأل الناس عن نفسه ويقول
لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكاً في صورة آدمي فسأله
على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا أنه يطعم
عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال
فعلمه صنعة الدروع **وقدر** لا تجعل المسامير دقاقاً فتقلق ولا غلاظاً فتقصم الحلق
والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير لداود وأهله وسخرنا لسليمان الريح فيمن
نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع **غدوها**
شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها
وعن الحسن كان يغدو فيقيل بإصطخر ثم يروح فيكون رواحه
بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوباً في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب
سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنياً وجدناه غدونا من إصطخر فقلناه
ونحن رائحون منه فبائتون بالشام إن شاء الله **القطر** النحاس المذاب من
القطران فإن قلت ما أراد بعين القطر قلت أراد بها معدن النحاس
ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين
فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل إليه كما قال إني أراني أعصر خمراً
وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام **بإذن** ربه بأمره ومن يزغ منهم
ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ ومن يزغ من أزاغه

وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده
سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني **المحاريب** المساكن
والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لأنها يحامى عليها ويذب
عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في
المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم
فإن قلت كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير قلت هذا مما يجوز أن تختلف فيه
الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن أبي العالية لم يكن
اتخاذ الصور إذ ذاك محرماً ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الأشجار
وغيرها لأن التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان
أو بصور محذوفة الرؤوس وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه
ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله
النسران بأجنحتهما **والجوابي** الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية
الشيخ العراقي تفهق لأن الماء يجبى فيها أي يجمع جعل الفعل لها مجازاً وهي من
الصفات الغالبة كالدابة وقيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل وقرئ بحذف الياء
اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع **وراسيات** ثابتات على الأثافي لا تنزل
عنها لعظمها **اعملوا** آل داود شكراً حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكراً
على أنه مفعول له أي اعملوا له واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على أن
العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أي شاكرين أو على تقدير
اشكروا شكراً لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث أن العمل للمنعم شكر
له ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولاً به ومعناه إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم
ما شئتم فاعملوا أنتم شكراً على طريق المشاكلة **والشكور** المتوفر
على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه
اعتقاداً واعترافاً وكدحاً وأكثر أوقاته وعن ابن عباس من يشكر على أحواله
كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر
وعن داود عليه السلام أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي

ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر رضي الله عنه انه
سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعا فقال الرجل اني سمعت الله
تعالى يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل
الناس اعلم من عمر قرى فلما قضينا عليه الموت **دابة** الارض الارضة وهي الدويبة
التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها
الارضة وقرى بفتح الرا من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك
اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا **والمنساة** العصا لانه ينسا بها
اي يطرد ويؤخر وقرى بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما
ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنساته على مفعالة
كما يقال في الميضاة ميضاءة ومن سأته اي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على
الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرى اكلت منساته تبينت
الجن من تبين الشي اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال
كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن **لو كانوا**
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على
عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب
او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين
قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته
وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا
وقرى تبينت الجن على البنا للمفعول على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها
لانه بدل وفي قراة ابي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت
وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اي
علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب
ما لبثوا وفي قراة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون
الغيب روي انه كان من عادة سليمن عليه السلام ان يعتكف في مسجد بيت المقدس
المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد

هي الخرنبط

انطقها الله سبحانه فيسألها لاي شي انت فتقول لكذا حتى اصبح يوما فراى الخروبة
فسالها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي
على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على
الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويمو
هون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت
بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير
وليس له باب فقام يصلي متكيا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت
الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته
الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا
سليمن قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا
وقت موته فوضعوا الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة
على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد
مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو كانوا
يعلمون الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود عليه السلام اسس
بنا بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى
سليمن فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سال ان يعمي عليهم موته
حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون جا ليصعد
كرسيه فلما دنى ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد
ان يدنو منه وكان عمر سليمن ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة
فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدا بنا بيت المقدس لاربع مضين من ملكه قرى
لسبا بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها
وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها او
مسكن كل واحد منهم وقرى مساكنهم وجنتان بدل من آية او خبر
مبتدا محذوف وفي تقديره الاية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراة
من قرا جنتين بالنصب على المدح فان قلت ما معنى كونهما آية قلت لم

بجعل الحسن في انفسهما اية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله عليهما
فخربهما وابدلهم عنهما الاثل والخمط اية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى
ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان تجعلهما اية اي علامة دالة على
الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره فان قلت كيف عظم الله جنتي اهل
سبا وجعلهما اية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت
قلت لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن
يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها
جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها واراد بستاني كل رجل
منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب **كلوا** من رزق
ربكم اما حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم
احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة
طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب
شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت اخصب البلاد
واطيبها تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلي
المكتل مما يتساقط فيه من الثمر **طيبة** لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض
ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب
على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر
ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون
والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا
وقيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم الى الله تعالى ويذكرونهم نعمته
عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله عليهم على سدهم الخلد
فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة
ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا
وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون
الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقرئ اكل
بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر **والخمط** شجر

الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من
مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه الطرفا اعظم منه واجود عودا
ووجه من نون ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو
وحده فلان اكل الخمط في معنى البرير كانه قيل ذواتي برير **والاثل**
والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا
بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من
التهكم وعن الحسن رضي الله عنه قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا به وقرئ **وهل
نجازي** وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل يجازي والفاعل هو الله وحده
وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل
وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما
يفعله من السوء ووجه اخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى
المعاقبة واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما
كفروا والمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي الا الكفور على اختصاص
الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام انما اراد
الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت
جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا المؤمن والكافر لم يصح ولم يسد كلاما
فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله
الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **القرى** التي باركنا فيها هي قرى الشام
قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او
راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم **وقدرنا**
فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام
لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء **سيروا** فيها وقلنا
لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه
فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه فان قلت ما معنى قوله **ليالي** واياما

قلت معناه سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها
وامتدت اياما وليالي أو سيروا فيها لياليكم وايامكم مدة اعماركم فانكم في
كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن. قرئ ربنا **باعد** بين اسفارنا وبعد
على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد
والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو
كان جنى جناننا ابعد كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام
مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل الله لهم الاجابة وقرئ
ربنا بعد بين اسفارنا وبين سفرنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه
به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا
وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسا
يرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كانهم يتشاجون على ربهم
ويتحازنون عليه احاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم وفرقناهم
تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي
سبا قال كثير ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعين بعدك
منظر لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان
صبار عن المعاصي **شكور** للنعم قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع
ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا ومن
خفف فعلى صدق في ظنه صادقا وصدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب
ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال
له ظنه الصدق حين خيله اغواهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما
على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة
في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه انه حين وجد آدم
ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه
فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله
الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا

او لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم قليلون بالاضافة الى الكفار كما قال
لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من
تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز
المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ
ليعلم على البناء للمفعول **حفيظ** محافظ عليه وفعيل ومفاعل متاخيان قل
لمشركي قومك **ادعوا** الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة و
سميتموهم باسمه كما تدعون الله وتلتجئون اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون
الى الله وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم
ثم اجاب عنهم بقوله **لا يملكون** مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر **في** السموات
ولا في الارض وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما
اشهدتهم خلق السموات والارض **وما له** منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه
يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا
كما يدعى ويرجوا كما يرجى فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير المحذوف
الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون
او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا
يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق
وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع
الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته
وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة
مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين تقول
الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع
له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله **ولا تنفع** الشفاعة عنده الا لمن اذن
له احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة
له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد
لعمرو اي لاجله وكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه
وهذا تكذيب لقولهم هولاء شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن

قلوبهم ولأي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظاراً للإذن
وتوقفاً وتمهلاً وفزعاً من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن
وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد مليّ من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دلّ عليه
قوله عز من قائل رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً يوم
يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً كأنه قيل يتر
بصون ويتوقفون ملياً فزعين وهلين حتى إذا فزّع عن قلوبهم أي كشف الفزع
عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن تباشروا
بذلك وسأل بعضهم بعضاً **ماذا قال ربكم** قالوا قال الحق أي القول الحق وهو الإذن
بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أذن لمن أذن أن
يشفع فزعته الشفاعة وقرئ أذن له أي أذن له الله وأُذن له على البناء للمفعول وقرأ
الحسن فزع مخففاً بمعنى فزّع وقرئ فزّع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرّغ
أي نفى الوجل عنها وأفنى من قولهم فرغ الزاد إذا لم يبق منه للقاعد شيء ثم ترك
ذكر الوجل وأسند إلى الجار والمجرور كما تقول دفع إلى زيد إذا علم ما المدفوع
وقد تخفف وأصله فرغ الوجل عنها أي انتفى عنها وأسند إلى الجار والمجرور وفني ثم
حذف الفاعل وأسند إلى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف
عنها وعن أبي علقمة أنه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما أفاق قال ما لكم تكأ
كأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف
المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطرّ من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ
الحق بالرفع أي مقوله الحق **وهو العلي** الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي
أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى أمره بأن يقررهم بقوله من يرزقكم
ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشعار
بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأن الذي تمكن في صدورهم
من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم
إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم
وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ألا ترى إلى قوله قل من يرزقكم من السماء والأرض
أم من يملك السمع والأبصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق إلا الضلال

فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عناداً وضراراً
وحذراً من إلزام الحجة ونحوه قوله عز وعلا قل من رب السماوات والأرض قل الله
قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً وأمره أن يقول
لهم بعدما ألزم وألجم الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه
وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومعناه وإن أحد الفريقين من الذين
يتوحدون الرازق من السماوات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد
الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام
المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك
صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو
من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أوصل بالمجادل
إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا
ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وإن أحدنا الكاذب
ومنه بيت الحماسة حسان رضي الله عنه أتهجوه ولست له بكفو فشركما
لخيركما الفداء فإن قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال
قلت لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال
كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه وفي قراءة أبي وإنا أو إياكم
إما على هدى أو في ضلال هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول حيث أسند
الإجرام إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين وإن أراد بالإجرام الصغائر والزلات
التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه
وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار فإن قلت ما معنى قوله أروني وكان
يراهم ويعرفهم قلت أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله
سبحانه وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه
والإشراك به **وكلا** ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسره بإبطال
المقايسة كما قال إبراهيم عليه السلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله بعدما
حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وأن لم يقدروا الله حق قدره بقوله
هو الله العزيز الحكيم كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه

يوحدون

الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشان كما في قوله قل هو الله
احد **الا كافة** للناس الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم
فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا
للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة
كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطا
لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم
ترى ممن يرتكب هذا الخطا ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي
له الخطا الاول الا بالخطا الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطاءين وقرى **ميعاد** يوم
وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو
ها هنا للزمان والدليل عليه قراءة من قرا ميعاد يوم فابدل منه اليوم فان
قلت فما تاويله مضافا الى يوم او منصوبا قلت اما الاضافة فاضافة تبيين
كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل
تقديره لكم ميعاد اعني يوما او اريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز
ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم
قلت ما سالوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب
على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون
بيوم يفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما عليه **الذي** بين يديه ما
نزل قبل القران من كتب الله عز وجل يروى ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب
فسالوهم فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم
فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القران جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل في
الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا
ان يكون القران من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم
اخبر عن عاقبة امرهم ومالهم في الاخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وللمخاطب **ولو ترى** في الاخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة
ويتراجعونها بينهم لرايت العجب فحذف الجواب **والمستضعفون** هم
الاتباع **والمستكبرون** هم الرؤوس والمقدمون اولى الاسم اعني نحن حرف

الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم
الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا انحن
اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين **بعد اذ** جاءكم بعد
ان صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم
حظها واثرتم الضلال على الهدى واطعتم امر الشهوة دون امر النهى فكنتم
مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان قلت اذ واذا من الظروف
اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع
في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد
وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد لما انكر
المستكبرون بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين
واثبتوا بقولهم **بل** كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون
بقولهم **بل مكر** الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان
الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك
واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف
باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الا
سناد المجازي وقرى بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر
الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فان قلت
ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدا او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او
مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار فان قلت لم
قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا مع العاطف قلت
لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة
الاستئناف ثم جيء بكلام اخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول فان قلت
من صاحب الضمير في واسروا قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين
والمستضعفين وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون
على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين **في اعناق**
الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالتصريح والتنويه بذمهم والدلالة على ما استحقوا

رحمه الله

الحلق

به الاغلال وعن قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها
وهو من الاضداد وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب
والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها
والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير
مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر
الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم
يكرموا على الله سبحانه لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى
قياسهم ذلك قالوا **وما نحن** بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله سبحانه من
ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وقد ابطل الله عز وجل حسبانهم بان الرزق
فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على
العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس
عليه امر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق وتضييقه قال الله تعالى
ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف اي وما جماعة
اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه
وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة
عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ
الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذي تقربكم اي بالشيء الذي يقربكم
والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب بتقربكم قربة كقوله
انبتكم من الارض نباتا **الا من امن** استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال
لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا
الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة **جزاء** الضعف
من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم
جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ
جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف
وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ في **الغرفات** بضم الراء

والله

معنى

وفتحها وسكونها وفي الغرفة **فهو يخلفه** فهو يعوضه لا معوض سواه اما
عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه
وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم
ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده
ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا
في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه وهو خير **الرازقين** واعلاهم
رب العزة لان كل ما رزق غيره سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده
او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق
وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني
وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي هذا الكلام خطاب للملائكة
وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله
عز وجل أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة
وعيسى عليهم السلام منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقريع والغرض
ان يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم
اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص
عليه والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء وهي البعد والولي
يقع على الموالي جميعا والمعنى الذي توالي من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم
فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم
لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك **بل كانوا**
يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل
صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها
وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها
وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء الامر في ذلك اليوم لله وحده
لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب

والمعاني هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها
مخلى بينهم يتضارون وينفعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر
معاقبته الظالمين بقوله **ونقول للذين** ظلموا معطوف على لا يملك الاشارة الاولى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية الى القران والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين
الاسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما
جاءهم وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر
دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجب من امرهم بليغ كانه
قال وقال اولئك الكفرة المتمردون بجراتهم على الله ومكابرتهم لمثل
ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه **ان هذا الا سحر مبين** فبتوا القضاء على انه سحر ثم
بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا **وما اتيناهم** كتبا يدرسونها
فيها برهان على صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا
كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال الكتاب
ولا بعثة رسل كما قال ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس
لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا
مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم
توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين من قبلهم تقدموهم من الامم والقرون
الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما اتينا اولئك من طول الاعمار وقوة
الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير
والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء
وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس ومن درس الكتاب
ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس **والمعشار**
كالمرباع وهما العشر والربع فان قلت ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى
عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب
الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل

تكذيب الرسل مستغنا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد
معشار فضل عمرو فتفضل عليه **فكيف** كان نكيري للمكذبين الاولين
فليحذروا من مثله **بواحدة** بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على
انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين
ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة ان
فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين
وواحدا واحدا **ثم تتفكروا** في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان
فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه
نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق
عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه
وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض
فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم
والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي
البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الا
عتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم بقوله
ما بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والاخرة
جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب
بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل راجح العقل
مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه والا فما
يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا ما به من جنة بل علمتموه
ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلبهم رايا واصدقهم قولا
وانزههم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان
مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك

كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فإذا أتى بها تبين أنه نذير مبين فإن قلت ما بصاحبكم
بم يتعلق قلت يجوز أن يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة
النظر في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما
بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم أن تكون ما استفهامية **بين يدي** عذاب
شديد كقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة **فهو لكم** جزاء الشرط الذي هو قوله
ما سألتكم من أجر تقديره أي شيء سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من
رحمة وفيه معنيان أحدهما نفي مسألة الأجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه
إن أعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الأخذ
بما لم يكن والثاني أن يريد بالأجر ما أراد في قوله قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء
أن يتخذ إلى ربه سبيلا وفي قوله لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى لأن اتخاذ
السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لأن القرابة قد
انتظمته وإياهم **على كل شيء شهيد** حفيظ مهيمن يعلم أني لا أطلب الأجر على
نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه ولا أطمع منكم في شيء **القذف** والرمي تزجية السهم
ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الإلقاء ومنه قوله تعالى وقذف
في قلوبهم الرعب أن اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله إلى أنبيائه
أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه **علام** الغيوب رفع محمول على محل
إن واسمها أو على المستكن في يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة
لربي أو على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب
كالصبور وهو الأمر الذي غاب وخفي جدا **الحي** إما أن يبدئ فعلا أو يعيده فإذا
هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك
ومنه قول عبيد أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد والمعنى
جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود
دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون
صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان
زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن وقيل الإسلام وقيل

بقوله
وبقوله

السيف وقيل الباطل إبليس أي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن
لا يبدئ لأهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج أي شيء ينشئ
إبليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لأنه صاحب الباطل أو لأنه
هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك قرئ ضللت أضل بفتح العين مع كسرها
وضللت أضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت أظل وظللت أظل وقرئ
إضل بكسر الهمزة مع فتح العين فإن قلت أين التقابل بين قوله فإنما أضل على نفسي وقوله فبما
يوحي إلي ربي وإنما كان يستقيم أن يقال فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فإنما اهتدي لها كقوله
من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها
أو يقال فإنما أضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو
بها أعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء وما لها
مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله
أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان
غيره أولى به **إنه سميع** قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما
شيء **ولو ترى** جوابه محذوف يعني لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو وإذ والأفعال
التي هي فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لأن ما الله
فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت
البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت
في خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا
البيداء خسف بهم **فلا فوت** فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت
والأخذ من مكان قريب من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى
بطنها إذا ماتوا أو من صحراء بدر إلى القليب أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم
فإن قلت علام عطف وأخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا أي
فزعوا فأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا
وأخذوا وقرئ وأخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت
هناك وهناك أخذ **آمنا** به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في

قوله ما يصلحكم منحه والتناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول
سهل لشي قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب
ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت
كما نفع المومنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشي من غلوة
كما يتناوله الاخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرى التناؤش همزت
الواو المضمومة كما همزت في اجوه وادور وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول
من بعد من قولهم نأشت اذا ابطات وتاخرت ومنه البيت
تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور اى اخيرا ويقذفون
معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب
وياتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم
شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا
ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شي مما
جاء به السحر والشعر وابعد شي من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب
والزور وقرى ويقذفون بالغيب على البنا للمفعول اى ياتيهم به شياطينهم
ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا امنا به على انه مثلهم في طلبهم
تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم امنا في الاخرة وذلك مطلب مستبعد
ممن يقذف شيا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه
غايبا عنه شاحطا والغيب الشي الغايب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد
في قوله بين يدي عذاب شديد كانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر
كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان
يعذبنا قايسين امر الاخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب
ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزا لا تقاس على دار التكليف ما
يشتهون من نفع الايمان يوميذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من
الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا كما فعل باشياعهم
باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم من قبل اما من

اراده اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من ارابه الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها
وكلاهما مجاز الا ان بينهما فرقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون
مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما
تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق رسول
ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم فاطر السموات مبتديها ومبتدعها وعن
مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان
في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وقرى الذي فطر السموات وجعل الملائكة
وقرى جاعل الملائكة بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونها اولي اجنحة
اصحاب اجنحة واولوا اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة
المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها
وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن
عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا يفترق
الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال
ثلاثة فلا تعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اي لكل واحد
منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد
في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيته وحكمته والا
صل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى
للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه
فما صورة الثلاثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما
بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة
لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما
في الامر من امور الله عز وجل وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله

عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة
جناح وروي انه سال جبريل عليه السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لا تطيق
ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل عليه السلام في
صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه
على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيا من الخلق هكذا
فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح
بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل
الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله يزيد
في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط
الحسن وعن قتادة الملاحة في العينين والاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق
من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل
وجزالة في الراي وجراة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في
التكلم وحسن تات في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف
استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له مكان لا فاتح له يعني
اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من
صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه
قال من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي
شيء يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره
اخرا وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل على المعنى
وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ
المرجوع اليه لا تانيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير
ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها فان قلت لا بد للثاني
من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه
ترك لدلالة الاول عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته
وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت فما

تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس قلت ان اراد بالتوبة الهداية
لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس ان قاله فمقبول وان اراد انه ان شا
ان يتوب العاصي تاب وان لم يشا لم يتب فمردود لان الله تعالى يشا التوبة
ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاها **من بعده** من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد
الله فباي حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد اياته **وهو العزيز**
الغالب القادر على الارسال والامساك **الحكيم** الذي يرسل ويمسك ما تقتضي
الحكمة ارساله وامساكه ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط
ولكن به وبالقلب وحفظها عن الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها
والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك
يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون
في نعمة الله وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم
حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية
وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء
فان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق
وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار لكم واوقعت يرزقكم تفسيرا
له او جعلته كلاما مبتدا بعد قوله هل من خالق غير الله عز وجل قلت نعم ان جعلت يرزقكم
كلاما مبتدا وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة واما على الوجهين الاخرين وهما الوصف
والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به
على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات **لا اله الا
هو** جملة مفصولة لا محل لها من الاعراب مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت
يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير
مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقوله كنت مناقضا
بالنفي بعد الاثبات **فانى** تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك
نعى به على قريش سوء تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها وسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان له في
الانبياء قبله اسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى الحكم ومجازاة

المكذب والمكذب بما يحق فيه وقرئ يرجع بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه
صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وان
يكذبوك فتأسّ بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك
موضع فتأسّ استغناء بالسبب عن المسبب اعنى بالتكذيب عن التأسي فان قلت ما معنى
التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت رسل اى رسل ذوو عدد كثير
واولو آيات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا
اسلى له واحث على المصابرة **وعد الله** الجزاء بالثواب والعقاب **فلا** تغرنكم فلا
تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب
ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقول لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور
يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ
بالضم وهو مصدر غرّه كاللزوم والنهوك او جمع غارّ كقاعد وقعود اخبرنا
عز وجل ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا آدم صلوات
الله عليه وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك
نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما
علمتم عدوكم الذى لا عدو اعرق في العداوة منه وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له
بحاله **فاتخذوه** عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل الا على
معاداته ومناصبته في سركم وجهركم ثم لخص سر امره وخطأ من اتبعه بان
غرضه الذى يؤمه في دعوة شيعته ومتبعى خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة
والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحا ليقطع الاطماع
الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل وتركهما
لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه **أفمن زين** له سوء عمله فرآه
حسنا يعنى فمن زين له من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا فقال **فان الله** يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو ان يكون العاصى على صفة
لا تجدى عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله عز وجل وتخليته وشانه

فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق آمر النهى ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح
حسنا والحسن قبيحا كانما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول ابى
نواس اسقنى حتى ترانى حسنا عندى القبيح واذا خذل الله المصممين على الكفر
وخلاهم وشانهم فان على الرسول ان لا يهتم بامرهم ولا يلقى بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا
يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين
له سوء عمله كمن هداه الله فحذف ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب
لدلالة فلا تذهب نفسك عليه او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف
لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه حسرات مفعول له يعنى فلا تذهب
نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان
للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون
حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال **جرير** مشق الهواجر
لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا
اى لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله فعلى اثرهم تساقط نفسى حسرات
وذكرهم لي سقام وقرئ فلا تذهب نفسك **ان الله** عليم بما يصنعون وعيد لهم
بالعقاب على سوء صنيعهم وقرئ ارسل الريح فان قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما
قبله وما بعده قلت ليحكى الحال التى تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة
البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية
بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تأبط شرا بانى قد لقيت الغول
تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين
وللجران لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التى تشجع فيها بزعمه على ضرب
الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته
على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء
الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا
معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه والكاف في كذلك
في محل الرفع اى مثل احياء الموات نشور الاموات روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه

بوادٍ هلك

كذلك يحيي الله الموتى وما آيته في ذلك في خلقه قال هل مررت بوادٍ أهلك محلاً ثم
مررت به يهتز خضراً فقالوا نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه
وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه أجساد
الخلق كان الكفرة يتعززون بالأصنام كما قال عز وجل واتخذوا من
دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا
يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً فبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه وقال ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعاً
موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره
قولك من أراد النصيحة فهي عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه
مقامه ومعنى **فلله العزة** جميعاً أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة
الآخرة ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله إليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا إله إلا الله عن ابن عباس يعني أن هذه الكلمة
لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة كما قال عز وجل إن كتاب
الأبرار لفي عليين إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها
وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد وقيل الرافع الله
والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن
ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن
فإذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا يقبل
قولاً وعملاً إلا بنية ولا يقبل قولاً وعملاً ونية إلا بإصابة السنة وعن ابن
المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ إليه
يُصعَد الكلم الطيب على البناء للمفعول وإليه يُصعِد الكلم الطيب على تسمية الفاعل
من أصعد والمصعد هو الرجل أي يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب وإليه
يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم

لأنه

أو الله عز وعلا فإن قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله
فبم نصب السيئات قلت هو صفة للمصدر أو لما في حكمه كقوله ولا يحيق
المكر السيئ إلا بأهله أصله والذين مكروا المكرات السيئات أو أصناف المكر
السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي
في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم إما إثباته أو قتله
أو إخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو
يقتلوك أو يخرجوك **ومكر** أولئك هو يبور يعني ومكر أولئك الذين مكروا
تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين
أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعاً
وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق
المكر السيئ إلا بأهله **أزواجاً** أصنافاً أو ذكراناً وإناثاً كقوله أو يزوجهم
ذكراناً وإناثاً وعن قتادة زوج بعضكم بعضاً **بعلمه** في موضع الحال أي إلا
معلومة له فإن قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما
يعمر من أحد وإنما سماه معمراً بما هو صائر إليه فإن قلت الإنسان إما معمر
أي طويل العمر أو منقوص العمر أي قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه
فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا
من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين واتكالاً على
تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر
في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبداً
ولا يعاقبه إلا بحق وما تنعمت بلداً ولا اجتويته إلا قل فيه ثوائي وفيه
تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر الإنسان ولا يقصر إلا في كتاب وصورته
أن يكتب في اللوح إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة وإن حج وغزا فعمره
ستون سنة فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر وإذا أفرد أحدهما
فلم يتجاوز به الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون
وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله إن الصدقة والصلة تعمران الديار

لعله

ويزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر لو ان عمر دعا الله لاخر
في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله تعالى اذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة
~~ولا يستاخرون ساعة~~ ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من
معمر ولا ينقص من عمره وقد استفاض في الصحيفة على الالسنة اطال الله
بقاك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة
عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان
حتى ياتي على اخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره
من يموت قبل ستين سنة **والكتاب** اللوح عن ابن عباس ويجوز ان
يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرى ولا ينقص على تسمية الفاعل
من عمره بالتخفيف ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمومن والكافر ثم
قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطاياه
ومن كل اي من كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك
وتستخرجون حلية وهي اللولو والمرجان **وترى الفلك فيه** في كل
مواخر شواق للما بجريها يقال مخرت السفينة الما ويقال للسحاب بنات
مخر لانها تمخر الهوا والسفر الذي اشتق منه السفينة قريب من المخر لانها
تسفر الما كانها تقشره كما تمخره **من فضله** من فضل الله ولم يجر له ذكر في الاية
ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجا مستعار
لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا
والفرات الذي يكسر العطش **والسايغ** المري السهل الانحدار لعذوبته وقرى سيغ
بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل **والاجاج** الذي يحرق بملوحته ويحتمل
غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على
الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللولو وجري الفلك فيه
والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد
ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الما وان منها لما يهبط من خشية الله **ذلكم**

مبتدا والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتداه
واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب
ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه
والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان **لا**
يسمعوا دعاكم لانهم جماد **ولو** سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا
لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤون منها وقيل ما نفعوكم
يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون
ولا ينبيك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر
وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون ساير المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم
به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرى يدعون بالياء والتاء فان
قلت لم عرف الفقرا قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء
وان كانت الخلايق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف
وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله
وخلق الانسان ضعيفا وقال الله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى
انتم بعض الفقرا فان قلت قد قوبل الفقرا بالغني فما فايدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم
اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم
حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه
الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه والحميد على السنة مومنيهم **بعزيز**
بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به
شيا **الوزر** والوقر اخوان ووزر الشي اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى
ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تواخذ نفس بذنب نفس
كما تاخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر
نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن
واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن

أي مقابله

اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الاية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال
اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شي من وزر غيرهم الا ترى
كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين
من خطاياهم من شي فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي قلت الاول في الدلالة على عدل الله في
حكمه وانه لا يواخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى
ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث
وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان
ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة الى حملها فان قلت فلم ترك
ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام اضمار العام ولا يصح
ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت
فما تقول فيمن قرا ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة
قلت نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها
لا يحمل منه شي وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد
ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر
له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم
غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه
صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه رضوان الله عليهم كانت
عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا
وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هولا وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل
منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر
بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض موكد
لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين
بالثواب فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم
في قوله ان يشا يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها ثم قال

انما تنذر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع فيهم انما تنذر او اخبره
الله تعالى بعلمه فيهم الاعمى والبصير مثل للكافر والمومن كما ضرب البحرين مثلا لهما او
للصنم ولله عز وعلا والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يوديان
اليه من الثواب والعقاب والاحيا والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا
فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم يكون بالنهار والحرور بالليل
والنهار وقيل بالليل خاصة فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت الواو في
النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها
ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشا يعني انه قد علم
من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل
من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام
قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين وذلك مما لا سبيل
اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار
نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشا انه قادر على ان يهدي
المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجا وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما
انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى بالحق حال من احد
الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لبشير
ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة الكثيرة قال الله
تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين الامة هم
المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا
اهل العصر فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل
فيها نذير قلت اذا كانت اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين
اندرست اثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت كيف
اكتفى بذكر النذير عن البشير في اخر الاية بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة
مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الاية على
ذكرهما بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف

وبالكتاب المنير نحو التوراة والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشيا في جنسهم اسند
المجي بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم
وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم **الوانها** اجناسها من
الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة
والخضرة ونحوها **والجدد** الخطط والطرايق قال لبيد او مذهب جدد على
الواحه ويقال جدة الحمار للخطة السودا على ظهره وقد تكون للظبي جدتان
مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه **وغرابيب** معطوف على بيض او على جدد
كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة
هي الجبال الطوال السود فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب
واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد
ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان
يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغه والمؤمن
العايذات الطير يمسحها وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد
من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال
جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن
الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف
الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرا الزهري جدد بالضم
جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدايد كسفينة وسفن
وسفاين وقد فسر بها قول ابي ذويب جون السراة له جدايد اربع وروي
عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرايق
والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا
التخفيف قراة من قرا ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من التقا الساكنين
فحرك ذاك اولهما وحذف هذا اخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال
المراد بالعلما الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز
عليه وما لا يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق

اي لوح مذهب

اي اقيم والمؤمن

تمامه
ركبان مكة بين
الغيل والسند

صدره
والدهر لا يبقى على
حدثانه

خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان امن وفي الحديث
اعلمكم بالله اشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء
جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله
وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت
فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر قلت لا بد
من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلما كان المعنى ان الذين يخشون
الله من بين عباده هم العلما دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى
الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان
فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان
الله انزل من السما ما وعدد ايات الله واعلام قدرته واثار صنعه وما خلق من
الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله
من عباده العلما كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق
معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انا ارجو ان اكون
اتقاكم لله واعلمكم به فان قلت فما وجه قراة من قرا انما يخشى الله من عباده
العلما وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة قلت الخشية في هذه القراة استعارة
والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع
عباده **ان الله** عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة
وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى
يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف
هي اية القرا وعن الكلبي ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به
وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عطا هم المؤمنون
يرجون خبر ان **والتجارة** طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن **تبور**
اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله **ليوفيهم** بنفاقها عنده **اجورهم**
وهي ما استحقوه من الثواب **ويزيدهم** من التفضل على المستحق وان شئت جعلت
يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من

ز ه

البلاوة واقامة الصلوة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله انه
غفور شكور على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة الكتاب
القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك
عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني انه خبرك وابصر
احوالك فراك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على ساير الكتب
فان قلت ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك
القران ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو يريد نورثه
لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم
ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على ساير الامم وجعلهم امة وسطا
ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتما الى افضل رسل الله وحمل
الكتاب الذي هو افضل كتب الله سبحنه ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو
المرجا لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا واخر سيئا وسابق
من السابقين والوجه الثاني انه قدم ارساله في كل امة رسولا وانهم كذبوا
رسلهم وقد جاوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب
الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرايعه من بين المكذبين بها من ساير الامم
واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اوليك المذكورين يريد بالمصطفين من
عباده اهل الملة الحنيفية فان قلت كيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل
الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل
الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدل عنه جنات عدن وفي
اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الاخرين
ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا
وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغتر بما رواه عمر رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور

له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب
عليهم ولقد نطق القران بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل
نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه فان قلت لم قدم الظالم
ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل
بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن على الافراد كانها جنة
مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون
جنات عدن يدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المراة فهي حالي ولؤلؤا
ولؤلؤ بالنصب والجر عطفا على محل من اساور ومن داخلة للتبعيض اي يحلون بعض اساور من
ذهب كانه بعض سابق لساير الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك
الذهب في صفاء اللؤلؤ وقرئ ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى وقرئ الحزن والمراد
حزن المتقين وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا
مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الاعراض
والافات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل
هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد اكثروا حتى قال بعضهم كرا الدار
ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا
في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب
عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل
على ان القوم كثير الحسنات المقامة بمعنى الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما
ومقامة من فضله من عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على
قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر
المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه
اي لا نتكلف عملا يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة للمصدر كانه لغوب
لغوب كقولك موت مائت فان قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب
التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب

فالنصب بفعل مضمر المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة **فيموتوا**
جواب النفي ونصبه بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له في حكم
النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون **كذلك**
مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى ويجزى كل كفور بالنون **يصطرخون**
يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى
أسلمتها قبيلتها واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته فان قلت هلا
اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير
الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه قلت
فائدة زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل
لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على
سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله **اولم** نعمركم توبيخ من الله يعني
فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر
تمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة
وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة **والنذير**
الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر فان قلت علام عطف وجاءكم النذير
قلت على معنى ولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كأنه
قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير **انه** عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم
ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور
مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول ابي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة
جارية وقوله لتغني عني ذا انائك اجمعا المعنى ما في بطنها من الحبل وما
في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء الا ترى انهم
معهما لا يخلوان وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع
لمعنى الصحبة يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف

خلفا والمعنى انه جعلكم خلفاءه في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها
وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة **فمن**
كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت
الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت
اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو
خطاب للناس وقيل هو خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
جعلكم امة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به
فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله عز وجل وخسار الآخرة كما ان
ذلك حكم من قبلكم **أروني** بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم أخبروني كأنه قال أخبروني
عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة أروني اي جزء من اجزاء الارض
استبدوا بخلقه دون الله **ام لهم** مع الله شركة في خلق السموات **ام** معهم
كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب
او يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم
كتابا من قبله **بل ان** يعد بعضهم وهم الرؤساء **بعضا** وهم الاتباع **الا** غرورا
وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات **ان** تزولا كراهة ان
تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع **انه** كان حليما غفورا
غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة
الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا
وان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة
لتأكيد النفي والثانية للابتداء **من** بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس انه
قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال
سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته
بعد ثم قرأ هذه الآية بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل
الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم
فوالله لئن اتانا رسول الله لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله

صلى الله عليه كذبوه {من إحدى الأمم} وجهان أحدهما من بعض الأمم ومن واحدة من الأمم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الأمة التي يقال فيها هي إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة {ما زادهم} إسناد مجازي لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم {استكبارا} بدل من نفورا أو مفعول له على معنى فما زادهم إلا أن نفروا استكبارا وعلوا في الأرض أو حال يعني مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويجوز أن يكون ومكر السيء معطوفا على نفورا فإن قلت ما وجه قوله ومكر السيء قلت أصله وأن مكروا السيء أي المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيء ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيء أي ولا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا على ماكر فإن الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم وعن كعب أنه قال لابن عباس قرأت في التوراة من حفر مغواة وقع فيها قال أنا وجدت ذلك في كتاب الله فقرأ الآية وفي أمثال العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة رضي الله عنه ومكر السيء بإسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا {سنة الأولين} إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها أي لا يغيرها وأن ذلك مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم إلى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم {ليعجزه} ليسبقه ويفوته {بما كسبوا} بما اقترفوا من معاصيهم {على ظهرها} على ظهر الأرض {من دابة} من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية

وعن أنس إن الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء {إلى أجل مسمى} إلى يوم القيامة {كان بعباده بصيرا} وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

{يس} قرئ بالفتح كأين وكيف أو بالنصب على اتل يس وبالكسر على الأصل كجير وبالرفع على هذه يس أو بالضم كحيث وفخمت الألف وأميلت وعن ابن عباس معناه يا إنسان في لغة طي والله أعلم بصحته وإن صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في أيمن الله {الحكيم} ذي الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحي أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به {على صراط مستقيم} خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين فإن قلت أي حاجة إليه خبرا كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم قلت ليس الغرض بذكره ما ذهبت إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وإنما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضا فإن التنكير فيه دال على أنه أرسل من بين الصراط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب أعني وبالجر على البدل من القرآن {قوما ما أنذر آباؤهم} قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على إثبات الإنذار ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية لتنذر قوما إنذار آبائهم أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما أنذره آباؤهم من العذاب كقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا فإن قلت أي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت هو على الأول متعلق بالنفي أي لم ينذروا فهم

غافلون على أن عدم إنذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله إنك لمن المرسلين
لتنذر كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل فإن قلت كيف
يكونوا منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الأخر قلت لا مناقضة لأن
الآي في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آبائهم وآبائهم القدماء من ولد إسماعيل وكانت النذارة
فيهم فإن قلت ففي أحد التفسيرين أن آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع
به قلت أريد آباؤهم الأدنون دون الأباعد **القول** قوله لأملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون
على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين
المقمحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم
له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم
ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله فإن قلت ما معنى قوله فهي إلى الأذقان
قلت معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها وذلك أن طوق الغل
الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا
من الحلقة إلى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح
الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح إذا روي فرفع رأسه
ومنه شهرا قماح لأن الإبل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت
السويق فإن قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد
والعنق وبذلك سمي جامعة كان ذكر الأعناق دالا على ذكر الأيدي قلت الوجه ما ذكرت
لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الإقماح ظاهرا على أن هذا الإ
ضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن
الذي يجفو عنه ترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج فإن قلت فقد قرأ ابن عباس في أيديهم
وقرأ ابن مسعود في أيمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير
للأيدي وللأيمان قلت يأبى ذلك وإن ذهب الإضمار المتعسف ظهور كون

نتيجة قوله فهي إلى الأذقان ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح

ذكره

ومن الله

الضمير للأغلال وسدا ذا المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل
ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم **فأغشيناهم** فأغشينا
أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة وعن أن تطمح إلى مرئي وعن مجاهد
فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت
في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي
ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه
عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب
فأعمى الله بصره فإن قلت قد ذكر ما دل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم
قفاه بقوله إنما تنذر وإنما تحق هذه التقفية لو كان الإنذار منفيا قلت هو
كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للإيمان مع وجود الإنذار وكان معناه أن
البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان قفى بقوله إنما تنذر على معنى إنما
تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن
أو الوعظ الخاشون ربهم **نحي الموتى** نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن إحياؤهم
أن نخرجهم من الشرك إلى الإيمان **ونكتب** ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما
هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو بناء
بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سيء كوظيفة وظفها
بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدث فيها تخسيرهم وشيء أحدث فيه صد
عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن
بها ونحوه قوله عز وجل ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر
أي قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين إلى المساجد وعن
جابر بن عبد الله أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول
الله فأتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة إلى المسجد والبقاع
حوله خالية فقلنا نعم بعد علينا المسجد فقال صلى الله عليه وسلم عليكم دياركم
فإنما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل هذه الآثار

أي وقفوه وتصدقوا به على التأبيد

التي تعقبها الرياح **والإمام** اللوح وقرئ ونكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول
وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب
كذا أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب
لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان
للأول وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية والقرية أنطاكية **والمرسلون** رسل
عيسى صلوات الله عليه وسلم إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان أرسل
إليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس
فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد
مريض سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق ورقي حديثهما
إلى الملك فقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر
في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا
وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات
يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين
ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له
شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما
قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر
وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون
أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف فقال ليس لي عنك
سر إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على
الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت
آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إني أدخلت في سبعة أودية
من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن
الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك
فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح
عليهم جبريل فهلكوا **فعززنا** فقوينا يقال المطر يعزز الأرض إذا لبدها

(اي غلام ميت)

(صيحة)

وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه إذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا بثالث
وهو شمعون وترك المفعول به فإن قلت لم ترك ذكر المفعول به قلت لأن الغرض ذكر
المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان
الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض
مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق إليه قولك
بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه إنما رفع بشر ونصب في قوله
ما هذا بشرا لأن إلا نقضت النفي ولا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل فإن قلت
لم قيل إنا إليكم مرسلون أولا وإنا إليكم لمرسلون آخرا قلت لأن الأول ابتداء إخبار والثاني
جواب عن إنكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد
الله وعلم الله وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم
وما علينا إلا البلاغ المبين أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته وإلا فلو قال
المدعي والله إني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا **تطيرنا** بكم تشاءمنا
بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل
شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه
فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وإن
تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة إن أصابنا شيء كان من أجلكم
طائركم معكم وقرئ طيركم أي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم
معكم وهي كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن أطيركم أي تطيركم ومن أين ذكرتم
بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآن بألف بينهما بمعنى أتتطيرون إن ذكرتم وقرئ
أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وقرئ أن وإن
بغير استفهام على الإخبار أي تطيرتم لأن ذكرتم أو إن ذكرتم تطيرتم وقرئ أين
ذكرتم على التخفيف أي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم وإذا شؤم المكان
بذكرهم كانوا أحلوا له فيه أشأم **بل** أنتم قوم مسرفون في العصيان فمن
ثم أتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم قوم مسرفون

وضلالهم فما دون في غيلتهم حيث تشاءمون بمن يجب التبرك به ومن أقصى المدينة
رجل يسعى هو حبيب بن إسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام وهو ممن آمن
برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة
بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد
الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا وأنت تخالف
ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره
وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق أنطاكية فلما قتل
غضب الله تعالى عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سباق الأمم ثلثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن
آل فرعون من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا
تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير
الآخرة ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف
بهم ويداريهم ولأنه أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه
ولقد وضع قوله وما لي لا أعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي
فطركم ألا ترى إلى قوله وإليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه
أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال إني آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا
قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه أن العبادة لا تصح إلا لمن منه
مبتدؤكم وإليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة
أشياء إن أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا
شفعاء عنده ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه إنكم في هذا الاستحباب
لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا
يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال إني آمنت بربكم فاسمعون أي
فاسمعوا إيماني تشهدوا لي به وقرئ إن يردني الرحمن بضر بمعنى إن يوردني ضرا
أي يجعلني موردا للضر أي لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة أدخله الله الجنة
وهو فيها حي يرزق وأراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل

معناه البشرى بدخول الجنة فإنه من أهلها فإن قلت ما مخرج هذا القول في علم
البيان قلت مخرجه مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن حاله
عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة
دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب
الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي
يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم
وإنما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة
عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما إلى الجنة وفي حديث مرفوع
نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل
والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف
في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين
له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم
في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزا ولم
تعقبه إلا السعادة لأن في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والأول أوجه
وفي المكرمين فإن قلت ما في قوله بما غفر لي ربي أي الماءات هي قلت المصدرية أو الموصولة
أي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية يعني بأي شيء غفر لي ربي يريد
به ما كان منه معهم من المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل إلا أن قولك بم غفر لي بطرح
الألف أجود وإن كان إثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا أي بأي شيء صنعت
وبم صنعت المعنى أن الله سبحانه وتعالى كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم
جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فإن قلت وما معنى قوله
وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في إهلاك قوم حبيب
جندا من السماء وذلك لأن الله عز وجل أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه
دون البعض وما ذاك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى إلى

قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض
ومنهم من اغرقنا فان قلت فلم انزل الجنود من السما يوم بدر والخندق فقال فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقال بالف من الملئكة مردفين بثلثه آلاف من الملئكة منزلين
بخمسة آلاف من الملئكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مداين
قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ولكن الله
فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شي على كبار الانبيا واولي العزم من الرسل فضلا
عن حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه
انزل له جنودا من السما وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال
الجنود من عظايم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك **ان
كانت** الا صيحة واحدة ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة وقرا ابو جعفر
المدني بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل
لان المعنى ما وقع شي الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل
الفعل ومثلها قراة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما
بقيت الا الضلوع الجراشع وقرا ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطاير
يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي **خامدون** خمدوا كما تخمد
النار فتعود رمادا كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا
بعد اذ هو ساطع **يا حسرة** على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي
يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل
والمعنى انهم احقا بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم
متحسر عليهم من جهة الملئكة والمومنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله عز
وعلا على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها وفرط
انكاره له وتعجيبه منه وقراة من قرا يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى
يا حسرتي وقرى يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث

انها موجهة اليهم ويا حسرة على العباد على اجرا الوصل مجرى الوقف **الم يروا** الم يعلموا
وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان
اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق
وان لم يعمل في لفظه **وانهم** اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره
الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر
ان على الاستيناف وفي قراة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراة بدل
اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون
ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بيس القوم نحن اذا نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه
قرى لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام
لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسالة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت
وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت
بكل قايما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة
وقيل محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد
قلت ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه
الاجتماع وان المحشر يجمعهم **والجميع** فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاوا جميعا
القراة بالميتة على الخفة اشيع لسلسها على اللسان **واحييناها** استيناف
بيان لكون الارض الميتة اية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض والليل
بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة
النكرات في وصفها بالافعال ونحوه قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله
فمنه ياكلون قدم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشي الذي يتعلق به معظم
العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جا القحط ووقع الضر
واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلا قرى وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر
والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرى ثمره بفتحتين وضمتين
وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر
ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والابار وغير ذلك من الاعمال الى ان يبلغ

حـ م
اى وقته واوانه

منتهاه وأن أكله يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم
وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة
الالتفات ويجوز أن يرجع إلى النخيل وتترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنه علم أنها
في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما
قال رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق وقيل له
فقال أردت كأن ذاك ولكن أن تجعل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي
الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الأول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف
أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير
الأزواج الأجناس والأصناف ومما لا يعلمون ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا
توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان
والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا إلى العلم به لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى
ذلك العلم ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود
ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه فأعلمنا بوجوده
وأعداده ولم نعلم ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين
وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته
واتساع ملكه نسلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ
الحية لخرشائها فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى
ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال أظلمنا كما يقال أعتمنا وأدجينا
لمستقر لها لحد لها موقت مقدر ينتهي إليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر
إذا قطع مسيره أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تتقصاها مشرقا مشرقا
ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لأنها لا
تعدوه أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل
مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه

اى الخطوط

وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة
وقرئ تجري إلى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها أي لا تزال تجري لا
تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير
والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام في استنباطه
ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم وقرئ
والقمر رفعا على الابتداء أو عطفا على الليل نسلخ ومن آياته القمر ونصبا بفعل
يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير
نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل
القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير
مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم
يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت
إليها العرب الأنواء المستمطرة وهي الشرطان البطين الثريا الدبران
الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة
العواء السماك الغفر الزباني الإكليل القلب الشولة النعائم
البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم
فرغ الدلو المؤخر الرشاء فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس عاد
كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة
وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن
الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول
وإذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة أوجه وقيل أقل مدة الموصوف
بالقديم الحول فلو أن رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر أو كتب ذلك
في وصيته عتق منهم من مضى له حول أو أكثر وقرئ سابق النهار على
الأصل والمعنى أن الله سبحانه قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من
الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس أي لا يتسهل
لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وإن جعل لكل واحد من

حِلّه

النيرين سلطان على حياله أن تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله
في سلطانه فتطمس نوره ولا الليل سابق النهار يعني آية الليل آية النهار وهما
النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن يبطل الله ما دبّره من ذلك وينقض ما
ألّف فيجمع بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها فإن قلت لم جعلت الشمس
غير مدركة والقمر غير سابق قلت لأن الشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة والقمر
يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة أن توصف بالإدراك لتباطؤ سيرها
عن سير القمر والقمر خليقا بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره وكلٌّ التنوين
فيه عوض من المضاف إليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والأقمار على ما سبق ذكره
ذريتهم أولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لأنهن مزارعها
وفي الحديث أنه نهى عن قتل الذراري يعني النساء من مثله من مثل الفلك ما
يركبون من الإبل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل
الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم وإنما ذكر
ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل في التعجيب من قدرته في حمل أعقابهم
إلى يوم القيامة في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن
والزوارق فلا صريخ لا مغيث أو لا إغاثة يقال أتاهم الصريخ ولا هم ينقذون
لا ينجون من الموت بالغرق إلا رحمة منا ولتمتيع بالحياة إلى حين إلى أجل
يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد أحسن من قال ولم
أسلم لكي أبقى ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام وإذا قيل لهم اتقوا
ما بين أيديكم وما خلفكم كقوله أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم
من السماء والأرض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن
قتادة ما بين أيديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت
بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة لعلكم ترحمون
لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب إذا محذوف مدلول عليه بقوله إلا كانوا
عنها معرضين فكأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ثم قال ودأبهم الإعراض
عن كل آية وموعظة كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يتعلقون بأفعال

ونحو كم

الله سبحانه بمشيئته فيقولون لو شاء الله لأغنى فلانا ولو شاء لأعزه لكان كذا
فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور
بمشيئة الله ومعناه أنطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين
أن يكون الغنى والفقر من الله لأنهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس
كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله
ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون أن الله سبحانه لما كان قادرا على إطعامه ولم يشأ
إطعامه فنحن أحق بذلك نزلت في مشركي مكة حين قال فقراء أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله سبحانه
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله أطعمكم إن
أنتم إلا في ضلال مبين قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم
للمؤمنين وقرئ وهم يخصّمون بإدغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها وإتباع الياء
الخاء في الكسر ويخصِمون على الأصل ويخصْمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم
في أمنهم وغفلتهم عنها لا يخطر ببالهم مشتغلين بخصومتهم في متاجرهم
ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم
بعضا وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون فلا
يستطيعون أن يوصوا في شيء من أمورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع إلى
منازلهم وأهاليهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة فرئ في الصور بسكون الواو
وهو الجمع القرن أو جمع صورة وحركها بعضهم والأجداث القبور وقرئ
بالفاء ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية وقرئ يا ويلنا
وعن ابن مسعود رضي الله عنه من أهبّنا من هبّ من نومه إذا انتبه وأهبّه غيره
وقرئ من هبّنا بمعنى أهبّنا وعن بعضهم أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل
وقرئ من بعثنا ومن هبّنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد
خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد
وما وعد خبر مبتدأ محذوف أي هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر
أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة

يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا وأما هذا ما
وعد الرحمن فكلام الملئكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام
الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا
فإن قلت إذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين
إذا جعلتها موصولة فما تقديره قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون
بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه
صدقني سن بكره فإن قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف
طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأنبأكم به
الرسل إلا أنه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت إليهم أحوالهم وذكروا
كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما أنذرت به الرسل وكأنه قيل لهم ليس بالبعث
الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث إن
هذا هو البعث الأكبر ذو الأهوال والأفزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة
على ألسنة رسله الصادقين (إن كانت إلا صيحة) واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة
(فاليوم) لا تظلم نفس شيئا إن أصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال لهم في
ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في
النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره (في شغل) أي شغل وفي شغل
بوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل إلى تلك
الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي أعدها
الله تعالى للمرتضين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد
الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية
وتخطي الأهوال وتجاوز الأخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب
وعن ابن عباس في افتضاض الأبكار وعنه في ضرب الأوتار وعن ابن كيسان
في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم
بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم ولا

يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون
وفتحتين وفتحة وسكون (والفاكهة) والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة
لأنها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون
وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس
ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على أنه حال والظرف مستقر (هم) يحتمل
أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على أن أزواجهم يشاركونهم
في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الأرائك تحت الظلال وقرئ في ظلل (والأريكة)
السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وفي مصحف ابن مسعود متكين (يدعون) يفتعلون
من الدعاء أي يدعون به لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل لنفسه قال
لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه
وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما
ادعى أي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء أي ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم (وسلام)
بدل مما يدعون كأنه قيل لهم سلام يقال لهم قولا من جهة (رب رحيم) والمعنى أن الله يسلم
عليهم بواسطة الملئكة أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم
ذلك لا يمنعونه وعن ابن عباس والملئكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون
مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر
مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام أي عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على
الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود
سلاما نصب على الحال أي لهم مرادهم خالصا (وامتازوا) وانفردوا عن المؤمنين
وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة ونحوه
قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز
وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من
النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه أن بعضهم يمتاز من بعض (العهد)
الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ما ركز فيهم من أدلة العقل

وأبرز عليهم من دلائل السمع **وعبادة** الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه
لهم وقرئ إعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر
إلا في الياء وأعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب
وأحهد بالحاء وأحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحّا محّا هذا إشارة إلى ما عهد إليهم
فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه ما في
قول كثير أراد إني لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فيّ وإلا لم
يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه بليغ
في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد هذا بعض الصراط المستقيم
توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج
الذي يؤدي إلى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم الطرق
أن يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد
نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا له على
الإعراض عن نصائحه وقرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديدة
وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه اللغات في معنى
الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلا واحد
الأجيال يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم
فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ **نختم** على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم
وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز علي شاهدا إلا من نفسي فيختم على فيه
ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن
وسحقا فعنكن كنت أناضل وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم
وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على
أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر
الأعضاء بالكلام والشهادة **الطمس** تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة
فاستبقوا الصراط لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل
والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا

لا مسبوقا إليه أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسخ أعينهم فلو راموا أن يستبقوا إلى الصراط
وهو الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة
التي ترددوا إليها كثيرا كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرفاتهم
موضعين في أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة
السلوك فضلا عن غيره أو لو شاء لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق
المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أو لو شاء لأعماهم فلو طلبوا أن
يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني أنهم لا يقدرون
إلا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى
العميان يهتدون فيما ألفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها **على مكانتهم** وقرئ
مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقالة والمقال **أي لمسخناهم** مسخا
يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ولا مضي ولا رجوع واختلف
في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم
على أرجلهم وأزمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضي والمضي كالعتي والعتي
والمضي كالصبي **ننكسه** في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه أولا وذلك
أنا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من
حال إلى حال ويرتقي من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل
ويعلم ما له وما عليه فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع
في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما
ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر
لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من ينقلهم من
الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز
ومن العلم إلى الجهل بعدما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس على أعينهم
ويمسخهم على مكاناتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد وقرئ ننكسه وننكسه
وننكسه من التنكيس والإنكاس **أفلا** يعقلون بالياء والتاء كانوا يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروي أن القائل عقبة بن أبي معيط فقيل

وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القران الشعر على معنى ان القران ليس بشعر وما
هو من الشعر في شيء واين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على
معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم
كلامهم عن نظمه واساليبه فاذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا
ان هذا لفظه عربي كما ان ذلك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب
لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا
لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر
احب الى رسول الله من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له فان قلت فقوله انا
النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه
ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما
يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة
ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انه شعر واذا فتشت في كل
كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان
يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القران من جنس الشعر قال ان هو الا
ذكر وقران مبين يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن كما قال ان
هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قران كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في
المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي
هو من همزات الشياطين لينذر القران او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر
به اذا علمه من كان حيا اي عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن
فيحيى بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع
منهم الايمان مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما
قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدي
استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها
اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم

خ لفظه

خ يعملون

لها ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير
إن نفرا اي لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا
تذليله وتسخيره لها كما قال القائل يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على
الخسف الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم
الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما
كنا له مقرنين وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة
وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم
منافع من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها
مجملة وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية والمشارب جمع
مشرب وهو موضع الشرب او الشرب واتخذوا الالهة طمعا في ان يتقووا بهم
ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لالهتهم معدون
محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والالهة لا استطاعة بهم ولا
قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما
توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا
للنار وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك
تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم لك وما
يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه
صورة حاله وحالهم في الاخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت
ما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وان اعتقد ما يعطيه
من المعنى كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القران
والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر ومن فتح كلاهما تعليل
والثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن
بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على

خ يحزن

تقديره فمعنى إن صحّ بأن تقدّر معنى التعليل ولا تقدّر البدل كما أنك تفصل
بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدّر معنى المفعولية ثم إن قدّرته كاسرًا
أو فاتحًا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهي رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الحزن على كون الله عالمًا بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما
يوجب شيئًا ألا ترى إلى قوله ولا تكوننّ ظهيرًا للكافرين ولا تكوننّ من المشركين
ولا تدع مع الله إلهًا آخر قبّح الله عز وجل إنكارهم البعث تقبيحًا لا ترى أعجب
منه وأبلغ وأدلّ على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق
الأيادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرّره بأن عنصره الذي خلقه
منه هو أخس شيء وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة
النجاسة ثم عجّب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة
الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلجّ ويمحك ويقول من يقدر على
إحياء الميت بعدما رمّت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به
وهو كونه منشأً من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي
لا مطمح وراءها وروي أن جماعة من كفار قريش منهم أبيّ بن خلف الجمحي وأبو جهل
والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبيّ ألا ترون إلى ما يقول
محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرنّ إليه ولأخصمنّه وأخذ
عظمًا باليًا فجعل يفتّه بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعدما قد رمّ قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فإذا هو خصيم
مبين فإذا هو بعدما كان ماءً مهينًا رجل مميّز منطيق قادر على الخصام **مبين**
معرب عما في نفسه فصيح كما قال أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين
فإن قلت لم سمى قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلًا قلت لما دلّ عليه من قصة
عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله سبحانه على إحياء الموتى أو لما فيه من
التشبيه لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف الله تعالى بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى فإذا
قيل من يحيي العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه
قادرًا عليه كان تعجيزًا لله وتشبيهًا له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه

والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لِمَ لم يؤنث
وقد وقع خبرًا لمؤنث ولا هو فعيل أو فاعل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من
يثبت الحياة في العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها من
قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب
ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد بإحياء العظام
في الآية ردّها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس **وهو بكل خلق**
عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها
وجلائلها ودقائقها ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة
النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الأعراب وأكثرها من المرخ
والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما
غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر
على العفار وهي أنثى فتنقدح النار بإذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنه ليس من شجرة
إلا وفيها النار إلا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كدينات القصارين **الأخضر** على
اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها
البطون فشاربون عليه من الحميم من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما
فهو على خلق الأناسي أقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق
الناس وقرئ يقدر وقوله أن يخلق مثلهم يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر
والقماءة بالإضافة إلى السموات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل للمبتدأ وليس به
وهو الخلاق الكثير المخلوقات **العليم** الكثير المعلومات وقرئ الخالق **إنما أمره**
إنما شأنه **إذا أراد شيئًا** إذا دعاه داعي حكمة إلى تكوينه ولا صارف **أن يقول له كن**
أن يكونه من غير توقف فيكون فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة فإن قلت
ما حقيقة قوله أن يقول له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لا يمتنع عليه
شيء من المكونات وأنه بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع فإن
قلت فما وجه القراءتين في فيكون قلت أما الرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر
لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن فيكون ولما

أبي حنيفة

عنها

الزناد

غصنين

غرفين

النصب فالعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شى مما يجوز على الاجسام اذا
فعلت شيا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدر واستعمال الآلات وما يتبع ذلك
من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه
الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فسبحان
تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده
ملكوت كل شى هو مالك كل شى والمتصرف فيه بمواجب مشيته وقضايا حكمته
وقرى ملكة كل شى ومملكة كل شى وملك كل شى والمعنى واحد ترجعون
بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضى الله عنه كنت لا اعلم ما روى فى فضايل يس وقرايتها
كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شى
قلبا وان قلب القران يس ومن قرا يس يريد بها وجه الله عز وجل غفر الله له واعطى
من الاجر كانما قرا القران اثنى وعشرين مرة وايما مسلم قرى عنده اذا نزل به ملك
الموت سورة يس نزل بكل حرف عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه
ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون
دفنه وايما مسلم قرا يس وهو فى سكرات لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه
رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك
الموت روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض
الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلام ان فى القران سورة تشفع قاريها وتغفر
لمستمعها الا وهى سورة يس

سورة الصافات مكية وهى مايه واحدى وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم الله سبحانه بطوايف الملايكة او بنفوسهم الصافات اقدامها فى الصلوة من قوله
عز وجل وانا لنحن الصافون او اجنحتها فى الهوا واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات
السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات
الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصى الله

عز وجل والتاليات كل من يتلو كتاب الله سبحانه ويجوز ان يقسم بنفوس العلما
الصافات اقدامها فى التهجد وساير الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات
بالمواعظ والنصايح فالتاليات ايات الله والدارسات شرايعه او بنفوس قواد
الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك
لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه فان قلت ما
حكم الفا اذا جاءت عاطفة فى الصفات قلت اما ان تدل على ترتب معانيها فى الوجود
كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب كانه قال الذى صبح فغنم
فآب واما على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل
واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها فى ذلك كقوله رحم الله المحلقين
فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق امر الفا العاطفة فى الصفات فان قلت
فعلى اى هذه القوانين الثلثة هى فيما انت بصدده قلت ان وحدت الموصوف كانت للدلالة
على ترتب الصفات فى التفاضل وان ثلثته فهى للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك
انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملايكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفا يفيد
ترتبا لها فى الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك
ان اردت العلما وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوايف الصافات ذوات
فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك ان اردت بالصا
فات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان
الموصوفات مختلفة وقرى بادغام التاء فى الصاد والزاى والذال رب السموات خبر
بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والمشارق ثلثماية وستون مشرقا وكذلك
المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا
تطلع ولا تغرب فى واحد يومين فان قلت ماذا اراد بقوله رب المشرقين ورب
المغربين قلت اراد مشرق الشتا والصيف ومغربيهما الدنيا القربى منكم والزينة
مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشى كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما
قوله بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اى بان زانتها
الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول اى بان زان الله تعالى

الكواكب وحسنها لانها انما زينت السما بحسنها في انفسها واصله بزينةٍ الكواكبِ وهي
قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع
الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان
يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه بزينة الكواكب بضوء
الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزا
وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينةٍ الكواكبَ بتنوين
زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة
وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسما وحفظا من
الشياطين كما قال ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب
وقيل وحفظناها حفظا **والمارد** الخارج من الطاعة المتملس منها والضمير في
لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد واصله
يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن عباس رضي الله عنه
هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون كيف اتصل
بما قبله قلت لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او استينافا
فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يستمعون لا معنى له وكذلك
الاستيناف لان سايلا لو سال لم يحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم
يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع
وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا وهم مقذوفون
بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف خطفه واسترق استراقه
فعندها تعاجله الهلكة باتباع **الشهاب** الثاقب فان قلت هل يصح قول من زعم
ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي
ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده
فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القران عن مثل هذا التعسف

واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت
حديثه والى حديثه قلت المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع
الادراك **والملا** الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم
الملا الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس رضي الله عنه هم الكتبة من
الملائكة وعنه اشراف الملائكة **من كل** جانب من جميع جوانب السما من اي جهة
صعدوا للاستراق **دحورا** مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد
او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون
او قذفا وقرا ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا او على انه قد جا
مجي القبول والولوع **والواصب** الدايم وصب الامر وصوبا يعني انهم في الدنيا مرجومون
بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة نوع من العذاب دايم غير منقطع من في محل الرفع بدل من
الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف
الخطفة بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها
واصلهما اختطف وقرئ فاتبعه وفاتبعه فاستفتهم الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي
بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي فاستخبرهم **اهم** اشد خلقا
ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة امن خلقنا
بالفاء المعقبة وقوله امن خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفا ببيان ما
تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجايب الخلق وبدايعه فاستفتهم اهم اشد
خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ امن عددنا بالتخفيف
والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي
خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة
الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلايق العظيمة ولم يصعب عليه
اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم **من طين** لازب اما شهادة
عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة
او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا
ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ا اذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه

من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم
وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والباء ثابتة لتشديد الالصاق **بل عجبت** من قدرة الله
سبحانه وتعالى على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن امر البعث وقرئ بضم التاء
اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي هؤلاء بجهلهم
وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم
يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه فان قلت كيف يجوز العجب على الله وانما هو
روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة
قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام وقد جاء في الحديث عجب ربكم
من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرا بالفتح ويقول ان الله لا يعجب
من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابرهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد
عبد الله بن مسعود وكان يقرا بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت **واذا ذكروا**
ودابهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا راوا آية من آيات الله البينة كانشقاق
القمر ونحوه **يستسخرون** يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان
يسخر منها **او آباؤنا** معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز
العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد
يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرئ او آباؤنا **قل نعم** وقرئ نعم
بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم اي الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون
وانتم داخرون صاغرون **فانما** جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما
هي الا زجرة واحدة **وهي** لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما
البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر
الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فرجعت لصوته ومنه زجر ابي عروة السباع
اذا صاح بها فتفتق مرارتها يريد تصويته بها فاذا هم احياء يبصرون **ينظرون**
يحتمل ان يكون **هذا يوم الدين** الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم
مع بعض وان يكون من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي
ندان فيه اي نجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق

الهدى والضلالة **احشروا** خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض **وازواجهم**
وضرباءهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل الزنا مع
اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي
على دينهم **فاهدوهم** فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ
لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين
بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم
غير منتصر وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام **اليمين** لما كانت اشرف
العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون
ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا
اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضد
الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها بالشمال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات
والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه والمسيء ان يؤتاه بشماله
استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته
فصده عنه واضله وجاء في بعض التفاسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من
قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه
من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه
خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة
فان قلت قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين
مجازا عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك
ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة
حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم
والغواة لشياطينهم **بل لم تكونوا مؤمنين** بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم
عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين **وما كان لنا**
عليكم من سلطان تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم **بل كنتم قوما طاغين** مختارين
الطغيان **فحق علينا** فلزمنا **قول ربنا** انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون

لغوايته لأنه صحاله لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال
إنكم لذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم
ونحوه قول القائل لقد علمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك
ومنه قول المحلف للحالف احلف لأخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء
لإقبال المحلف على المحلف فأغويناكم فدعوناكم إلى الغي دعوة محصلة للبغية
لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد إنا كنا غاوين فأردنا إغواءكم لتكونوا
أمثالنا فإنهم فإن الأتباع والمتبوعين جميعاً يومئذ يوم القيامة مشتركون
في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية إنا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني أن
سبب العقوبة هو الإجرام فمن ارتكبه استوجبها إنهم كانوا إذا سمعوا بكلمة التوحيد
نفروا واستكبروا عنها وأبوا إلا الشرك لشاعر مجنون يعنون محمداً صلى الله
عليه وسلم بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقاً
لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله
إلا قليلا بحذف التنوين وقرئ على الأصل لذائقون العذاب إلا ما كنتم تعملون إلا مثل
ما عملتم جزاء سيئاً بعمل سيئ إلا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع فسر
الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني أن
رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات بأنهم أجسام محكمة
مخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز أن يراد رزق
معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر
وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة
الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله وهم مكرمون هو الذي
تقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من أعظم ما يجب أن
يتوق إليه نفوس ذوي الهمم كما أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم
هوان أهل النار وصغارهم التقابل أتم للسرور والأنس وقيل لا ينظر بعضهم
إلى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأساً
قال وكأس شربت على لذة وعن الأخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر
وكذا في تفسير ابن عباس رضي الله عنه من معين من شراب معين أو من نهر

معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لأنه يجري
في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر لذة للشاربين بيضاء صفة
للكأس لذة إما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هي تأنيث اللذ يقال
لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال ولذ
كطعم الصرخدي تركته بأرض العدا من خشية الحدثان يريد النوم الغول من غاله
يغوله غولاً إذا أهلكه وأفسده ومنه الغول التي في تكاذيب العرب وفي أمثالهم
الغضب غول الحلم وينزفون على البناء للمفعول من نزف فلان إذا خرج دمه
كله ونزحت الركية حتى نزفتها إذا لم تترك فيها ماء وفي أمثالهم أحمق من المنزوف
ضرطاً وقرئ ينزفون من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه قال الأبيرد
لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع
السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب
وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب
إذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من
مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون
وهو أعظم مفاسدها فأفرده وأفرده بالذكر قاصرات الطرف قصرن
أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفاً إلى غيرهم كقوله تعالى عرباً أتراباً والعين
النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء
وتسميهن بيضات الخدور فإن قلت علام عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض
قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب
قال وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام فيقبل
بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا إلا أنه جيء به ماضياً على
عادة الله سبحانه في أخباره قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين بتشديد
الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فا
ستجدى بعض إخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله منه في
الآخرة خيراً منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب
الثواب والله لا أعطيك شيئاً لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء أو لمسوسون

من ثبوت تعالى ذاته سابقة ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال يعني ذلك
القائل هل انتم مطلعون الى النار لأريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر
أهلها منها الى اهل النار وقيل القائل الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل
تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار وقرئ مطلعون فأطلع وفأطلع
طلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فأطلع بالتخفيف على
لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطّلع بمعنى واحد
والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فأطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فاعتبروه
فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في
اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه
وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعونِ بكسر النون اراد مطلعون اياي
فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه
اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع
الا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن ابي عبيدة
قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي ان مخففة من الثقيلة
وهي تدخل على كاد كما يدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية لتردين لتهلكن وفي قراءة عبد الله لتغوين ونعمة ربي العصمة
والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء او انعام الله
بالثواب وكونه من اهل الجنة من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته
انت وامثالك الذي عطفت عليه الفاء محذوف ومعناه انحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم
وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم الا الموتة الاولى بخلاف الكفار
فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من
الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع
من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذيبا ولحكمة الله فيكون لنا لطفا
وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم
اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا

له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادات تمت قصة المؤمن
وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال أذلك الرزق خير نزلا اي خير
حاصلا أم شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام
كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل
شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما
تقول اثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار
نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان
من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن
ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم
انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم
واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا
كيف تكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في
اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها والطلع
للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او
معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر
لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا
تخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس
شيطان واذا صوره المصورون جاءوا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله
كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة
قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل
الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن
خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين وما سمت العرب
هذا الثمر برؤوس الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك
رجع اصلا ثانيا يشبه به منها من الشجرة اي من طلعها فمالئون بطونهم

لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب
فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد شوبه اي مزاجه
من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة
ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر
فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وفي قوله ثم ان
مرجعهم قلت في الاول وجهان احدهما انهم يملؤون البطون من شجر الزقوم وهو
حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون
ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة
ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام
ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم
في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون منها الى ان يتملؤا
ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم
ان منقلبهم ثم علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد
كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل **والاهراع**
الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة **ولقد ضل**
قبلهم قبل قومك قريش **منذرين** انبياء حذروهم العواقب المنذرين الذين انذروا
وحذروا اي اهلكوا جميعا **الا عباد الله** الذين امنوا منهم واخلصوا لله دينهم
او اخلصهم الله لدينه على القراءتين لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة
المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة
على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فوالله لنعم
المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة
واوصلها الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما
يكون **هم الباقين** هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي انه مات
كل من كان معه في السفينة غير ولده وهم الذين بثوا منها نسلهم الى يوم
القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة اولاد سام

وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق
الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج **وتركنا** عليه في الاخرين
من الامم هذه الكلمة وهي **سلام** على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له
وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها فان قلت فما معنى قوله
في العالمين قلت معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم
منها كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه
عن اخرهم علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره
وتسليم العالمين عليه الى اخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان
عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم
ويرغبك في تحصيله والازدياد منه **من شيعته** ممن شايعه على اصول الدين وان
اختلفت شرائعهما او اتفاق اكثر الاشياء وعن ابن عباس رضي الله عنه من اهل دينه وعلى
سنته وما كان بين نوح وابراهيم عليهما السلام الا نبيان هود وصالح عليهما السلام وكان
بين نوح وابراهيم عليهما السلام الفان وستمائة واربعون سنة فان قلت بم تعلق الظرف
قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء
ربه بقلب سليم لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع افات القلوب وقيل
من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق وليس بعض الافات اولى من بعض فيتناولها
كلها فان قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه
فضرب المجيء مثلا لذلك **افكا** مفعول له تقديره أتريدون الهة من دون الله افكا وانما قدم
المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده
ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني اتريدون
الهة من دون الله افكا **فما** ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا
للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى
انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء
حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يفعل
بعقابكم وقد عبدتم غيره **في النجوم** في علم النجوم او في كتابها او في احكامها

حرم معنى السؤال الثاني الذي تقدم في قوله ثم ان مرجعهم

حرم اي تركنا سلاما عليه في كل احد من العالمين

وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر
له وكتاب انظر فيه كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في
علم النجوم على انه يسقم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون
وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا
منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل
فان قلت كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب
والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان الكذب
حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه معراض
من الكلام ولقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة
داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء
وقد مات رجل فجاة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي
اصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم فراغ الى الهتهم
فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى الهتهم الى اصنامهم التي هي في زعمهم
الهة كقوله اين شركاي الا تاكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبا
لانحطاطها عن حال عبدتها فراغ فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم
ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا
بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا
قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف
وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم يزفون يسرعون من زفيف النعام
ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف
بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف
يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم
اليه فان قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابرهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا انهم ادبروا عنه
خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه

اي المراد

عليهم ح

ويوقعوا به وذكر ثم انهم سالوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابرهيم
يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الاخر
انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذين
ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور
والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام لياكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك
عليه وراوها مكسورة اشمازوا من ذلك وسالوا من فعل هذا بالهتنا ثم عليه
اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا
فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك
احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر
وقولهم فاتوا به على اعين الناس والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم
وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله قال بل ربكم رب السموات والارض الذي
فطرهن اي فطر الاصنام فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث
اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي
وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها دون
جواهرها والاصنام جواهر واشكال فخالق جواهرها الله وعاملو اشكالها
الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه
فان قلت فما انكرت ان تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم
وعملكم كما يقول المجبرة قلت اقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج
العقل والكتاب ان معنى الاية ياباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك ان
الله عز وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود وشكله ولولاه لما قدر
ان يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا
عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء اخر وهو ان قوله وما تعملون ترجمة عن قوله
ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها الا
متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القران فان قلت
اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم قلت

جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق
على ان العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود

بل الالزامان في عنقك لا ينفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها
موصوله فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها
مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون
حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما
تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها
مصدرية **الجحيم** النار الشديدة الوقود وقيل كل نارٍ على نارٍ وجمرٍ فوق
جمرٍ فهي جحيم والمعنى ان الله تعلى غلبه عليهم في المقامين جميعا واذلهم بين يديه
ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله سبحنه والهمه ما القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا
الى المكر فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه اراد
بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة اليه من ارض الشام كما قال
اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما
قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كان الله وعده وقال له سيهديك
فاجرى كلامه على سنن موعده او بناه على عادة الله معه في هدايته وارشاده
واظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجا والطمع لقال كما
قال موسى عليه السلام عسى ربي ان يهديني سوا السبيل **هب لي** من الصالحين هب لي بعض الصالحين
يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جا في الاخ في قوله تعلى ووهبنا له
من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا
له يحيى وقال علي بن ابي طالب لابن عباس رضي الله عنهما حين هناه بولده علي ابي الاملاك شكرت
الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب
ووهب وموهب وقد انطوت البشارة على ثلث على ان الولد غلام ذكر وانه
يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه
الذبح فقال ستجدني ان شا الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله
الانبيا عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت
الله به ابرهيم في قوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما
جميعا **فلما** بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه فان قلت معه بم يتعلق

لان عليا كان علي بن عبد الله بن عباس سماه علي بن ابي طالب وكناه بكنيته

اواه حليم ان ابراهيم

بلغ

قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف ولا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه
بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي ان يكون
بيانا كانه قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من
فقال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره
ربما عنف به في الاستسعا فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده
وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد
الطفولية كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال
تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم اني ارى في المنام فقيل له اذبح ابنك
ورؤيا الانبيا وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني ارى في المنام اني اذبحك
فذكر تاويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد راى انه راكب في سفينة رايت في المنام
اني ناج من هذه المحنة وقيل راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك
بذبح ابنك هذا فلما اصبح روّى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم
ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من
الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم
يوم النحر وقيل ان الملايكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما
ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك **فانظر** ماذا ترى من الراي على وجه
المشاورة وقرى ماذا تري اي ماذا تبصر من رايك وتبديه وماذا ترى على
البنا للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الراي **افعل** ما تؤمر اي ما تؤمر به
فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امرك
على اضافة المصدر الى المفعول والمامور به امرا وقرى ما تؤمر به فان قلت
لم شاوره في امر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته
ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلا الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن
عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها
ويلقى البلا وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله
ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل

لو ساوى آدم الملائكة وأكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فإن قلت لم كان
ذلك بالمنام دون اليقظة قلت كما أري يوسف عليه السلام سجود أبويه
وإخوته له في المنام من غير وحي إلى أبيه وكما أري رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول
المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الأنبياء وذلك لتقوية الدلالة
على كونهم صادقين مصدقين لأن الحال إما حالة يقظة أو حالة منام فإذا تطابقت
هاتان الحالتان على الصدق كان أقوى للدلالة من انفراد أحدهما يقال سلم لأمر الله
وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا إذا انقاد له وخضع وأصلها
من قولك سلم هذا لفلان إذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم
لأمر الله وأسلم له منقولان منه بالهمزة وحقيقة معناهما أخلص نفسه لله
وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في أسلما
أسلم هذا ابنه وهذا نفسه **وتله للجبين** صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه
على الأرض تواضعا لله على مباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان
وروي أن ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على
مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم فإن قلت أين جواب لما قلت
هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت
الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما
واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم
بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب والأعواض
ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل
لتخويل ما خولهما الله من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس
البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة
الصعوبة التي لا محنة أصعب منها **الذبح** اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضي الله عنه
هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به
إسماعيل وعن الحسن فدي بوعل أهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت
تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم **عظيم** ضخم الجثة سمين

حـ رم
اي طلب سلامة نفسه وخلوص نفسه

وهي السنة في الأضاحي وقوله عليه السلام استفرهوا ضحاياكم فإنها على الصراط
مطاياكم وقيل إنه وقع فداء عن ولد إبراهيم عليه السلام وروي أنه هرب من إبراهيم
عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي وروي أنه رمى
الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي أنه لما ذبحه قال جبريل
عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم الله
أكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه قال يا بني خذ
الحبل والمدية وانطلق بنا إلى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير أخبره بما
أمر فقال له اشدد رباطي لا أضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء
من دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على
حلقي حتى تجهز علي ليكون أهون فإن الموت شديد واقرأ على أمي سلامي وإن
رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها فقال إبراهيم عليه السلام
نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان
ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لأن الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له
كبني على وجهي فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين
أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا إبراهيم قد
صدقت الرؤيا فنظر فإذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل والكبش
وإبراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود إلى الأرض
جاء الفرج وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه
يلزمه ذبح شاة فإن قلت من كان الذبيح من ولديه قلت قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن
عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين رضي الله عنهم أنه إسماعيل والحجة
فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابي يا ابن الذبيحين
فتبسم فسئل عن ذلك فقال إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله
له أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا افد
ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسماعيل وعن محمد بن كعب القرظي
قال كان مجتهدو بني إسرائيل يقولون إذا دعا اللهم إله إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل

حـ رم
أجهز على الجريح
وأجهز عليه إذا أسرع
قتله

وقال موسى يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل
وانا بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم
يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خير بيني وبين شي قط الا اختارني واما اسمعيل فانه
جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل
عليه ان الله تعالى لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال
لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر رضي الله عنه ان هذا شي ما كنت انظر فيه
واني اراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم
انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش
كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال
سالت ابا عمرو بن العلا عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان
اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة
ومما يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل واليسع وذا
الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه
كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله
بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب
فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وابن مسعود وعطا وعكرمه وجماعة من التابعين انه اسحق والحجة فيه
ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام انه استوهبه ولدا ثم اتبع
ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل
عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم
خليل الله فان قلت اكان ابرهيم صلوات الله عليه وسلم في المنام بان يذبح ولده ولم
يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح
قلت قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على
حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل
ابرهيم عليه السلام الا ترى ان المأمور لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا

كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به
قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شي كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه فان
قلت ان الله تعالى هو المفدي منه لانه الامر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه
قلت الفادي هو ابرهيم عليه السلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وانما قال
وفديناه اسنادا للفدا الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته فان قلت فاذا
كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفدا
انما هو التخليص من الذبح بدله قلت قد علم الله سبحانه ان حقيقة الذبح لم تحصل
من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله سبحانه له الكبش ليقيم ذبحه مقام
تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه فان
قلت فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام
الذبح من غير نقصان قلت الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفا
بالمنذور وايجاد المامور به من كل وجه فان قلت ههنا كذلك نجزي المحسنين وفي
غيرها من القصص انا كذلك قلت قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه
اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية نبيا حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين
فان قلت فرق بين هذا وبين فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول
والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك
المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان
الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم
توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا
مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان
لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فمقدرتها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس
كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة
باسحق لعدم اسحق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال
انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي
بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير
قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثنا والتقريظ
لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه
بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه

هو لعد يعقوب واسم اعجمي

وكان الاحتراق في الجاهلية

حاله

بإسحق نبيا قالوا ولا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوته معا لأن الامتحان بذبحه
لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبيا **وباركنا** عليه وعلى إسحق وقرئ وبركنا أي
أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة
لمن الصالحين وقيل وباركنا على إبراهيم في أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل
من صلبه وقوله **وظالم** لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين
وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر
الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم
في أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة إنما يعاب بسوء فعله ويعاتب
على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه **من** الكرب العظيم من الغرق
أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم **ونصرناهم** الضمير لهما ولقومهما في
قوله ونجيناهما وقومهما **الكتاب** المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال
إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال من جوز أن تكون التوراة عربية أن
تشتق من ورى الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة من واو **الصراط** المستقيم
صراط أهل الإسلام وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
قرئ إلياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو إدريس النبي صلى الله
عليه وسلم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وإن إدريس في موضع إلياس وقرئ إدراس
وقيل هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أخي موسى **أتدعون** بعلا أتعبدون
بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان
طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه
أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم
بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك
من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال
من بعل هذه الدار أي من ربها والمعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون
عبادة الله **الله** ربكم ورب آبائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل
وكان حمزة إذا وصل نصب وإذا وقف رفع وقرئ على إلياسين وإدريسين
وإدراسين وإدرسين بالوصل على أنه جمع يراد به إلياس وقومه كقولهم
الخبيبون والمهلبون فإن قلت فهلا حملت على هذا إلياسين على القطع وإخوانه
قلت لو كان جمعا لعرف بالألف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فعلى أن

آل ياسين اسم أبي إلياس أضيف إليه الآل **مصبحين** داخلين في الصباح يعني تمرون على
منازلهم في متاجركم إلى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها وقرئ
يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير إذن ربه إباقا على
طريقة المجاز **فساهم** همة المفاعلة ويقال استهم القوم إذا اقترعوا **والمدحض**
المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي أنه حين ركب
في السفينة وقفت فقالوا ها هنا عبد أبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة
إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس عليه السلام فقال أنا
الآبق وزج بنفسه في الماء **فالتقمه** الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال
رب لائم مليم أي يلوم غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم
فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي
من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن
الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس
رضي الله عنه كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في
الرخاء قال وكان يقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع وجد
متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله
وإقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة
لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد **للبث** في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا
إلى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيامة وروي
أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت إني جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك
طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي أربعون يوما وعن الضحاك عشرون
وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث إلا قليلا ثم أخرج
من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي أن الحوت سار مع السفينة
رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه
سالما لم يتغير منه شيء فأسلموا وروي أن الحوت قذفه بساحل قرية من
الموصل **والعراء** المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم اعتل مما
حل به وروي أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد **واليقطين** كل ما
ينسدح على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل

من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل الدبا وفايدة الدبا ان الذبان لا تجتمع عنده وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين
وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل
كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه
مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى الله اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على
مائة الف في يد الكافر فان قلت ما معنى انبتنا عليه شجرة قلت انبتناها فوقه مظلة
له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف المراد به ما سبق من ارساله
الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى
غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع
اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون في مراى الناظر اي
اذا راها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى اجل
مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم معطوف على مثله في اول
السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار
البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه
القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم
الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادهم واستنكافهم من
ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة
مختصة بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين جعلوا اوضع الجنسين له
وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو
كظيم او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق
الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك
شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف
فكرر الله الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في ايات وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السماوات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا سبحانه بديع السماوات والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون
ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ
مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة

اناثا وهم شاهدون خص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك
قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق انفسهم
وذلك انهم لما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم
ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك
كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا
خلقهم وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي فان قلت
اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت
قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات قلت جعله من كلام الكفرة
بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان
هذا محلها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها
وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد
اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم سلطان اي
حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم
وذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه
الايات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب
التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك
عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مخطر مثل ذلك على باله ويحدث
به نفسا فضلا عن ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بينه
وبين الجنة واراد الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا
نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة فان قلت
لم سمي الملائكة جنة قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان
شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك
فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم
وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضا
فوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات
الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوي بين الملك وبين بعض

خواصه ومقربيه فيقول لك أتسوي بينه وبين عبدي إذا ذكرته في عرض هذا المقام وقد
وكناه والضمير في إنهم لمحضرون للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في
الملائكة وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون
النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث أضيف إلى علم الذين
ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا
إن الله والشيطان أخوان وعن الحسن أشركوا الجن في طاعة الله وقيل الجنة
الشياطين أي يكون الضمير في إنهم لمحضرون لهم والمعنى أن الشياطين عالمون بأن الله
يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما
عذبهم **إلا** عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين
ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من
الواو في يصفون أي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من أن يصفوه به والضمير
في عليه لله عز وجل ومعناه فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على
الله إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها فإن قلت
كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم من قولك
فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وخببها عليه ويجوز أن تكون
الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت
على كل رجل وضيعته وأن كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فإنكم
وما تعبدون لأن قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لأن معناه فإنكم مع
ما تعبدون والمعنى فإنكم مع آلهتكم أي فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون
تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين أو حاملين على طريق
الفتنة والإضلال إلا من هو ضال مثلكم ويكون في أسلوب قوله فإنك والكتاب
إلى علي كدابغة وقد حلم الأديم وقرأ الحسن رضي الله عنه صال الجحيم بضم اللام
وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين
هي ولام التعريف فإن قلت كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد
اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع
من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني أن يكون أصله صائل على
القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث أن تحذف
لام صال تخفيفا ويجري الإعراب على عينه كما حذف في قولهم ما باليت به

بالة وأصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين
دان وله الجوار المنشآت بإجراء الإعراب على العين **وما** منا إلا له مقام
معلوم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كقوله أنا ابن جلا وطلاع
الثنايا بكفي كان من أرمى البشر مقام معلوم في العبادة والانتهاء إلى أمر
الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا
يرفع رأسه **لنحن** الصافون نصف أقدامنا في الصلاة وأجنحتنا في الهواء منتظرين
ما نؤمر وقيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل إن المسلمين
إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلا
تهم غير المسلمين **المسبحون** المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما
قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم
في قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون
عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله
المخلصين وبرأوهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون
أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه إلا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم
لا لتقديره وإرادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا أنهم من أهل النار
وكيف نكون مناسبين لرب العزة وجامعين وإياه في جنسية واحدة وما نحن إلا عبيد
أذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا
لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون أقدامنا لعبادته وأجنحتنا مذعنين خا
ضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر
عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وأنهم
الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف إليه من لا يعرفه
مما لا يجوز عليه هم مشركو قريش كانوا يقولون **لو** أن عندنا ذكرا أي
كتابا من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة
لله ولما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو
سيد الأذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه
فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم

لمن الاقسام وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه
مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اولهم وآخره الكلمة قوله إنهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى
واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم
على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة
كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد
وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى
بمشاهد رسول الله والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها ويعتبر بها وعن
الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولأن قاعدة امرهم واساسه والغالب
منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة فالحكم
للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنه إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة
ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم فأعرض عنهم
واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي
الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيمة وابصرهم وما يقضى عليهم من
الاسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد
والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة
على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك
وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف
لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه
قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم
تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت
عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت
آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك
موردها على طبعك ونفسك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرأ ابن مسعود
رضي الله عنه فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور
كقولك ذهب بزيد ونزل على نزل العذاب والمعنى فساء صباح
المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء

وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله يوم الفتح بمكة وعن انس لما
أتى رسول الله خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد
والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على
تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق
الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر
من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر
عذاب الآخرة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة
كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من
عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز
من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما
هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة
عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه المشركون والتسليم
على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض
تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه
الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال
بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من
مجلسه سبحان ربك رب العزة الى آخر السورة وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلامه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين وصلى الله على محمد وآله

سورة ص مكية وهي ست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **ص** على الوقف وهي أكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وإيصال فعله الله لأفعلن كذى بالنصب أو بإضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه **فإن قلت** قوله ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز كما مر في أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال والقرآن ذي الذكر إنه لكلام معجز والثاني أن يكون ص خبر مبتدإ محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعني هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله وإذا جعلتها مقسماً بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف

والشهرة من قولك فلان مذكور **وإنه لذكر لك ولقومك** أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق **كم أهلكنا** وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا وعن الحسن رضي الله عنه فنادوا بالتوبة **ولات** هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيها إما الاسم وإما الخبر وامتنع بروزهما جميعاً وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان **وحين** مناص منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر أي ولا أرى حين مناص ويرتفع بالابتداء أي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما أن النصب على ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلاً لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول أبي زبيد الطائي

طلبوا صلحنا ولات أوان ... فأجبنا أن لات حين بقاء

فإن قلت ما وجه الكسر في أوان **قلت** شبه بإذ في قوله وأنت إذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين لأن الأصل ولات أوان صلح **فإن قلت** ما تقول في حين مناص والمضاف إليه قائم **قلت** نزل قطع المضاف إليه من مناص لأن أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه وجعل تنوينه عوضاً من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافاً إلى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير **فإن قلت** كيف يوقف على لات **قلت** يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة وأما قول أبي عبيد إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت

يقال ناص ينوص إذا فاته واستناص طلب المناص **قال** حارثة بن بدر غمر الجراء إذا قصرت عنانه
بيدي استناص ورام جري المسحل **منذر منهم** رسول من أنفسهم وقال الكافرون
ولم يقل وقالوا إظهاراً للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون
المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي إذ قال فيهم أولئك هم الكافرون حقاً وهل ترى
كفراً أعظم وجهلاً أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذباً ويتعجبوا من
التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه
لصحته روي أن إسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحاً شديداً وشق
على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم ومشوا إلى أبي
طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين
دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على
قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا
وندعك وإلهك فقال عليه السلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطيّ أنتم كلمة
واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشراً أي نعطيكها
وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلهاً
واحداً **إن هذا لشيء عجاب** أي بليغ في العجب وقرئ عجّاب بالتشديد كقوله مكراً
كبّاراً وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرّام وقوله أجعل الآلهة إلهاً واحداً
مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً في أن معنى الجعل
التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحداً
في قوله لأن ذلك في الفعل محال **الملأ** أشراف قريش يريد وانطلقوا عن
مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد
قائلاً بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد إن

هذا الأمر لشيء يراد أي يريده الله سبحانه وتعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله
كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد
بنا فلا انفكاك لنا منه أو إن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه
وأن بمعنى أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما
جرى لهم فكان انطلاقهم مضمناً معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع
في القول وأنهم قالوا امشوا أي أكثروا واجتمعوا من مشت المرأة إذا كثرت ولا
دتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على آلهتكم اصبروا على عبادتها والتمسك بها
حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير أن على إضمار القول وعن ابن
مسعود رضي الله عنه وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا في الملة الآخرة في ملة عيسى
التي هي آخر الملل لأن النصارى يدعونها وهي مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش التي
أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائناً في الملة الآخرة على أن يجعل في الملة الآخرة
حالاً من هذا ولا يعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى أنا لم نسمع من أهل
الكتاب ولا الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله سبحانه **ما هذا
إلا اختلاق** أي افتعال وكذب أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم
ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من
الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من القرآن يقولون
في أنفسهم إما وإما وقولهم إن هذا إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه
يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذابي بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما
بهم من الشك والحسد حينئذ يعني أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب مضطرين
إلى تصديقه **أم عندهم خزائن رحمة ربك** يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة

حتى يصعدوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
ويترفعوا بها عن محمد عليه السلام وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر
على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه
حكمته وعدله كما قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال
ام لهم ملك السماوات والارض حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي
تختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون
لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين
من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا تحق له فليرتقوا في الاسباب فليصعدوا في المعارج
والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت
الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خسأة عن ذلك بقوله
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل
الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون
وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث ما على
قصره الا انه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم
من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك
ذو الاوتاد اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده **قال** والبيت لا يبتنى الا
على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات العز والملك واستقامة
الامر كما **قال** الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح
المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من
حديد فيتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل
عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه
اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند

المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في
الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل
واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم
جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة
الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد
والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وابلغه ثم
قال **فحق عقاب** اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم هؤلاء اهل مكة ويجوز
ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند
الله **والصيحة** النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار
فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر
هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
وعن ابن عباس رضي الله عنه ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع
الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة
فحسب لا تثنى ولا تردد **القط** القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا
قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله
تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة
فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر
فيها **فان قلت** كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر
عبدنا داود حتى عطف احدهما على صاحبه **قلت** كانه قال لنبيه صلى
الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر
قصة داود وهو انه نبي من انبياء الله قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته

حرم
القطع والقطعة بمعنى المقطوع
عبر ان القطع علف كن
... وما يتعلق به

عليه وزلفته لديه ثم زلته فبعث الله اليه الملكين ووبخه عليها على طريق
التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من
بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش خطيئته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد الندم
عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال له صلى الله عليه وسلم
اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم
وتحمل أذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة
اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في
الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم
يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو
أيد وآد وأياد بمعنى ما يتقوى به **اواب** تواب رجاع الى مرضاة الله
فان قلت ما دلك على ان الايد هو القوة في الدين **قلت** قوله تعالى انه اواب
لانه تعليل للايد والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء
ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس
ولما تشرق وعن ام هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ
ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلاة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال
معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلام
وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسي شيء من صلوة
الضحى حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي
صلوة الضحى ثم صلاها وعن كعب انه قال لابن عباس رضي الله عنه اني لاجد
في كتب الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله يعني هذه
الآية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى فاخذتهم

الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير كيما نغير ويراد وقت صلوة
الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال **فان قلت**
هل من فرق بين يسبحن ومسبحات **قلت** نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا
لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكأن
السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله **قول** الاعشى الى ضوء
نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيئا **وقوله** محشورة في مقابلة يسبحن
الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به
اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا
بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة أدل على القدرة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك
حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع **كل له اواب** كل واحد من الجبال
والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع
المسبح إما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا
بعد رجوع واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته
من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله عز وجل
اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا
ملكه** قويناه قال تعالى سنشد عضدك باخيك وقرئ شددنا على
المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد
الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز
عن اقامة البينة فاوحى الله اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد
الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت ابا
هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه

الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة الفصل
التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم
قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اي
مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه
من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطي صاحبه مظان
الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل
للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو
ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف
والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور واردت بفصل
الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب
والخطا وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي
رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل
بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم
في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق له فصل
بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه
اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصل لا نزر ولا هذر كان اهل زمان داود عليه السلام يسال بعضهم بعضا
ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة
بذلك قد اعتادوها وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل
ذلك فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على امراة رجل يقال له اوريا
فاحبها فساله النزول عنها فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان
عليه السلام فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شانك

وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة النزول
عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما
امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على
خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود تمنى منزلة اباءه ابرهيم واسحق
ويعقوب فقال يا رب ان ابائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا
فصبروا عليها قد ابتلي ابرهيم بنمروذ وذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب
بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسال الابتلا فاوحى الله اليه انك لمبتلى في يوم كذا
فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور
فجا الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده لياخذها لابن له صغير فطارت
فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها
فغطى بدنها وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقا فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب
بعث البلقا ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت
لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله على يده وسلم
فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل فاتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان
يحزن على الشهدا وتزوج امراته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين
بالصلاح من افنا المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبيا وعن سعيد بن المسيب والحارث الاعور
رضي الله عنهما ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود
على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبيا وروي انه
حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به فقال
ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير
ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه صلى الله
عليه وسلم فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر رضي الله عنه لسماعي هذا الكلام

اي القصة

احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله بقصته عليه
السلام ليس الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب فان قلت لم جاء
على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل
ان التامل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه
واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطا فيه من
ان يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء
كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها
عليه ولا يصرح وان تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج حال صاحب
الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا
لشانه فيتصور قبح ما وجد كان ذلك على وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما حكم
به بقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا
على نفسه بظلمه وهل اتاك نبا الخصم ظاهره الاستفهام
ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع ولا تخفى على احد
والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف
قال الله تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه
خصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية
فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل
عليه قراءة من قرا خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان
خصمان اختصموا في ربهم فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على اثنين
قلت هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض فان قلت فقد
جاء في الرواية انه بعث الله ملكين قلت معناه ان التحاكم كان بين ملكين
ولا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون فان قلت فاذا كان التحاكم

منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم

بين اثنين فكيف سماهم جميعا خصما في قوله نبا الخصم وخصمان قلت لما كان صحب
كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به فان قلت بم
انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف ولا يسوغ انتصابه
باتاك لان اتيان النبا رسول الله لا يقع الا في عهده لا في عهد داود عليه السلام
ولا بالنبا لان النبا الواقع في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان اردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف وتقديره
وهل اتاك نبا تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل
واما الثانية فبدل من الاولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا
اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذراه
علا ذروته روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا
عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر
الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس رضي الله عنه ان داود عليه السلام
جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره
ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤوه في غير يوم القضاء ففزع منهم لانهم
نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه
خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان ولا تشطط ولا تجر وقرئ
ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشاطط ولا تشطط وكلها من معنى
الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته
ضربه مثلا لعين الحق ومحضه اخي بدل من هذا او خبر لان المراد اخوة الدين
او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من
الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ
تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات

راجع

نحو بطع وبطع ولقوة ولقوة اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها
كما اكفل ما تحت يدي وعزني في الخطاب وغلبني يقال عزه يعزه قال
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءني بحجاج
لم اقدر على رده وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة
وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها
دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرأ ابو حيوة وعزني
بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على ظلت ومست
فان قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا
وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على انه امر يستحي
من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود عليه السلام
والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اوريا مع قصة داود
بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة
فطمع في نعجة خليطه واراده على الخروج اليه من ملكها وحاجه في ذلك
محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء
وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة فان قلت انما
تستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته بالمفاعلة من
الخطبة لم تستقم قلت الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة
عن المراة كما استعاروا لها الشاة في قوله يا شاة ما قنص لمن حلت له
فرميت غفلة عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن
رملا الا ان الخلطاء تاباه الا ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم
فان قلت الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما
لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم قلت هو تصوير

للمسئلة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول
في تصوير المسائل لزيد اربعون شاة ولعمرو اربعون شاة وانت تشير اليهما
خليطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد
وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما
من الاربعين اربعة ولا ربعها فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه ولي نعجة انثى قلت يقال امراة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها
بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها وازيد في تكسرها وتثنيها
الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله
تمشي رويدا تكاد تنغرف لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك
استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى
المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها
كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب فان
قلت كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الاخر قبل استماع كلامه
قلت ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القران لانه
معلوم ويروى انه قال انا اريد ان اخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال داود
ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال
يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر
داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم
الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي رحمه الله يعتبرها
فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد
منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي
والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكوة الواحد فان
كان لهما اربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون

لكل واحد اربعون تعلفهن واحد منهما وكانت لواحد ۞ وعند ابي حنيفة
رحمه الله لا يعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد وفي اربعين
من خليطين لا شيء عليهما وفي مائة وعشرين بين ثلثة ثلث شياه **فان قلت**
فهذه الخلطة ما تقول فيها **قلت** عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة
اذا اجزنا من ما بهم من الشاة عند الشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفة رحمه الله
لا شيء عليه **فان قلت** ما اراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام
قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الذين
حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم
مع التأسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في
اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغى بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها
كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ
بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للابهام وفيه
تعجب من قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول
امرئ القيس وحديث ما على قصره ۞ وانظر هل بقي له معنى قط لما كان
الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن انما فتناه انما
ابتليناه لا محالة بامرأة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه بالتشديد
للمبالغة وافتناه من **قوله** لئن فتنتني لهي بالامس افتنت ۞ وفتناه وفتناه
على ان الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد
وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله واصحابه في سجدة التلاوة على ان
الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع
ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار والانابة
فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة
عن الصلوة **واناب** ورجع الى الله بالتوبة والتنصل وروي انه بقي ساجدا

بقي ساجدا

اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقأ
دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد
نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب
ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما
غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل
ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين
في الغنم واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والثاني
معسرا ما له الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في غير وقت
الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا انه صدق احدهما على الآخر
وظلمه قبل مسألته **خليفة في الارض** اي استخلفناك على الملك في
الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه
قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين
بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين
الناس بالحق اي بحكم الله سبحانه اذ كنت خليفته ولا تتبع هوى النفس في قضائك وغيره
مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن
سبيل الله عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها
ويوم الحساب متعلق بنسوا اي بسبب نسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم
عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني
مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا
ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل
ام الانبياء ثم تلا هذه الآية **باطلا** خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او
مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا

بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيا موضع
المصدر وهو صفة اي وما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان
خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها
للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك اشارة الى خلقها
باطلا والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان
قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة
قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث
وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة
في خلق العالم من راسها من جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق
العالم فقد سفه الخالق سبحانه وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره
فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الا
نكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفرة لاستوت عند الله احوال من
اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما وقرئ مباركا
وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الايات التفكر فيها والتامل الذي
يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع
بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور
لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن رضي الله عنه قد قرا هذا القران
عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم
ليقول والله لقد قرات القران فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله
ما ترى للقران عليه اثرا في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده
والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء

الوزعة جمع وازع اي مانع

المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح
محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا الى الله بالتوبة او مسبحا مؤوبا
للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب والصافن الذي في قوله الف الصافنات
قياما كانه مما يقوم على الثلث كبيرا وقيل الذي يقوم على طرف سنبك
وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل هو المتخيم واما الصافن فالذي يجمع
بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ
مقعده من النار اي واقفين كما يخدم الجبابرة فان قلت ما معنى
وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في
العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين
واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت
سراعا في جريها خفافا وروي ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين
فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت
من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم
تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان
له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا
لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله
خيرا منها وهي الريح تجري بامره فان قلت ما معنى احببت حب الخير عن
ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت
حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر
ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل
بعير السوء اذ احبا وليس بذاك والخير المال الكثير كقوله ان ترك خيرا وانه
لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير
لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها الى

الخير الى يوم القيمة وقال لزيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل فرايته
الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسال رجل بلالا عن قوم
يستبقون من السابق منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل اردت
الخيل فقال وانا اردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري
الملك والمخباة بحجابهما والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمير
من جرى ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل
يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب
الشمس من ورايه **فطفق مسحا** اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها
تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه
بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع
ومنه الكسيف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف
وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها **فان قلت** بم اتصل
قوله ردوها علي **قلت** بمحذوف تقديره قال ردوها علي فاضمر
واضمر ما هو جواب له كان قايلا قال فماذا قال سليمن لانه موضع مقتض
للسوال اقتضا ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبيا الله بامر الدنيا حتى تفوته
الصلوة عن وقتها وقرى بالسوق بهمز الواو لضمتها كما في ادور ونظيره
الغوور في مصدر غارت الشمس واما من قرا بالسووق فقد جعل الضمة في السين
كانها في الواو للتلاصق كما قيل موسى ونظير ساق وسوق اسد واسد
وقرى بالساق واكتفا بالواحد عن الجمع لامن الالباس فلقد فتن سليمن صلوات الله عليه
بعدما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته
انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله
او نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما راعه الا ان القي على كرسيه
ميتا فتنبه على خطايه في ان لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمن لاطوفن الليلة على سبعين امراة
كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا الله فطاف عليهن
فلم تحمل الا امراة واحدة جات بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شا الله لجا
هدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمن وهذا مما
لا باس به **واما** ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت
سليمن فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمن بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض
الجزاير وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله
الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها
جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكانت
لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها
مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدن له كعادتهن
في ملكه فاخبر اصف سليمن بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده
الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تايبا الى الله متضرعا وكانت له ام
ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها
وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان صاحب
البحر وهو الذي دل سليمن على الماس حين امر ببنا بيت المقدس واسمه صخر
على صورة سليمن فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمن وعكفت
عليه الطير والجن والانس وغير سليمن عن هيبته فاتى امينة لطلب الخاتم فا
نكرته وطردته فعرف ان الخطية قد ادركته وكان يدور على البيوت
يتكفف فاذا قال انا سليمن حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين
ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا
عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف وعظما بني اسرايل حكم الشيطان

وسال آصف سليمن فقال لم تدع امراة منا ودمها ولا يغتسل من جنابه وقيل
نفذ حكمه في عرشي الابيض ثم طار الشيطان فقذف الخاتم في البحر فابتلعته
سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به
ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد
عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن
كان الخاتم يسقط من يده ولا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون
بذنبك والخاتم لا يتقار في يدك فتب الى الله **ولقد** ابا العلما المتقنون قبوله وقالوا
هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط
الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نسا الانبيا حتى يفجروا
بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من
محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان ياذن فيه
واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب
عن افادة معنى انابة السلطان منابه نبوا ظاهرا وقدم الاستغفار على استيهاب
الملك جريا على عادة الانبيا والصالحين في تقديم امر دينهم على امور دنياهم
لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي دوني **فان قلت** اما يشبه
الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره قلت
كان سليمن عليه السلام ناشيا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب
من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة
للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم
وان تكون معجزة حتى تخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي
وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله فيه
كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك وقيل

ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم مقامي غيري
ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم
انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه
اياه فاستوهبه بامر من الله تعالى على الصفة التي علم الله تعالى انه لا يضبطه عليها
الا هو وحده دون ساير عباده واراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد
من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما يقول لفلان ما ليس
لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما
عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جرأته على الله وشيطنته كما حكي عنه
طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق
طاعتنا فقال واولي الامر منكم قرى الريح والرياح **رخا** لينة طيبة لا تزعزع
وقيل طيعة له لا تمتنع عليه حيث اصاب حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن
العرب اصاب الصواب فاخطى الجواب وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة
قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا
ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا **والشياطين** عطف على الريح وكل بنا
بدل من الشياطين واخرين عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل
كانوا يبنون له ما شا من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو
اول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع
بعض في القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد وعن السدي كان
يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطا
لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضوان الله عليه من برك فقد
اسرك ومن جفاك فقد اطلقك **وقول القائل** غل يدا مطلقها وارق رقبة

معيقها وقال حبيب إن القطا إشارة وتبعه من قال ومن جملة الاحسان
قبل أن نبتداه وفي فوائد الفعلين فعالوا اصفدت فيك واصفدته اعطاه أو عده
وأوعده اى هذا الذى اعطيناك من الملك والمال والبسطة **عطاؤنا بغير**
حساب يعنى جمًّا كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة
وهى العطا اى فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه وفي
قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير
عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم
في الوثاق بغير حساب اى لا حساب عليك في ذلك **أيوب** عطف بيان واذ بدل
اشتمال منه أنى مسنى بانى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولو لم يحك
لقال بانه مسه لانه غايب وقرى بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد
وبفتحها وضمها فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر
والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم
يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب وقيل الضر في البدن
والعذاب في ذهاب الاهل **فان قلت** لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه
الله عز وجل على انبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك
لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القران انه لا سلطان له الا
الوسوسة فحسب **قلت** لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس
سببا فيما مسه الله تعالى به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب
في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو
وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه
على الكراهية والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق
في دفعه ورده بالصبر الجميل وروى انه كان يعوده ثلثة من المؤمنين

فارتد احدهم فسال عنه فقيل له القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلى الانبياء والصالحين
وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية
ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله **اركض برجلك**
حكاية لما اجيب به ايوب اى اضرب برجلك الارض وعن قتادة هى ارض الجابية
فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اى هذا ما تغتسل به
وتشرب منه فيبرأ به ظاهرك وباطنك وتنقلب وما بك قلبة اى داء
وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء
من ظاهره وباطنه باذن الله تعالى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة
فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها **رحمة منا**
وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير
اولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة
الصابرين وما يفعل الله بهم **وخذ** معطوف على اركض والضغث الحزمة
الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنه قبضة من
الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امراته مائة اذا برئ فحلل الله يمينه
باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه اتى بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا
فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل
واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود
صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطات عليه ذاهبة في حاجة
فحرج صدره عليها وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق ايوب
عليه السلام اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارد عليكم
ما لكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له

فحلف ان فعل وهمها الشيطان ان ابى به اذا شرب الخمر برأي فعرضت له
بذلك وقيل سالته ان يتقرب للشيطان بعناق **وجدناه صابرا** علمناه صابرا
فان قلت كيف وجده صابرا وقد شكى اليه ما به واسترحمه
قلت الشكوى الى الله عز وعلا لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه
السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك
ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع
تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجا الى الله والدعاء بكشف
ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان يطلب
الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان
يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة
فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته
الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت
يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او
عريان فكشف الله عنه **ابرهيم واسحق ويعقوب** عطف بيان
لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابرهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته
على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله ابيك ابرهيم
واسمعيل واسحق ولما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت
فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة
بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا اولي
الايدي والابصار يريد اولي الاعمال والفكر كأن الذين لا يعملون اعمال الآخرة
ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون
في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا

وعمران

في اعمال

استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من
المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين
منهما وقرئ اولي الايدي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود اولي الايد على طرح اليا
والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن **اخلصناهم**
جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى
الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها
وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار والمعنى ذكرى الدار
على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار
ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكر الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم
فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى
الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم **فان قلت** ما
معنى اخلصناهم بخالصة **قلت** معنى اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم
من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول
قراءة من قرأ بخالصتهم **المصطفين** المختارين من بين ابناء جنسهم والاخيار
جمع خير او خير على التخفيف كاموات في جمع ميت او ميت واليسع كأن
حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على
ليسع فيعل من اللسع والتنوين في وكل عوض من المضاف اليه ومعناه وكلهم
من الاخيار **هذا ذكر** اي هذا نوع من الذكر وهو
القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع
من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال
هذا ذكر ثم قال وان للطاغين لشر مآب كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم
يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد

الشروع في آخر هذا وقد كان كتب وكتب والدليل عليه انه لما اتم ذكر
أهل الجنة وأتبعه بذكر أهل النار قال هذا وإن للطاغين وقيل
هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وعن ابن عباس رضي الله عنه
هذا ذكر من مضى من الأنبياء جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التي
وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل
فيها ما في المتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل
من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل
وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات
عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف أي هو جنات
عدن هي مفتحة لهم كأن اللدات سمين أترابا لأن التراب مسهن في وقت واحد
وإنما جعلن على سن واحد لأن التحاب بين الأقران أثبت وقيل هن
أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهم قرئ بما يوعدون بالياء والتاء
ليوم الحساب أي لأجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه
ليوم الحساب أي ليوم تجزى كل نفس ما عملت هذا أي الأمر هذا أو هذا كما
ذكر فبئس المهاد الذي افترشوه كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم
غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم هذا حميم
فليذوقوه أي العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال حميم وغساق أو هذا
فليذوقوه بمنزلة فإياي فارهبون أي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق
بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين إذا
سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل
لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة
في المغرب لنتنت أهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله

هو علم لجنات باعيانها ... من عدن بالمكان اذا اقام به

أي حصل للمتقين ...

الناس أخفوا الطاعة فأخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة
أعين وأخفوا المعصية فأخفى لهم عقوبة وآخر ومذوقات أخر من شكل
هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة **أزواج** أجناس وقرئ وأخر
أي وعذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة آخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا
أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر
وهي لغة وأما الغنج فبالكسر لا غير **هذا فوج مقتحم معكم**
هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم
وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية
كلام الطاغين بعضهم مع بعض يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين
اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب **لا مرحبا بهم** دعاء منهم على أتباعهم
تقول لمن تدعو له مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك
رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم إنهم صالوا النار
تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها
وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولا مرحبا
بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا
أي الأتباع بل أنتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به
وعللوا ذلك بقولهم أنتم قدمتموه لنا أي المضي للعذاب أو لصليهم **فإن
قلت** ما معنى تقديمهم العذاب لهم **قلت** المقدم هو عمل السوء
قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء
لما كانوا السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه
لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين
لأن العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا
جزاؤه **فإن قلت** فالذي جعلوه لهم لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما

يصح بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما تكلموا به
هدا احوانا لهم **قلت** كانه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم
يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح
كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى لهم
الله هؤلاء ما اسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا
انتم لم نرتكب ذلك قالوا هم الاتباع ايضا فزده عذابا ضعفا في النار اي
مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا
وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا
آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا بالضعفا حيات وافاعي
وقالوا الضمير للطاغين رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم
من الاشرار من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف
دينهم وكانوا عندهم اشرارا **أتخذناهم** سخريا قرئ بلفظ الا
خبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام
على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقوله ام زاغت
عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما
لنا لا نراهم في النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم
فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار
الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا
اما ان تكون ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام
الازدراء بهم والتحقير وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم
على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك
قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان
تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك

انها لابل ام شاء وازيد عندك ام عندك عمرو ولك ان تقدر همزة
الاستفهام وحذفها من الضعف في وقال الضحاك يريدون كابي جهل
والوليد واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ
سخريا بالضم والكسر ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم
بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وقرئ بالنصب على انه صفة لذلك لان
اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس فان **قلت** لم سمى ذلك تخاصما
قلت شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري
بين المتخاصمين فسمي التخاصم ولانه كله تخاصم لا احتماله على ذلك **قل**
يا محمد للمشركين ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله للمشركين
واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان يعتقد ان لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك
القهار لكل شيء وان الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي
لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ اليه او قل لهم
ما انا الا منذر لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق
بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه **قل هو نبأ عظيم**
اي هذا الذي انبأتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له
نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم احتج لصحة نبوته بان ما
ينبئ به عن الملإ الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم
يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل
العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل الا بالوحي من الله **ان يوحى**
الي الا انما انا نذير مبين اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار
فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى
الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما امرت الا بهذا الامر

وحده وليس لي غير ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا اخر وقيل النبا العظيم قصص ادم عليه السلام والانباء به من غير سماع من احد وعن ابن عباس رضي الله عنه القران وعن الحسن يوم القيمة **فان قلت** بم يتعلق اذ يختصمون **قلت** بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم واذ قال بدل من اذ يختصمون **فان قلت** ما المراد بالملا الاعلى **قلت** اصحاب القصة الملئكة وادم وابليس لانهم كانوا في السما وكان التقاول بينهم **فان قلت** ما كان التقاول بينهم انما كان التقاول بينهم وبين الله سبحانه لانه هو الذي قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملا الاعلى هولا وكان التقاول بينهم فلم يكن التقاول بينهم واما ان تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملا الاعلى **قلت** كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملئكة وادم وابليس وهم الملا الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق **فان قلت** كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل **قلت** وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فاذا **سويته** فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي واحييته وجعلته حساسا متنفسا **فقعوا له** فخروا وكل للاحاطة **واجمعون** للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن اخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات **فان قلت** كيف ساغ السجود لغير الله **قلت** الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة واما على وجه التكرمة والتبجيل فلا ياباه العقل الا ان يعلم الله

اي هما نبا عظيم

كما عليه اهل الكتاب

الا ان يعلم الله

انه مفسدة فينهى عنه **فان قلت** كيف استثنى ابليس من الملئكة وهو من الجن **قلت** قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملئكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا **وكان من الكافرين** اريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شئت ويجوز ان يراد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله **فان قلت** ما وجه قوله خلقت بيدي **قلت** قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي **فان قلت** فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي **قلت** الوجه الذي استنكر له ابليس السجود لادم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان ادم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملئكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا واتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حرى ان يقتدي بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبريا وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود لشي هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما فعلت الملئكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه

وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك
ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يامر الملك وزيره ان
يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان
تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار
سقوطه وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة
بان يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء
للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له
وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي
وقرئ على التوحيد **من العالين** ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين
حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الان ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين
ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل
عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له
لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتاكله
وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان
من المعطوف عليه في البيان والايضاح **منها** من الجنة وقيل من السموات
وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود
بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا **والرجيم**
المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمي
بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب **فان
قلت** قوله لعنتي الى يوم الدين كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم
تنقطع قلت كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله
على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له
باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت **فان قلت** ما الوقت المعلوم

الذي اضيف اليه اليوم **قلت** الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي
وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يستقدم
ولا يستاخر فبعزتك اقسام بعزة الله تعالى وهي سلطانه وقهره قرئ فالحق
والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كقوله ان علي الله ان تبايعا تؤخذ كرها
او تجيء طائعا وجوابه لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه
ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذي في قوله ان
الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين
على ان الاول مبتدا محذوف الخبر كقولك لعمرك اي فالحق قسمي لاملان والحق
اقول اي اقوله كقوله كله لم اصنع ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر
حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على
حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في
المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول ونصب
الثاني وتخريجه على ما ذكرناه منك من جنسك وهم الشياطين وممن
تبعك منهم من ذرية ادم **فان قلت** اجمعين تاكيد لماذا قلت لا يخلو
من ان يؤكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان
جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين
وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع
منهم من اولاد الانبياء وغيرهم عليه من اجر الضمير للقران او للوحي وما انا من
المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط
متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القران ان هو الا ذكر
من الله **للعالمين** للثقلين اوحي الي فانا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم
ولتعلمن نباه اي ما ياتيكم عند الموت او يوم القيامة او عند ظهور

الإسلام وقبلوه من صحة خبره وأنه الحق والصدق، وفيه تهديد. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات، وعصمه أن يصرّ على ذنب صغير أو كبير.

سورة الزمر وتسمى سورة الغرف مكية وهي خمس سبعون آية وقيل ست

~~إلا قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا ... فمكي~~

بسم الله الرحمن الرحيم. تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان إلى فلان وهو على هذا الوجه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ والزم. فإن قلت ما المراد بالكتاب؟ قلت الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة. مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر. وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلَصا بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك لله الدين. ألا لله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والأسرار ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين

الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام. والذين اتخذوا وهم الكفرة والمتخذون وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس رضي الله عنه. فالضمير في اتخذوا على الأول راجع إلى الذين وعلى الثاني إلى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع إلى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء. والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء. فإن قلت فالخبر ما هو؟ قلت هو على الأول إما إن الله يحكم بينهم أو ما أضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني إن الله يحكم بينهم. فإن قلت فإذا كان إن الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر؟ قلت يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بإظهار القول قالوا ما نعبدهم. وفي قراءة أبي رضي الله عنه ما نعبدكم إلا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم. وقرئ نُعبُدهم بضم النون إتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الأمر والتنوين في عذاب اركض. والضمير في بينهم لهم ولأوليائهم والمعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم. واختلافهم أن الذين يعبدونهم موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى. وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السماوات والأرض أقروا وقالوا الله فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد إليهم وإلى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين. المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم في علم الله من الهالكين. وقرئ كذّاب وكذوب وكذّبهم

قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم
بقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو أراد اتخاذ الولد لامتنع
ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت إلا أن يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم
كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم
اختصاصه إياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق
الأجسام والأعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفى
ما شاء من خلقه وهم الملائكة إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا
ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء
على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا
إليه من الأولاد والأولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة
لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له سبحانه وإذا لم يتأت أن يكون
له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
وقهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له أولياء
وشركاء ثم دل بخلق السماوات والأرض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر
وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة
وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي
يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه منها أن الليل والنهار
خلفة يذهب هذا ويغشى فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس
مكانه هذا واذا غشي مكانه
ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب ... تلوي الثنايا بأحقيها حواشيه
لي الملاء بأبواب التفاريج ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ
عليه فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار ومنها
أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة
بعضها على أثر بعض **ألا هو العزيز الغفار** الغالب القادر على عقاب

المصرين الغفار لذنوب التائبين أو الغالب الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة
وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة **فإن
قلت** ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي
قلت هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته
تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه إلا
أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق
أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع
فعطفها بثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها
عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من
التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس
وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر
ثم خلق بعد ذلك حوى وأنزل لكم وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه مو
صوفة بالنزول من السما حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش
الأنعام إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها
وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها ثمانية أزواج ذكرا وأنثى من الإبل والبقر
والضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد
ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى **خلقا من بعد
خلق** حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية
من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف والظلمات الثلاث البطن
والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن **ذلكم** الذي
هذه أفعاله هو الله ربكم فأنى تصرفون فكيف يعدل بكم عن
عبادته إلى عبادة غيره فإن الله غني عنكم وعن إيمانكم وإنكم لمحتاجون

الله لا يستضر به بالكفر وإن استغناكم بالإيمان ولا يرضى لعباده الكفر
رحمة لهم لأنه يوقعهم في الهلكة وإن تشكروا يرضه لكم أي يرضى
الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإذن ما كره كفركم ولا رضي
شكركم إلا لكم ولصلاحكم لا لأن منفعة ترجع إليه سبحانه لأنه الغني
الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته
من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي أريد به الخاص وما
أراد إلا عبادة الذين عناهم في قوله إن عبادي ليس لك عليهم
سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى عما
يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها
خوله أعطاه قال أبو النجم • أعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرا
من خول المخول • وفي حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم
هو خائل مال وخال مال إذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه أحيانا بالموعظة
والثاني جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب
إن الغني طويل الذيل مياس ما كان يدعو إليه أي نسي الضر الذي كان يدعو
الله إلى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل إليه وما بمعنى من
كقوله وما خلق الذكر والأنثى وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى أن نتيجة
جعله لله أندادا ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله والنتيجة قد تكون غرضا
في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله تمتع بكفرك من باب الخذلان
والتخلية كأنه قيل له إذ أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة
فمن حقك ألا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته
وشأنه لأنه لا مبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره

ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم مأواهم جهنم قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على
إدخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على إدخال أم عليه ومن مبتدأ خبره
محذوف أمن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر
الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وقيل أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام
المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام أفضل الصلاة طول
القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائما ساجدا حال
وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين ويحذر عذاب
الآخرة وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل
غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها
ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن
يرد على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي
القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي
وعن الحسن رضي الله عنه أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا
تمن وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية وقرئ إنما يذكر بالإدغام في هذه الدنيا
متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة
وهي دخول الجنة أي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة
ففسر الحسنة بالصحة والعافية فإن قلت إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه
ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن تقع صفة لها لتقدمه قلت
هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالمعنى
بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفا ومعنى وأرض الله واسعة أن لا عذر للمفرطين
في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر

على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة
فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين في
مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم
وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله الم
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي ارض الجنة **والصابرون** الذين
صبروا على مفارقة اوطانهم وعشايرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص
واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير **بغير حساب**
لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل
للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون
اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج
فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا
ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به اهل البلاء من الفضل **قل اني امرت** باخلاص الدين وامرت
بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والاخرة
والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص كان سابقا **فان قلت**
كيف عطف امرت على امرت وهما واحد **قلت** ليسا بواحد لاختلاف
جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به ليحرز القائم به
قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك
منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت لان
افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت

عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه
بغير لام في قوله وامرت ان اكون اول من اسلم وفي معناه اوجه ان اكون
اول من اسلم في زماني ومن قومي لانه اول من خالف دين آبائه
وخلع الاصنام وحطمها وان اكون اول الذين دعوتهم
الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا
اليه غيره لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك
الذين يامرون بما لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من اعمال السابقين **دلالة**
على السبب بالمسبب يعني ان الله امرني **ان** اخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب
بدليلي العقل والوحي **فان** عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه
ولا اتابع امركم وذلك حين دعوه الى دين آبائه **فان قلت** ما معنى التكرير في
قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني
قلت ليس بتكرير لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله باحداث العبادة
والاخلاص والثاني اخبار بانه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه
ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة واخره في الاول فالكلام
اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب
عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة
في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الكاملين في الخسران
الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة
بعدها وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم
وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم **وقيل**
خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم
الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف الله تعالى خسرانهم بغاية الفظاعة
في قوله الا ذلك هو الخسران المبين حيث استانف الجملة وصدرها بحرف

المنبه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرّف الخسران ونعته بالمبين ومن
تحتهم اطباق من النار هي ظلل لآخرين ذلك العذاب هو الذي يخوف الله به عباده
ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه **يا عباد فاتقون** ولا تتعرضوا لما
يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي الطاغوت
فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام
على العين أطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات
وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت
الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا
تطلق على غير الشيطان والمراد بها ها هنا الجمع وقرئ الطواغيت ان
يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم **البشرى** هي البشارة
بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الله عز وجل يبشرهم
بذلك في وحيه على السنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين
وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من واراد بعباده الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم ان
يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير
اراد ان يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل
فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح
والندب حرصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب
واختاروا اثبتها على السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا او امارة وان لا
تكون في مذهبك كما قال القائل ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد
المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون

اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء
والابداء والاخفاء لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيستمع
الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن
الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على
الابتداء وخبره اولئك اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه
جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في
اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره
أأنت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي
الاولى بعينها كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار
موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة وهو ان تكون الآية جملتين افمن
حق عليه العذاب فانت تخلصه أفانت تنقذ من في النار وانما جاز حذف فانت
تخلصه لان أفانت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة
دخولهم النار حتى نزل اجتهاده رسول الله وكده نفسه في دعائهم الى الايمان منزلة
انقاذهم من النار وقوله افانت تنقذ يفيد ان الله تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ من النار
وحده لا يقدر على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار من
النار لا تقدر ان تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه **غرف**
من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض **فان قلت** ما معنى قوله
مبنية قلت معناه والله اعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها
تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل **وعد الله**
قلت مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك
انزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها

الى الثمرة ثم يبسه الله **فسلكه** فادخله ينابيع في الارض عيونا
ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد مختلفا الوانه هيئاته من خضرة
وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك او اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها
يهيج يتم جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب
حطاما فتاتا ودرينا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من
صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان
يكون مثلا للدنيا كقوله انما مثل الحيوة الدنيا واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا
وقرئ مصفارا **افمن** عرف الله انه من اهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره
للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور
الله هو لطفه وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل يا رسول الله
كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما
علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت
قبل نزول الموت وهو نظير قوله أو من كان ميتا فاحييناه من ذكر الله من
اجل ذكره اي اذا ذكر الله عندهم او اياته اشمازوا وازدادت قلوبهم قساوة
كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله **فان قلت** ما الفرق
بين من وعن في هذا **قلت** اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت
من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ
عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه
وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتى ابعده عن العطش عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وايقاع
اسم الله مبتدا وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد
على حسنه وتاكيد لاسناده الى الله وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر

الا عنه وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث كتابا بدل من احسن الحديث
ويحتمل ان يكون حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا
فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق
ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب
نظمه وتاليفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز ان يكون مثاني بيانا لكونه
متشابها لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى
مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء
في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان يكون جمع
مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى فارجع البصر
كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك **فان
قلت** كيف وصف الواحد بالجمع **قلت** انما صح ذلك لان الكتاب
جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء جملته لا غير الا تراك تقول القرآن اسباع
واخماس وسور وايات وكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات
ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف
الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون كقولك برمة
اعشار وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز
من متشابها كما تقول رايت رجلا حسنا شمائله والمعنى متشابهة مثانيه **فان
قلت** ما فائدة التثنية والتكرير **قلت** النفوس انفر شيء عن حديث الوعظ
والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن
ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ به
وينصح ثلث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم
اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم

اليابس مضموماً إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعياً ودالاً على معنى زائد
يقال اقشعر جلده من الخوف ووقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز
ان يريد به الله سبحانه التمثيل تصويراً لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق
والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم خشية تقشعر
منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم
وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة **فإن قلت** ما وجه
تعديه لان بإلى **قلت** ضمن معنى فعل متعد بإلى كانه قيل سكنت
او اطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية **فإن قلت**
لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة **قلت** لان اصل امره الرأفة
والرحمة ورحمته هي سابقة غضبه فلأصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال
قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤوفاً رحيماً **فإن قلت** لم ذكرت الجلود
وحدها اولاً ثم قرنت بها القلوب ثانياً **قلت** اذا ذكرت الخشية التي محلها
القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد
وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى امره على الرأفة والرحمة
استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة ليناً في جلودهم ذلك اشارة
الى الكتاب وهو هدى الله يهدي به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين
حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين **ومن
يضلل الله** ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد وذلك الكائن
من الخشية والرجاء هدى الله اي اثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل
بالهدى يهدي به بهذا الاثر من يشاء من عباده يعني من صحب اولئك ورآهم
خاشعين راجين فكان ذلك مرغباً لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك
طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه الطافه بشيء قط يقال
اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره

وتقديره
أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره
وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفاً من المخاوف استقبله
بيده وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة
يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره
وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي جهل
وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون **من حيث** لا يشعرون
من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بينا هم آمنون
رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف
والقتل والجلاء وما اشبه ذلك من نكال الله **قرآناً عربياً** حال مؤكدة كما تقول
جاءني زيد رجلاً صالحاً وانساناً عاقلاً ويجوز ان ينتصب على المدح غير ذي
عوج مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف **فإن قلت** فهلا قيل
مستقيماً او غير معوج **قلت** فيه فائدتان احداهما نفي ان يكون فيه عوج
قط كما قال ولم يجعل له عوجاً والثانية ان لفظ العوج مختص بالمعاني
دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس **وأنشد** وقد اتاك
يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب **واضرب** لقومك
مثلاً وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم
اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه
في مهن شتى ومشادة واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في امره سادراً
قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت افكاره لا يدري ايهم يرضى بخدمته
وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو
معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه
مجتمع اي هذين العبدين احسن حالاً واجمل شأناً والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة

[Margin notes: ١١٦ — ساد [illegible] — مضموماً — عدم حاجة — سابقة غضبه — [illegible] — المتحير — [illegible]]

شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشا
كسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلى بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا
ضايعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن
يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلها واحدا فهو
قايم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل
للثواب في آجله وفيه صلة شركا كما تقول اشترك فيه والتشاكس
والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه سالما
لرجل خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع
سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من
الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك
رجل سالم لرجل وإنما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به أو سعد فإن المرأة
والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستويان
صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وإنما اقتصر في
التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله وأكثر أموالا وأولادا
مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان
في المثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع
إلى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك
له دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة
فقد ثبت أنه لا إله إلا هو بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره كانوا
يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر الله أن الموت يعمهم
فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم
أنفسكم وقرئ مايت ومايتون والفرق بين الميت والمايت أن الميت صفة لازمة

كالسيد وأما المايت فصفة حادثة تقول زيد مايت غدا كما تقول
سايد غدا أي سيموت وسيسود وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه
فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله إنك ميت وإنهم ميتون إنك
وإياهم وإن كنتم أحيا فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو كاين فكأن قد كان
ثم إنكم ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب تختصمون فتحتج
عليهم بأنك قد بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون
بما لا طايل تحته يقول الأتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا ويقول السادة أغوتنا الشياطين
وآباؤنا الأقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى
يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون
بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن
هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد
وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت
فينا وقال أبو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه
الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا
وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه
خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله تعالى
هو ما قدمت أولا ألا ترى إلى قوله فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء
بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب
على الله افترى على الله بإضافة الولد والشريك إليه وكذب بالصدق بالأمر الذي هو الصدق
بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع
به من غير وقفة لإعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل
النصفة فيما يسمعون مثوى للكافرين أي لهؤلاء الذين كذبوا على
الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين إشارة إليهم والذي جاء بالصدق

وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه
ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم
يهتدون فلذلك قال أولئك هم المتقون إلا أن هذا في الصفة وذاك في
الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء
بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا
به وقرئ وصدَق به بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني أداه إليهم كما نزل
عليه من غير تحريف وقيل وصار صادقا به أي بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة
تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن يصدق إلا
الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصُدِّق به فإن قلت ما معنى
إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما قلت أما الإضافة
فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو
بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بني مروان وأما التفضيل فإيذان بأن
الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم
المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر
سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن وقرئ أسوأ الذي عملوا جمع سوء أليس الله بكاف
عبده أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها
وقرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الأنبياء
عليهم السلام وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف
أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرتها لعيبك إياها ويروى أنه بعث خالدا
إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد إن لها لشدة لا يقوم
لها شيء فعمد خالد إليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف
نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم
بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على ضر ولا نفع أو أليس الله بكاف أنبياءه ولقد

قال لهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك نحو قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على الإطلاق لأنه كافيهم في الشدائد
وكافل مصالحهم وقرئ بكافي عباده على الإضافة ويكافي عباده ويكافي
يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي
وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وأن يكون مهموزا من المكافأة
وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم أجرهم بالذين من دونه أراد الأوثان
التي اتخذوها آلهة من دونه بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم من
أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم
عليهم على الأصل وبالإضافة للتخفيف فإن قلت لم فرض المسألة في نفسه دونهم
قلت لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق
العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فإن أرادني خالق العالم الذي
أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو
نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني إياهن كاشفات عني ضره أو ممسكات
رحمته حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله
كافيا لمعرة أوثانكم عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى
أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله فإن قلت لم قيل
كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه
قلت أنثهن وكن إناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى ليضعفها ويعجزها زيادة
تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة لأن الأنوثة من
باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الإناث
اللاتي هن اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم أيضا

على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم
منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث
للزمان وهما للمكان فان قلت حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف
قلت للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف وتزداد
كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله
الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم
في الدنيا والآخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان
الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه مخزيه مثل مقيم في
وقوعه صفة للعذاب اي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب
النار وفي مكانا نزلنا للناس لحاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى
دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى
فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على
الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار الانفس الجمل كما هي وتوفيها
اماتتها وهو ان تسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها
لانها عند سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى
الانفس التي لم تمت في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه
قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى
كذلك فيمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية
ويرسل الاخرى النائمة الى اجل مسمى الى وقت ضربه الله لموتها وقيل يتوفى
الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحيوة والحركة ويتوفى
الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس
التمييز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا

عن ابن عباس رضي الله عنه في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها
العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم
يقبض روحه والصحيح ما ذكرنا اولا لان الله عز وعلا علق التوفي والموت والمنام
جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت
والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام ان في ذلك ان في توفي الانفس مائتة
ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل مسمى لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون
فيه افكارهم ويعتبرون وقرئ قضي عليها الموت على البناء للمفعول ام اتخذوا بل
اتخذ قريش والهمزة للانكار من دون الله من دون اذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى قوله قل لله الشفاعة جميعا اي
هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى وان
يكون الشفيع ماذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا او لو كانوا
معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون
شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم له ملك السموات والارض تقرير لقوله
لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان
مالكا لها فان قلت بم يتصل قوله ثم اليه ترجعون قلت بما يليه معناه له
ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك
في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة مدار المعنى على قوله وحده اذا افرد
الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا اي نفروا وانقبضوا واذا ذكر
الذين من دونه وهم آلهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر استبشروا لافتتانهم
بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك
له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة

فسخرة واسعة لقبحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد
منهما غاية في بابه لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة
وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غيظا وغما حتى يظهر الانقباض في
أديم وجهه **فإن قلت** ما العامل في إذا ذكر قلت العامل في إذا المفاجأة
تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بهم وتحيره في أمرهم وشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل
له ادع الله بأسمائه العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا
حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم وإعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر
بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال
آه أو قد فعلوا وقرأ هذه الآية قل اللهم فاطر السموات والأرض إلى تحكم
بين عبادك وروي أنه قال على إثره قتل من كان صلى الله عليه يجلسه في
حجره ويضع فاه على فيه **وبدا لهم** وعيد لا كنه لفظاعته وشدته
وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم والمعنى وظهر لهم
من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم
وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات وعن سفيان الثوري رضي
الله عنه أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزع محمد بن
المنكدر رضي الله عنه عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله
وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه وبدا لهم سيئات
ما كسبوا أي سيئات أعمالهم التي كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائف
بقهم وكانت خافية عليهم كقوله أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيئات
أنواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء

سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ونزل بهم وأحاط بهم جزاء هزئهم التخويل
مختص بالتفضيل يقال خولني إذا أعطاك على غير جزاء **على علم** أي على علم
مني أني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق أو على علم من الله بي وباستحقاقي أو على علم
مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي **فإن قلت** لم ذكر الضمير
في أوتيته وهو للنعمة **قلت** ذهابا به إلى المعنى لأن قوله نعمة منا وشيئا منها
ويحتمل أن تكون ما في إنما موصولة لا كافة فيرجع إليها الضمير على معنى
أن الذي أوتيته على علم **بل هي فتنة** إنكار لقوله كأنه قال ما خولناك ما
من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر **فإن
قلت** كيف ذكر الضمير ثم أنثه قلت حملا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخرا
ولأن الخبر لما كان مؤنثا أعني فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لأجله لأنه في معناه
كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق إنما أوتيته **فإن قلت**
ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو قلت
السبب في ذلك أن هذه وقعت مسببة عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشمأزت
على معنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مس
أحدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما
بينهما من الآي اعتراض **فإن قلت** حق الاعتراض أن يؤكد المعترض
بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربه بأمر منه وقوله أنت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد
لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون
آلهتهم كأنه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك
مثل هذه الجرأة ويرتكبون مثل هذا المنكر إلا أنت ولو أن للذين ظلموا
متناول لهم أو لكل ظالم إن جعل مطلقا أو إياهم خاصة إن عنيتهم به

كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا
به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا
علم النظم وإلا بقيت محتجبة في أكمامها وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة
وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك
قام زيد وقعد عمرو فإن قلت من أي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز
عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم إليه بل هو مقتض لصدودهم عنه قلت في هذا
التسبيب لطف وبيانه أنك تقول زيد مؤمن بالله فإذا مسه ضر التجأ
إليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فإذا مسه
ضر التجأ إليه فتجيء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن
إليه مقيم كفره مقام الإيمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء
فأنت تحكي ما عكس فيه الكافر ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام الإنكار
والتعجب من فعله الضمير في قالها راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم لأنها
كلمة أو جملة من القول وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك
والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي
وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في الأمم الخالية
آخرون قائلون مثلها فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع
الدنيا ويجمعون منه من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم مثل
ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق
فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم
أولم يعلموا أنه لا باسط ولا قابض إلا الله عز وجل أسرفوا
على أنفسهم جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا
قرئ بفتح النون وكسرها وضمها إن الله يغفر

الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن
فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لأن القرآن في حكم كلام
واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس رضي الله
عنهما يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لأن مشيئة الله
تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير
نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها وقيل قال أهل مكة يزعم
محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر
وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي أنه أسلم عياش بن
أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول
لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا أبدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه إليهم
فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل
يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات
وأنيبوا إلى ربكم وتوبوا إلى الله وأسلموا له وأخلصوا له العمل وإنما ذكر الإنابة على
أثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها
شرط فيها لازم لا تحصل بدونه واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم مثل قوله
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأنتم لا تشعرون أي يفجؤكم وأنتم غافلون
كأنكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم أن تقول نفس كراهة أن تقول
نفس فإن قلت لم نكرت قلت لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر ويجوز أن
يراد نفس متميزة عن الأنفس إما بلجاج في الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن
يراد التكثير كما قال الأعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه أتاني كريم ينفض
الرأس مغضبا

اي لا يقبل لهم توبة ولا فدية
اي الصرف التوبة والعدل الفدية

اي قائلها

وهو من أبيات أبا من الكرام ينصرونه اكرمنا واحدا ونظيره زن بلده
قطعت ونرب بالدم بطل فارعت وقد تختلس الطعنة ولا يقصد الا
الكثير وقرئ يا حسرتي على الأصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض
منه والجنب الجانب يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب
والجنب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري

أما تتقين الله في جنب وامق ... له كبد حرّى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية
لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى إلى قوله

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس
لمكانك فعلت كذا يريدون لأجلك وفي الحديث من الشرك الخفي أن يصلي
الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق
فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله
على معنى في ذات الله فإن قلت فمرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كلا
ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت في الله
فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب
أو لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفي حرف
عبد الله وحفصة رضي الله عنها في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها
في بما رحبت وإن كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر
من أهلها ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر
أي فرطت في حال سخريتي وروي أنه كان في بني إسرائيل عالم ترك علمه وفسق
أتاه إبليس فقال تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فأنفقه في
الفجور فأتاه ملك الموت في ألذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان وأسخطت ربي فندم حين لم

في جنبه — فرطت — أو تقول — في ما

ينفعه الندم فأنزل الله خبره في القرآن لو أن الله هداني لا يخلو إما أن يريد
الهداية بالإلجاء أو بالألطاف أو بالوحي فالإلجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الألطاف
فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وإنما يقول
هذا تحيرا في أمره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين
ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله بلى قد جاءتك آياتي رد من الله عليه
معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على
الإيمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس فإن قلت هلا
قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية
قلت لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما أن تؤخر
القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما
فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية
ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها
ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب فإن قلت كيف صح أن تقع بلى
جوابا لغير منفي قلت لو أن الله هداني فيه معنى ما هديت كذبوا على
الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه وأضافوا إليه الولد والشريك
وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا
يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز أن يخلق خلقا لا لغرض
ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا
معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة
ويجعلون له أندادا بإثباتهم معه قدماء وجوههم مسودة جملة في موضع
الحال إن كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب
وقرئ ينجي وينجي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده

حرام — أي لا يبعد عن المشركين يوم لهم الحسن والمتبعهم — أي بلا كيف — حرام — أي مسودي الوجوه

ولا هم يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء صح

لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لأنه سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة **فإن قلت** لا يمسهم ما محله من الإعراب على التفسيرين **قلت** أما على التفسير الأول فلا محل له لأنه كلام مستأنف وأما على الثاني فمحله النصب على الحال **له مقاليد السموات والأرض** أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية **فإن قلت** ما للكتاب العربي المبين وللفارسية **قلت** التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا **فإن قلت** بم اتصل قوله والذين كفروا **قلت** بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شيء في السموات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والأرض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير

وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون **أفغير الله** منصوب بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لأنه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والأصل تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ألا تراك تقول أفغير الله تقولون لي أعبده وأفغير الله تقولون لي أعبد فكذلك أفغير الله تأمرونني أن أعبده وأفغير الله تأمرونني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ بالنصب وقرئ تأمرونني على الأصل وتأمروني على إدغام النون أو حذفها وقرئ ليحبطن عملك ولنحبطن عملك على البناء للمفعول وليحبطن بالنون والياء أي ليحبطن الله أو الشرك **فإن قلت** الموحى إليهم جماعة فكيف قال لئن أشركت على التوحيد **قلت** معناه أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا **فإن قلت** ما الفرق بين اللامين **قلت** الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط **فإن قلت** كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم **قلت** هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا يعني على سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه **فإن قلت** ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين **قلت** يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل

ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على
الردة ويجوز أن يكون غضب الله أشد ولا مهلة بعد الردة الا ترى الى قوله
إذاً لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما أمروه به
من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن كنت
عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن
من الشاكرين على ما انعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه
بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله فاعبد لما كان العظيم من الاشيا
اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه
ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريق التخييل فقال والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا
أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله
لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك
حكم ما يروى أن جبريل عليه السلام جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا أبا القاسم ان الله سبحانه وتعالى يمسك السماوات والارض على اصبع والارضين
على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق
على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وما قدروا الله حق قدره الآية وانما ضحك
أفصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور
امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره
على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال
العظام التي تتحير فيها الاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه
هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه
الطريقة

نوصل

الطريقة
من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع
وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب
السماوية وكلام الانبيا فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها
الاقدام قديما وما أتى الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى
يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم
أن العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها المؤربة ولا
ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث
من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه
الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه
من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله
جميعا وقوله والسماوات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض
للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل
مجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن
الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من اثر الرسول
والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطني قبضة من كذا
تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا
المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن
قبضة واحدة يعني أن الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة
واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول
الجزور أكلة لقمان والقلة جرعته اي ذات اكلته وذات جرعته تريد انهما
لا يفيان الا بأكلة فذة من اكلاته وجرعة فذة من جرعاته واذا اريد
معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف
واحدة فان قلت فما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلت

جعلها طرفاً مشبهاً للموقف بالمبهم **مطويات** من الطي الذي هو
ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة طاوي
الكتاب السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع
وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها
ومن اشتم رائحة من علم هذا فليعرض عليه الناظر ليتلهى بالتعجب منه ومن
قائله ثم ليبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من أمثاله وأثقل
منه على الروح وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايتهم
له على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز من السامعين وقرئ مطويات
على نظم السموات في حكم الأرض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على
الحال **سبحانه وتعالى** ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما
يضاف إليه من الشركاء **فإن قلت** ما محلها من الإعراب **قلت** أخرى
يحتمل الرفع والنصب أما الرفع فعلى قوله نفخ في الصور نفخة واحدة
وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة
واحدة ثم نفخ فيه أخرى وإنما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة
بذكرها في غير مكان وقرئ قياماً ينظرون يقلبون أبصارهم في الجهات
نظر المبهوت إذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون
القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكانه لتحيرهم قد استعار الله النور
للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى
وأشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط
في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار إضافته
إلى اسمه لأنه هو الحق العدل وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يزينها حيث ينشر فيها
عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع
من العدل ولا أعمر لها منه وفي هذه الإضافة أن ربها وخالقها هو الذي

يعدل فيها وإنما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على إشراق الأرض من وضع الكتاب
والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون
للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون أظلمت
البلاد بجور فلان **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة
وكما فتح الآية بإثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ وأشرقت الأرض على البناء للمفعول
من شرقت بالضوء تشرق إذا امتلأت به واغتصت وأشرقها الله كما تقول
ملأ الأرض عدلاً وطبقها عدلاً **والكتاب** صحائف الأعمال ولكنه اكتفى باسم
الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للأمم وعليهم من
الحفظة والأخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله **الزمر** الأفواج المتفرقة
بعضها في إثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل
في زمر الذين اتقوا هم الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء
وغيرهم وقرئ نذر منكم **فإن قلت** لم أضيف اليوم إليهم **قلت** أراد لقاء
وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والأيام
مستفيضاً في أوقات الشدة قالوا بلى أتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا
كلمة الله لأملأن لسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً
ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال
اللام في المتكبرين للجنس لأن مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها
اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره
فبئس مثوى المتكبرين جهنم حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية
بعدها هي الشرطية إلا أن جزاءها محذوف وإنما حذف لأنه في صفة ثواب
أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد
خالدين وقيل حتى إذا جاؤوها جاؤوها **وفتحت أبوابها**
أي مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها وأما

حمية ابتلي به كلام الله

حكايته على فروع

ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك
جيء بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤوها وقد فتحت ابوابها **فان قلت** كيف عبر
عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق **قلت** المراد بسوق اهل النار طردهم
اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا
سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم
الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن
يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين
طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها جعل دخول
الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها
دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها
موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب
تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب
وتميط وضر هذه القلوب **خالدين** مقدرين الخلود **الارض** عبارة
عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها
وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيها بحال الوارث
وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا **فان
قلت** ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره **قلت**
يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته
حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره **حافين** محدقين من قوله يسبحون
بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين
فان قلت الام يرجع الضمير في قوله بينهم **قلت** يجوز ان يرجع الى العباد
كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالعدل والحق
وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على

سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم
فهو القضاء بالحق **فان قلت** قوله وقيل الحمد لله من القائل ذلك **قلت**
المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كأنه قيل وقضي بينهم بالحق
وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم
القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية

قال الحسن رضي الله عنه الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد
قيل في الحواميم كلها انها مكيات كلها عن ابن عباس وابن الحنفية رضي الله عنهما
بسم الله الرحمن الرحيم **حم** قرئ بامالة الفتحة وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه
الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار
اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف او للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل
وهابيل التوب والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة
يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل
فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة
يقتضي ان تكون مثله معارف **قلت** اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان
لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن او غدا حتى
يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك
ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش **واما شديد
العقاب** فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا
التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر
والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد

آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف **ومثال** ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على
مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن
كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد
العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظاً فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن
قوانينه لأجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عناذليه فثنوا ما
هو وتر لأجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن
يفعل ذاك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل أنه على نية الألف واللام كما
كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام ومما سهل ذلك الأمن من اللبس
وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة على
فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار ويجوز أن يقال هذه
النكتة هي الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال
فإن قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب **قلت** فيها نكتة جليلة وهي
إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من
الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة
والقبول وروي أن عمر رضي الله عنه افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام
فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان
سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن
الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله
لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته
الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه
فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ
عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه
ووفقوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه

سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن
فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها
ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد
في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم إن جدالاً في القرآن كفر وإيراده منكراً
وإن لم يقل إن الجدال تمييز منه بين جدال وجدال **فإن قلت** من أين تسبب
لقوله ولا يغررك ما قبله **قلت** من حيث أنهم لما كانوا مشهوداً عليهم من
قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك
أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره إقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات
النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام
واليمن ولهم الأموال يتجرون فيها ويتربحون فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال
ووراءه شقاوة الأبد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل
وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلاً ما كان من نحو ذلك من الأمم وما
أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه وقرئ فلا يغرك الأحزاب
الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم
وهمت كل أمة من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب برسولهم
وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا
من تعذيب أو قتل ويقال للأسير أخيذ وأخذتهم يعني أنهم قصدوا أخذه
فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم **فكيف كان عقاب**
فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير
فيه معنى التعجب أنهم أصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل
ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما
وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب

الثاني في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا
قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هولاء لأن علة
واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار وقرى كلمات روى أن حملة العرش ارجلهم
في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما
خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا
العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سماوات
وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع **وفي** الحديث أن الله تبارك
وتعالى امر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم
على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه
خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من
الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام
قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن
ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح
بما لا يسبح به الآخر وقرى ابن عباس رضي الله عنه العرش بضم العين **فان
قلت** ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على احد أن حملة العرش ومن
حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون **قلت** فائدته اظهار
شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه
بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين
امنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على أن الامر لو كان
كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما
وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل
الثناء عليهم علم أن ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام

سواء في أن ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته
الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون
به ويستغفرون للذين امنوا كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في
مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على أن الاشتراك في الايمان يجب أن يكون
ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس
وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي
وارضي قط **ثم لما** جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي
حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى
ويستغفرون لمن في الارض اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل أن يكون
بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا **فان قلت**
تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسع كل شيء **قلت** الرحمة
والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك
وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بأن اسند الفعل الى صاحب الرحمة
والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كأن
ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء **فان قلت** قد ذكر الرحمة
والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا
الغفران وحده **قلت** معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة
واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا اليها
انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا
يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة وموجب
حكمتك أن تفي بوعدك **وقهم السيئات** اي العقوبات او جزاء
السيئات فحذف المضاف على أن السيئات هي الصغائر والكبائر المتوب
عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة **فان قلت** ما الفائدة

في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله
لا يخلف الميعاد **قلت** هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة
والثواب جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح
وصلح فهو صليح وذرياتهم ينادون اي ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله
اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى
بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال
لهم يوم القيمة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين
كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر
اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن
وعن الحسن رضي الله عنه لما رأوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم
فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت
بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ
تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ
الانكار واشده **اثنتين** اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين واراد
بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين
الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم
امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس رضي الله عنه
فان قلت كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة **قلت**
كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل
وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر
الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق
وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر
جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك

الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما
على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله
منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه
اثبات ثلث احياءات وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احدى
الحياتين غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك
الحيوة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة
في قوله الا من شاء الله **فان قلت** كيف تسبب هذا لقوله فاعترفنا
بذنوبنا **قلت** قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب
ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الاماتة والاحياء
قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء
فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من
معاصيهم **فهل الى خروج** اي نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط
ام الياس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من
غلب عليه الياس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا
جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم اي ذلكم الذي انتم فيه
وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم
بالاشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله
العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون
الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان
الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا **يريكم آياته**
من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها والرزق لانه سببه **وما**
يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع
الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا

الله أي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم **رفيع الدرجات ذو** العرش يلقي الروح ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على قوله هو الذي يريكم أو أخبار مبتدإ محذوف وهي مختلفة تعريفاً وتنكيراً وقرئ رفيعَ الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها أولياءه في الجنة **الروح من أمره** الذي هو سبب الحياة من أمره يريد الوحي الذي هو أمر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال أو من كان ميتاً فأحييناه لينذر الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح وقرئ لتنذر أي لتنذر الروح لأنها تنطق بالإنذار أو على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول **ويوم التلاق يوم** القيامة لأن الخلائق تلتقي فيه وقيل يلتقي أهل السماء وأهل الأرض وقيل العابد والمعبود **يوم هم بارزون** ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن الأرض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلاً لا يخفى على الله منهم شيء من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء **فإن قلت** قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه قلت معناه أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وقال يستخفون

من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضي أن يكون المنادي هو المجيب اليوم تجزى لما قرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزى بما كسبت وأن الظلم مأمون لأن الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لأن الله تعالى لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كلهم في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنه إذا أخذ في حسابهم لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها **الآزفة** القيامة سميت بذلك لأزوفها أي لقربها ويجوز أن يريد يوم المجادلة الآزفة وهي الخطبة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا هي ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجى كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا **فإن قلت** كاظمين بم انتصب **قلت** هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالاً عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وإنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت أعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالاً عن قوله وأنذرهم أي وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم

كقوله فادخلوها خالدين **الحميم** المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع
لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك **فان قلت**
فما معنى قوله ولا شفيع يطاع **قلت** يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة
معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل
نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك
ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره
فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله **قلت** على نفي الامرين جميعا من قبل ان
الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه
وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا
لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان
الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل
الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم
شفيع البتة **فان قلت** الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة
في ذكر هذه الصفة ونفيها **قلت** في ذكرها فائدة جليلة وهي انها
ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان
الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف
بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه وما
معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وعدم السلاح علة مانعة
من الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة
ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى
التشفع ولا شفيع فكان ذكر التشفع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم
الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا
ينبغي ان يتوهم خلافه **الخائنة** صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة

كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا
يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه **فان
قلت** بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين **قلت** هو خبر من اخبار هو في قوله
هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق
ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن
اخواته **والله يقضي بالحق** يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا
بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم والهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم
لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي **ان الله هو السميع
البصير** تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه
يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من
دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ يدعون بالياء والتاء هم في كانوا هم اشد
منهم فصل **فان قلت** من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين
معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم **قلت** قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف
واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام وآثارا يريد حصونهم
وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم او اراد واكثر آثارا كقوله
متقلدا سيفا ورمحا **وسلطان مبين** وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا
هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا **فلما جاءهم**
بالحق بالنبوة **فان قلت** اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة
ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده **قلت**
قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضي الله عنه قالوا
اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا يريد ان هذا قتل غير القتل الاول
في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا
فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني

وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى وأحس بأنه قد وقع
أعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى
عليه السلام وما علم أن كيده ضائع في الكرتين جميعا **ذروني أقتل موسى**
كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف
وما هو إلا بعض السحرة ومثله لا يقاوم إلا ساحر مثله ويقولون إذا قتلته
أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر
أن فرعون لعنه الله وأخزاه كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات وما
هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدما
في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم
ملكه ولكنه كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله وليدع
ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني
أقتل موسى تمويها على قومه وإيهاما أنهم هم الذين يكفونه وما
كان يكفه إلا ما كان في نفسه من هول الفزع **إن يبدل دينكم**
أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام بدليل قوله ويذرك
وآلهتك والفساد في الأرض التفاتن والتهارج الذي يذهب معه الأمن
وتتعطل المكاسب والمزارع والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه
قال إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم
بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه
إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من أظهر والفساد
منصوب أي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظا والهاء من
تظاهر أي تتابع وتعاون لما سمع موسى صلى الله عليه وسلم بما أجراه
فرعون من حديث قتله قال لقومه إني عذت بالله الذي هو ربي وربكم
وقوله وربكم فيه بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه

عياذه

ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال **من كل متكبر** لتشمل استعاذته
فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ
وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على
دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب
لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد
استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها
وعذت ولذت أخوان وقرئ عت بالإدغام رجل مؤمن وقرئ رجل
بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن
بموسى عليه السلام سرا وقيل كان إسرائيليا **من آل فرعون** صفة لرجل أو صلة
ليكتم أي يكتم إيمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب وقيل خربيل
أو حزبيل والظاهر الأول لأنه كان من آل فرعون فإن المؤمنين من بني
إسرائيل لم يقتلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبنا الذين آمنوا معه
وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا دليل ظاهر على أنه يتنصح
لقومه أن يقول لأن يقول وهذا إنكار عظيم وتبكيت شديد كأنه قال
أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في
ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع أنه لم يحضر لتصحيح
قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية
وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به وليلين بذلك
جماحهم ويكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضافا محذوفا أي وقت أن
يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا
فكر في أمره وقوله بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها
وشهدتموها ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من
أن يكون كاذبا أو صادقا فإن يك كاذبا فعليه كذبه أي يعود عليه كذبه

ولا تخطاه ضرره وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له فإن قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه قلت لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى عليه السلام ومناكريه إلى أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا أن يتعصب له أو يرمي بالحصى من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل وكذلك قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فإن قلت لم قال البعض فعن أبي عبيدة أنه فسر البعض بالكل وأنشد للبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها قلت إن صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان أجفى من أن يفقه ما أقول له إن الله لا يهدي من هو مسرف يحتمل أنه إن كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فتتخلصون منه وأنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تأذى أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا له أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وأبو بكر قاله ظاهرا

ظاهرين في الأرض في أرض مصر عالين فيها على بني إسرائيل يعني أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال ينصرنا وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه ما أريكم إلا ما أرى أي ما أشير عليكم برأي إلا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وما أهديكم بهذا الرأي إلا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئا ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعني أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الأمر على الإشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد كعلام أو من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذاك لأن فعالا من أفعل لم يجئ إلا في عدة أحرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون نسبة إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه إلى فعل مثل يوم الأحزاب مثل أيامهم لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلتبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لأن المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم فإن قلت بم انتصب مثل الثاني قلت بأنه عطف بيان لمثل الأول لأن آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح

ولو قلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا عطف بيان
لإضافة قوم إلى أعلام فسرى ذلك الحكم إلى أول ما تناولته الإضافة **وما الله**
يريد ظلما للعباد يعني أن تدميرهم كان عدلا وقسطا لأنهم استحقوه
بأعمالهم وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي إرادة
الظلم لأن من كان عن إرادة الظلم بعيدا كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم
كأنه نفى أن يريد ظلما ما لعباده ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده
الكفر أي لا يريد لهم أن يظلموا يعني أنه دمرهم لأنهم كانوا ظالمين التنادي
ما حكى الله في سورة الأعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب
النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور
وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر
المرء من أخيه وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون
قطرا من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم في
بعض إذ سمعوا مناديا أقبلوا إلى الحساب **تولون مدبرين** عن قتادة فارين
عن النار غير معجزين وعن مجاهد منصرفين عن موقف الحساب إلى النار
هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف
بن يعقوب عليهم السلام أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل إن فرعون
موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل هو فرعون آخر ووبخهم بأن
يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين
حتى إذا قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند أنفسكم
من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فإذا جاءكم
رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي أسستموه وليس
قوله لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف
وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم

تنادّ الظليم إذا شرد

هذا تفسير حال ... من عاصم

إلى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على إدخال همزة الاستفهام على حرف
النفي كأن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله أي مثل هذا
الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه **الذين يجادلون**
بدل من من هو مسرف **فإن قلت** كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد
قلت لأنه لا يريد مسرفا واحدا فكأنه قال كل مسرف **فإن قلت** فما فاعل كبر
قلت هو ضمير من هو مسرف **فإن قلت** أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين
يجادلون **قلت** بلى هو جمع في المعنى وأما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع
إليه على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز
أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه
الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل أن يكون الذين
يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك أي
كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا
عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا
ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد أشكاله
من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب
بالتكبر والتجبر لأنه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت
الأذن ونحوه قوله عز وجل فإنه آثم قلبه وإن كان الآثم هو الجملة ويجوز
أن يكون على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب
القلب **قال** الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد اشتقوه من
صرح الشيء إذا ظهر وأسباب السماء طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل
ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه **فإن قلت** ما فائدة هذا التكرير ولو
قيل لعلي أبلغ أسباب السماوات لأجزأ **قلت** إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان
تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السماوات أبهمها

ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه
ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوق إليه نفس هامان ثم أوضحه وقرئ
فأطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني ومثل ذلك التزيين وذلك
الصد زين لفرعون **سوء عمله وصد عن السبيل** والمزين إما الشيطان
بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على
وجه التسبيب لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون
وقرئ زين على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله إلى إله موسى
وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قيل والتباب
الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه
ما أهدكم سبيل الرشاد فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لأن
الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب
الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن
والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف
وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة
ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار وحذر وأنذر واجتهد في ذلك
واحتشد لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة
للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون
سوء العذاب وفي هذا أيضا دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون
والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون
وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى إلا مثلها إلى الزيادة على مقدار جزاء الحسنة
فحسنة لأنها فضل وقرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة
إلا مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق
فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على

الحق الكثرة والسعة **فإن قلت** لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو
في النداء الثالث دون الثاني **قلت** أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم
وإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو
يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم
ويستدعي بذلك أن لا يتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على
تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم صلى الله عليه وسلم في نصيحة أبيه يا أبت وأما
المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير
له فأعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس
بتلك المثابة يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له
له به علم أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك
به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلها لا جرم سياقه على مذهب
البصريين أن يجعل لا ردا لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما
في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا
يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي كسب ذلك
الدعاء إليه بطلان دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته
ويجوز أن يقال إن لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا
فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى
لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم أن لهم النار أي لا قطع لذلك بمعنى أنهم
أبدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام
أي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم أنه
يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد
وعدم وعدم **ليس له دعوة** معناه أن ما تدعونني إليه ليس
له دعوة إلى نفسه قط أي من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى

طاغيته ثم تدعو اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعونني اليه والى عبادته لا يدعو
هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله
في الدنيا ولا في الآخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وعده
وفي الآخرة اذا انشأه الله سبحانه حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته
وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجابة
جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة
كما يسمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء المسرفين
عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل
الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر
بعضكم بعضا وافوض امري الى الله لانهم توعدوه فوقاه الله
سيئات ما مكروا وشدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب
بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بآل فرعون ما هموا به من
تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار بدل من سوء العذاب او
خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدأ
وخبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها
وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم
به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون
النار يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا
في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما
ان يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا
عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا
يا آل فرعون اشد عذاب جهنم وقرئ ادخلوا آل فرعون اي يقال للخزنة

جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه
انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه
جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم
راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم قلت يجوز ان يهم الانسان بان يغرق
قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانه هم بسوء فاصابه ما يقع عليه
اسم السوء ولا يشترط في الحيق ان يكون الجائي لذلك السوء بعينه ويجوز
ان يهم فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم
اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم بالنار فحاق به مثل
ما اضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر واذ
وقت يتحاجون تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا
بالمصدر وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من
المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها فان قلت هل يجوز ان يكون
كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة
كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في
الدار زيد قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة واهل
النار النار لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها فان قلت هلا
قيل الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا
ويحتمل ان جهنم ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر
وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر على لسان
المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف
الاحمر قليذم من العيالم الخسيف ه وفيها اعتى الكفار واطغاهم
فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم
من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم او لم تك تأتيكم

الدائم المحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراهم اوقات الدعا والتضرع وعطلوا
الاسباب التي نصبت الله لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ
على ذلك ولا نسمع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة
مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم
فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم
يسمع دعاءه فكيف يسمع دعاء الكافر في الحيوة الدنيا ويوم يقوم
يقوم الاشهاد اي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين
جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في بعض الاحايين امتحانا من
الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين والا
شهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبيا
والمومنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس واليوم
الثاني بدل من الاول وعدم لانهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة
باطلة وانهم لو جاؤوا بالمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن لهم
فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء
دار الاخرة وهو عذابها وقرى يقوم ولا ينفع بالياء والتاء [illegible] الهدى جميع
ما اتاه في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع واورثنا
وتركنا على بني اسرائيل من بعده الكتاب اي التوراة هدى وذكرى ارشادا
وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال واولو الالباب
المؤمنون به العاملون بما فيه فاصبر ان وعد الله حق يعني ان نصرة الرسل
في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من اسباب
الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه في بني اسرائيل
والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك
امتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجيئك حتى يأتيك من

الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك
حق واقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة
ربك والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل هما صلاتا العصر والفجر ان في
صدورهم الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة
وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا اياتك خيفة ان تتقدمهم
ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة
وارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قولهم لو كان خيرا
ما سبقونا اليه او ارادة دفع الايات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب
الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الايات
وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن
داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية
من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان
يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك
ويبغي عليك انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون
فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم فان قلت كيف اتصل قوله
لخلق السماوات والارض بما قبله قلت ان مجادلتهم في آيات الله كانت
مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق
السماوات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها وانها خلق
عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن
قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر
وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأملون
لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم ضرب الاعمى والبصير مثلا
للمحسن والمسيء وقرى يتذكرون بالياء والتاء لا ريب فيها لا بد من مجيئها

ولا محاله وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزا لا يومنون لا يصدقون بها
ادعوني اعبدوني والدعا بمعنى العباده كثير في القران ويدل عليه
قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابه الاثابه وفي تفسير مجاهد
اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سيل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على
الله ان يستجيب للذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري
رضي الله عنه انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعا وفي الحديث
اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعا اعطيته افضل ما اعطي السايلين وروى
النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعا هو العباده وقرا هذه
الايه ويجوز ان يريد الدعا والاستجابه على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعايي
لان الدعا باب من العباده ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس رضي
الله عنه افضل العباده الدعا وعن كعب اعطى الله هذه الامه ثلث
خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي
وقال لهذه الامه لتكونوا شهدا على الناس وكان يقول ما عليك من
حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني
استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس رضي الله عنه
وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعا بالعباده ثم للعباده بالتوحيد
داخرين صاغرين مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في
الحقيقه لاهل النهار **فان قلت** لم قرن الليل بالمفعول له والنهار
بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابله **قلت** هما
متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يودي مودى الاخر ولانه
لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحه التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا
والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقه الا ترى الى قولهم ليل ساج
وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقه من المجاز **فان قلت** فهلا قيل
لمفضل او لمتفضل قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل
وذلك انما يستوي بالاضافه **فان قلت** فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر
ذكر الناس **قلت** في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمه بهم وانهم هم
الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان
لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصه
التي لا يشاركه فيها احد **هو الله خالق كل شي لا اله
الا هو** اخبار مترادفه اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهيه و
الربوبيه وخلق كل شي وانشايه لا يمتنع عليه شي والوحدانيه لا ثاني له فانى
تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان
ثم ذكر ان كل من جحد بايات الله ولم يتاملها ولم يكن فيه همه طلب الحق وخشيه
العاقبه افك كما افكوا وقرى خالق كل شي نصبا على الاختصاص وتوفكون
بالياء والتاء هذه ايضا دلاله اخرى على تميزه بافعال خاصه وهي انه جعل
الارض مستقرا والسما بنا اي قبه ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السما
في منظر العين كقبه مضروبه على وجه الارض **فاحسن صوركم** وقرى بكسر
الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا احسن صوره من الانسان وقيل
لم يخلقهم منكوسين كالبهايم كقوله في احسن تقويم **فادعوه مخلصين
له الدين** اي الطاعه من الشرك والريا قايلين الحمد لله رب العالمين
وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد
لله رب العالمين **فان قلت** اما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
عباده الاوثان بادله العقل حتى جاته البينات من ربه **قلت** بلى ولكن
البينات لما كانت مقويه لادله العقل ومؤكده لها ومضمنه ذكرها
نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه
ذلك من التنبيه على ادله العقل كان ذكر البينات ذكرا لادله العقل

والسمع جميعاً وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعاً لأن ذكر تناصر الأدلة أدلة
العقل وأدلة السمع أقوى في إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها
كافية. لتبلغوا أشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا
وكذلك لتكونوا وأما ولتبلغوا أجلاً مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا
أجلاً مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة وقرئ شيوخاً بكسر
الشين وشيخاً على التوحيد كقوله طفلاً والمعنى كل واحد منكم أو اقتصر
على الواحد لأن الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة أو من قبل هذه الأحوال
إذا خرج سقطاً. ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر. فإذا قضى
أمراً فإنما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته
على الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أن مقدوراً لا
يمتنع عليه كأنه قال فلذلك من الاقتدار إذا قضى أمراً كان أهون شيء
وأسرعه. بالكتاب بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا من الكتب. فإن قلت
وهل قوله فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم إلا مثل قولك سوف
أصوم أمس. قلت المعنى على إذا إلا أن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله
تعالى متيقنة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على
الاستقبال وعن ابن عباس رضي الله عنه والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح
الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر
السلاسل ووجهه أنه لو قيل إذ أعناقهم في الأغلال مكان قوله إذ الأغلال
في أعناقهم لكان صحيحاً مستقيماً فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل
قوله والسلاسل على العبارة الأخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب إلا ببين غرابها كأنه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون
في النار يسجرون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير كأنه
سجر بالحب أي ملئ ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون

بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة
اللهم أجرنا من نارك إنا عائذون بجوارك. ضلوا عنا غابوا عن
عيوننا فلا نراهم ولا نستشفع بهم. فإن قلت أما ذكرت في تفسير قوله تعالى إنكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون
معهم وقد ضلوا عنهم. قلت يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبخوا وقيل لهم أين ما كنتم
تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وأن يكونوا معهم في سائر
الأوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون
عنهم. بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئاً وما كنا نعبد
بعبادتهم شيئاً كما تقول حسبت أن فلاناً شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر
عنده خيراً. كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم
عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا. ذلكم الإضلال بسبب
ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان. ادخلوا
أبواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب
منهم جزء مقسوم. خالدين مقدرين الخلود. فبئس مثوى المتكبرين عن الحق
المستخفين به مثواكم أو جهنم. فإن قلت أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل
المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم
المصلى. قلت الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء. فإما نرينك
أصله فإن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون
بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمني أكرمك ولكن إما تكرمني أكرمك.
فإن قلت لا يخلو إما أن تعطف أو نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد
وهو قوله فإلينا يرجعون فقولك فإما نرينك بعض الذي نعدهم فإلينا
يرجعون غير صحيح وإن جعلت فإلينا يرجعون مختصاً بالمعطوف الذي هو
نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء. قلت فإلينا يرجعون متعلق بنتوفينك

وجزاء الشرط محذوف تقديره فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو
القتل يوم بدر فذاك أو إن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون فننتقم
منهم أشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو
نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون **ومنهم من لم**
نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة
آلاف من سائر الناس وعن علي رضوان الله عليه ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن
لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني
إنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية إلا بإذن الله فمن لي
بأن آتي بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها **فإذا جاء**
أمر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة **المبطلون**
المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها
سحرا **الأنعام** الإبل خاصة **فإن قلت** لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا
عليها ولم يقل ولتأكلوا منها ولتصلوا إلى منافع أو هلا قال منها تركبون
ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم **قلت** في الركوب
الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة
دين أو طلب المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به إرادته ومعنى قوله
وعلى الفلك تحملون وعلى الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في
البر والبحر **فإن قلت** هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل
زوجين اثنين **قلت** معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لأن
الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان
وأيضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه فأي آيات الله جاءت على اللغة
المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث
في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب لإبهامه

لإبهامه

وآثارا قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم
فما أغنى عنهم ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية مو
صولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم
فرحوا بما **عندهم من العلم** فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق
التهكم في قوله بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون
لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى
ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منهما منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويد
فعون به البينات وعلم الأنبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون
ومنها أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا إذا سمعوا بوحي
الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى
صلوات الله عليه وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا
حاجة بنا إلى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم
ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في
نفي فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم
وخلوهم من العلم ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك
منه واستهزاء به كأنه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحي
فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ومنها
أن يجعل الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم
بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم
ويكون أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها
كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء

من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها
وصغروها واستهزؤوا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم
ففرحوا به البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس فان قلت
أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم
قلت هو من كان في نحو قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم
يصح ولم يستقم أن ينفعهم ايمانهم فان قلت كيف ترادفت هذه الفاآت
قلت أما قوله فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وأما قوله
فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك
رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا
تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك
فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله سنة الله بمنزلة وعد
الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان
أي خسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله
فاذا جاء أمر الله قضي بالحق أي خسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق
ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدأ وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا
للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر
أو خبر مبتدأ محذوف وجوز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه
أن تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ فصلت آياته ميزت وجعلت
تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير

ذلك وقرئ فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف
معانيها من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح
أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال
أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون أي لقوم عرب يعلمون
ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه
فان قلت بم يتعلق قوله لقوم يعلمون قلت يجوز أن يتعلق بتنزيل
أو بفصلت أي تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والأجود أن يكون صفة مثل
ما قبله وما بعده أي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات
والصفات وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدأ محذوف فهم لا
يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي
ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه والأكنة
جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو
قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله
وقالوا قلوبنا غلف ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين
والدينين كأن بينهم وبين ما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
ما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل
على دينك إننا عاملون على ديننا أو فاعمل في ابطال أمرنا إننا عاملون في ابطال أمرك
وقرئ إنا عاملون فان قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك
حجاب فائدة قلت نعم لأنه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان
المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين وأما بزيادة من فالمعنى أن الحجاب ابتداء
منا وابتداء منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ
فيها فان قلت هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون

الكلام على نمط واحد **قلت** هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك
قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم
اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم
لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني **فان قلت** من اين كان قوله
انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم في اكنة **قلت** من حيث انه قال لهم
اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر
نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الي ان الهكم اله واحد
فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين
يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء وتوبوا
اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر **فان قلت** لم خص
من بين اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر بالاخرة **قلت** لان احب
شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذاك اقوى دليل
على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته الا ترى الى قوله عز وعلا ومثل
الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم
ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا
فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه
بعث للمومنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع
من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة وقيل كانت قريش
يطعمون الحاج ويحرمون من امن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكيا وهو الايمان **الممنون**
المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداه وقيل

نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر
كاصح ما كانوا يعملون **أئنكم** بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف
بين همزتين ذلك الذي قدر على خلق الارض في مدة يومين هو رب العالمين
رواسي جبالا ثوابت **فان قلت** ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر
على قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا
في الارض رواسي وجعل لها رواسي **قلت** لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها
او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساها فوق
الارض لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبها حاضرة لمحصلها وليبصر
ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها
عز وعلا بقدرته **وبارك فيها** واكثر خيرها وانماه **وقدر فيها
اقواتها** ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام سواء فذلكة لمدة خلق الارض
وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة
ولا نقصان قيل خلق الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم
الثلاثا ويوم الاربعا وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام
يريد بالتتمة اليومين وقرئ سوا للسائلين بالحركات الثلث الجر
على الوصف والنصب على استوت سوا اي استوا والرفع على هي سوا **فان
قلت** بم تعلق قوله للسائلين **قلت** بمحذوف كانه قيل هذا الحصر
لاجل من سال كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات
لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم
الا على تفسير الزجاج **فان قلت** هلا قيل في يومين واي فائدة في
هذه الفذلكة **قلت** اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض قد خلقت
في يومين علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين ان تقول

في يومين وان يقول في اربعة ايام سوا فكانت في اربعة ايام سواء فايدة ليست
في يومين وهي الدلاله على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان
ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد
باليومين الاولين والاخرين اكثرهما ثم استوى الى السما من قولك استوى
الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شي وهو من الاستوا الذي هو
ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا
اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السما بعد خلق الارض وما فيها من غير
صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الما
فاخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما وعلا عليه فايبس الما فجعله ارضا واحدة
ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السما من الدخان المرتفع ومعنى امر السما والارض
بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما
وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وهو من
المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله
تعالى كلم السما والارض وقال لهما ايتيا شيتما ذلك او ابيتما فقالتا اتينا على
الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من
غير ان يحقق شي من الخطاب والجواب ونحوه قول القايل قال الجدار للوتد
لم تشقني قال اسال من يدقني فلم يتركني ورا الحجر الذي ورايي
فان قلت لم ذكر الارض مع السما وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقة
قبل السما بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها
بعد خلق السما كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ايتيا على ما ينبغي
ان تاتيا عليه من الشكل والوصف ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا
لاهلك وايتي يا سما مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع
كما تقول اتى عمله مرضيا وجا مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات كل

واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من
كون الارض قرارا للساكن وكون السما سقفا للارض وتنصره قراة من قرا آتيا
وآتينا من المواتاة وهي الموافقة اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها
قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيتي ولا تمتنعا فان قلت
ما معنى طوعا او كرها قلت هو مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما
من تاثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شيت او
ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طايعتين او
مكرهتين فان قلت هلا قيل طايعتين على اللفظ او طايعات على
المعنى لانها سماوات وارضون قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن
بالطوع والكره قيل طايعين في موضع طايعات نحو قوله ساجدين فقضاهن
يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السما على المعنى كما قال طايعين ونحوه اعجاز نخل خاوية
ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سماوات والفرق بين النصبين ان
احدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق السماوات وما فيها في يومين
في يوم الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها
ادم وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة وفي هذا دليل على ما
ذكرت من انه لو قال في يومين في موضع اربعة ايام سوا لم يعلم انهما
يومان كاملان ام ناقصان فان قلت فلو قيل خلق الارض في يومين
كاملين وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين تلك
اربعة سوا قلت الذي اورده سبحنه اخصر وافصح واحسن طباقا لما
عليه التنزيل من مغاصات القرايح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من
الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب
امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملايكة والنيرات وغير ذلك

او شأنها وما يصلحها **وحفظا** وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب
ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا
فان اعرضوا بعدما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته
فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اي عذابا شديد الوقع كأنه صاعقة وقرئ
صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته
الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل من بين ايديهم **ومن
خلفهم** اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم
يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله سبحانه عن الشيطان لآتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت
بفلان من كل جانب فلم تكن لي فيه حيلة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن
قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاءوهم بالوعظ من
جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما يجري
عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم **فان قلت** الرسل
الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤوهم وكيف خاطبوهم
بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون **قلت** قد جاءهم هود وصالح داعيين الى
الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم
اي من بعدهم فكأن الرسل جميعا قد جاءوهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون
خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم ان في قوله ان
لا تعبدوا بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان
الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف اي لو شاء ربنا
ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون معناه فاذا انتم بشر
ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار

بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون يروى ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا
امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان
عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الكهانة والشعر والسحر
وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت
خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت
تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك
عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما
تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم
الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع
الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا
اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب واقسم لا يكلم محمدا
ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر
ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم
ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب **فاما عاد فاستكبروا
في الارض** اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم
الاجرام او استعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية **من
اشد منا قوة** كانوا ذوي اجسام عظام وخلق عظيم وبلغ من
قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده **فان قلت** القوة هي
الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل
من الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله
سبحانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم
قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموضعين شيء واحد **قلت** القوة في الانسان هي

صحة البنية والاعتدال والقوة هي الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها
زيادة القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على
معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم **يجحدون**
كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو
معطوف على فاستكبروا أي كانوا كفرة فسقة **الصرصر** العاصفة
التي تصرصر أي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير
لبناء الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض **نحسات** قرئ بكسر الحاء
وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فمخفف
نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على أن الإذاقة
للريح أو للأيام النحسات وأضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل والاستكانة
على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد
الفعل السيء والدليل عليه قوله ولعذاب الآخرة أخزى وهو من الإسناد المجازي
ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى إلى البون بين قوليك هو
شاعر وله شعر شاعر قرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون
والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء **فهديناهم**
فدللناهم على طريقي الضلالة على الدخول في الرشد **فإن قلت** أليس
معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى
تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله
في الدلالة المجردة **قلت** للدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم
يبق لهم عذرا ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها
صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب
والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه ولو لم يكن
في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها

صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا إلا هذه لكفى بها حجة وقرئ يحشر على البناء
للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أي يحشر
الله عز وجل أعداء الله الكفار من الأولين والآخرين **يوزعون** يحبس أولهم
على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار
نسأل الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته **فإن قلت** ما في قوله حتى إذا ما
جاؤوها ما هي **قلت** مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار
لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله أثم
إذا ما وقع آمنتم به أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت الشهادة عليه ولا حاجة
إيمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما أشبه ذلك مما يفضي إليها من
المحرمات **فإن قلت** كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق **قلت**
الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد
بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج أراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما
أراد به في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس
بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان وعلى خلقكم وإنشائكم
أول مرة وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه وإنما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما
تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم المعنى أنكم
كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم
ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها
عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم أن الله
لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم وذلكم الظن هو الذي
أهلككم وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه
أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في أوقات خلواته من ربه
أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا ينبسط في سره

نطقها

تعاظمهم

مرافقة من البنية بهو آولا الطائف وقرئ ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء
وظنكم وارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم واردكم الخبر
فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وان يستعتبوا وان
يسالوا العتبى وهو الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا
العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله تعالى اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ
وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان سئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اى
لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة
يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة
قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين فان قلت كيف جاز ان يقيض لهم القرناء من
الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه انه خذلهم
ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل
عليه ومن يعش نقيض فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم وما
هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم
من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في
امم في جملة امم ومثل في هذه ما في قوله ان تك عن احسن الصنيعة
مافوكا ففي اخرين قد افكوا يريد فانت في جملة اخرين فانت في عداد
اخرين لست في ذاك باوحد فان قلت في امم ما محله قلت محله النصب
على الحال من الضمير في عليهم اى حق عليهم القول كائنين في جملة امم انهم
كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقرئ
فيه بفتح الغين وضمها يقال لغا يلغا ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام
الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له اذا
قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان والزمل

وما اشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت
قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا يجوز ان يريد بالذين
كفروا هؤلاء اللاغين والامرين لهم باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا
عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا اضافة اسوأ بما اغنى عن اعادته وعن
ابن عباس رضي الله عنه عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في
الاخرة ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذي كانوا يعملون
حتى تستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف فان
قلت ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد قلت معناه ان النار في نفسها دار
الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والمعنى ان رسول
الله اسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وانت تعني الدار بعينها
جزاء بما كانوا يجحدون اى جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي
هو سبب اللغو اللذين اضلانا اى الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس لان
الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما
ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا بسكون الراء
لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه اعطنا اللذين اضلانا وحكوا
عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون
فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء
واصله الاحضار ثم لتراخي الاستقامة على الاقرار في المرتبة وفضلها عليه
لان الاستقامة لها الشان كله ونحوه قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال

ما تقولون فيها قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال حملتموها على الأمر الأشد قالوا فما تقول قال
لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة
لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي
رضوان الله عليه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول
الله أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت ما أخوف ما تخاف
علي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال هذا تتنزل عليهم
الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت
وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم ألا تخافوا أن بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة
وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن
غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم
الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا
تحزنوا على ما خلفتم كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك
الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل
وهو الضيف وانتصابه على الحال ممن دعا إلى الله عن ابن عباس رضي
الله عنه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام وعمل صالحا
فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت
في المؤذنين وهي عامة بين هذه الثلث أن يكون موحدا معتقدا لدين الإسلام عاملا
بالخير داعيا إليه وما هم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد
الدعاة إلى دين الله وقوله وقال إنني من المسلمين ليس الغرض أنه تكلم بهذا
الكلام ولكن جعل دين الإسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول

أبي حنيفة تريد مذهبه يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة
التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك
من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه
والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك فتمدحه
ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فإنك إذا فعلت ذلك انقلب
عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى مثل هذه الخلقة
والسجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر وإلا رجل خير وفق
لحظ عظيم من الخير فإن قلت فهلا قيل فادفع بالتي هي أحسن قلت هو على تقدير
قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتي هي أحسن وقيل لا مزيدة والمعنى لا تستوي
الحسنة والسيئة فإن قلت فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي
حسنة قلت أجل ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة
لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضي الله عنه
بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ
بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن
حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا
النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه
يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك
نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما
وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن فاستعذ بالله من شره وامض على شأنك
ولا تطعه الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة ما لا
يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته
كن في معنى الآيات فقيل خلقهن فإن قلت أين موضع السجدة قلت عند الشافعي

رحمه الله تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة
قبلها وعند ابي حنيفة رحمه الله يسأمون لانها تمام المعنى وهي عن ابن عباس
وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر
كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله
فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان لا يسجدوا الا لله الذي خلقهن
ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان استكبروا ولم
يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان الله عز سلطانه
لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد **المقربون** الذين ينزهونه
بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة
والكرامة وقرئ لا يسئمون بكسر الياء **الخشوع** التذلل والتقاصر فاستعير
لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى
الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا
اخصبت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل
الكاسف البال في الاطمار الرثة وقرئ ربأت اي ارتفعت لان النبت اذا هم
ان يظهر ارتفعت له الارض يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة
فحفر في شق فاستعير للانحراف في تاويل آيات القران عن جهة الصحة والاستقامة
وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله لا يخفون علينا
وعيد لهم على التحريف **فان قلت** بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر
قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا والذكر القران لانهم
بكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله **وانه لكتاب عزيز**
اي منيع محمي بحماية الله **لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**
مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل

اليه ويتعلق به **فان قلت** اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون
قلت بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض
قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا
ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم
من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة
لانبيائه وذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال
للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم
فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة
كانوا لتعنتهم يقولون هلا انزل القران بلغة العجم فقيل لهم لو كان كما يقترحون
لم يتركوا الاعتراض والتعنت **وقالوا لولا فصلت آياته** اي بينت ولخصت بلسان
نفقهه **ءاعجمي وعربي** الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا
اقران اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي وقرئ اعجمي والاعجمي
الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي
قراءة الحسن اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القران اعجمي
والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان آيات الله على اي طريقة جاءتهم
وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم
ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها
بيانا للعرب **فان قلت** كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم
امة العرب **قلت** هو على ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو راى كتابا اعجميا كتب الى
قوم من العرب يقول اكتاب اعجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى
الانكار على تنافي حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد
او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا

أحسن الآن ذاك تقول وقد لبس لباساً طويلاً على امرأة قصيرة اللباس طويل
واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لأن
الكلام لم يقع في ذكورة اللابس والأنوثة وإنما وقع في غرض وراءهما هو أي
القرآن هدى وشفاء إرشاد إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك فإن
قلت والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه
اتصاله به قلت لا يخلو إما أن يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفاً على قوله
للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في
آذانهم وقر ~~منقطع عن ذكر القرآن~~ إلا أن فيه عطفاً على عاملين وإن كان الأخفش
يجيزه وإما أن يكون مرفوعاً على تقدير والذين لا يؤمنون هم في آذانهم وقر على
حذف المبتدأ أو هو في آذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عمٍ وعَمِيَ كقوله
تعالى فعميت عليكم ينادون من مكان بعيد يعني أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه
أسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها
الصوت فلا يسمع النداء فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل
والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا
ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم إلى
أجل مسمى فلنفسه فنفسه نفع فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد
فيعذب غير المسيء إليه يرد علم الساعة أي إذا سئل عنها قيل
الله أعلم أو لا يعلمها إلا الله وقرئ من ثمرات من أكمامها وأكمامهن والأكمام جمع
كم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أي وما يحدث شيء من خروج
ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل
وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير
ذلك أين شركائي أضافهم الله على زعمهم وبيانه في قوله أين شركائي
الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع آذناك أعلمناك ما منا من شهيد أي ما

أي هو الذين مبتدأ وعلى الذين آمنوا

عليهم

أي وعاء

أعلمك

منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد بأنهم شركاؤك وما منا إلا من هو موحد
لك أو ما منا أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها
في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا
إلينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا
عنهم وظنوا وأيقنوا والمحيص المهرب فإن قلت آذناك إخبار بإيذان كان منهم فإذا
كان قد آذنوا فلم سئلوا قلت يجوز أن يعاد عليهم أين شركائي إعادة للتوبيخ وإعادته
في القرآن على سبيل الحكاية دليل على إعادة المحكي ويجوز أن يكون المعنى إنك علمت
من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من
نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون إنشاء للإيذان ولا يكون إخباراً بإيذان
قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من الأمر كيت وكيت من دعاء الخير
من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير وإن مسه الشر أي
الضيقة والفقر فيؤوس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن
طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر
أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه
لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض
أو سعة بعد ضيق قال هذا لي أي هذا حقي وصل إلي لأني استوجبته بما عندي
من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم
الحسنة قالوا لنا هذه قوله وما أظن الساعة قائمة أي ما أظنها
وما نحن بمستيقنين تكون فإن كانت على طريق التوهم
أي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايساً أمر الآخرة على أمر
الدنيا وعن بعضهم للكافر أمنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت إلى ربي إن
لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت تراباً وقيل نزلت في الوليد
بن المغيرة فلننبئنهم فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم

حرج

ونحوه

في بالنون

عكس ما اعتقدوا فيها أنهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله **وقدمنا إلى ما عملوا** من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ما هم عليه سبب الغنى والصحة وأنهم محقوقون بذلك هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم وأعرض عن شكره ونأى بجانبه أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم **وإن مسه الشر** والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الأجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للإتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى **فإن قلت** حقق لي معنى قوله ونأى بجانبه **قلت فيه وجهان** أن يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله أن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه أرأيتم أخبروني إن كان القرآن من عند الله يعني أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته

ولعله حق فأهلكتم أنفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم** يعني ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفائهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل بربك في موضع الرفع على أنه فاعل كفى وأنه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة وقرئ في مرية بالضم وهي الشك **محيط** عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية

وتسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق
كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى
الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك
مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله كرر هذه
المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم
لعباده من الاولين والآخرين ولم يقل اوحى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل
على ان ايحاء مثله عادته وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول فان قلت
فما رافع اسم الله على هذه القراءة قلت ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من
الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولا
دهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم
فان قلت فما رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما
بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر وقرئ تكاد بالتاء والياء ويتفطرن
وينفطرن وروى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون
ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن ومعناه يكدن
يتفطرن من علو شان الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل
من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السماوات يتفطرن منه فان قلت لم قال
من فوقهن قلت لان اعظم الآيات وادلها على الجلال والعظمة فوق السماوات
وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش
وما لا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن اي
يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية او لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت
السماوات فكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت
الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل

يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة
قوله عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل
الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين فان
قلت كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقد قال الله
تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم
قلت قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم
وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة لا
يستغفرون الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم الا
ترى الى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب
به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم
فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران
في قوله ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما
غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد
الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فان قلت قد فسر
قوله تكاد السماوات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما
قلت اما على احدهما فكأنه قيل تكاد السماوات يتفطرن هيبة من جلاله
واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون
حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته
وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض خوفا عليهم من سطواته
واما على الثاني فكأنه قيل يكدن يتفطرن من اقدام اهل الشرك على
تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز
عليه من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم من

الطائفة التي علم انهم عندها يستعصمون الى ربهم ان يحلم عن اهل
الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح
وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا
من دونه اولياء جعلوا له شركاء وانداد **الله حفيظ عليهم** رقيب
على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا
رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض اليك
امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب ومثل ذلك اوحينا اليك
وذلك اشارة الى معنى الاية قبلها من ان الله تعالى هو الرقيب عليهم وما انت
برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله تعالى في كتابه في
مواضع جمة فالكاف مفعول به لاوحينا وقرانا عربيا حال من المفعول به اي
اوحيناه اليك وهو قران عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك
ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اي ومثل
ذلك الايحاء البين اوحينا اليك قرانا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا
وانذرته بكذا وقد عدي الاول اعني لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثاني
وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني ام القرى اهلها ومن حولها كقوله
واسأل القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقران يوم
الجمع يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع
وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله ولا ريب
فيه اعتراض لا محل له فريق وفريقا بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم
فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال
منهم اي متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
فان قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة قلت
هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما

يجمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وان كان الجمع جمعهم في الموقف
والتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق **لجعلهم امة واحدة** اي
مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء
الى الايمان قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله افانت
تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله وحده
هو القادر على هذا الاكراه وحده دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة
قدرة لقسرهم على الايمان جميعا ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم
على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء الا ترى
وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه معنى
الهمزة في ام الانكار فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد
انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه
قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا اولياء بالحق فالله هو الولي بالحق لا ولي
سواه **وهو يحيي** اي ومن شان هذا الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير
فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء **وما اختلفتم فيه من شيء**
حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم فيه الكفار
من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم
ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة
المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين
واليه ارجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم في شيء من
الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على
حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول

وقيل ما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من
كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ما وقع
بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا
الله أعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر
ربي **فان قلت** هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة **قلت**
لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم **فاطر السماوات**
والارض قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدأ محذوف
والجر على فحكمه الى الله فاطر السماوات وذلكم الى اعتراض بين الصفة
والموصوف جعل لكم خلق لكم من أنفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن
الانعام ازواجا اي وخلق من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا
من انفسها ازواجا يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم
والذرء والذرو والذر اخوات فيه في هذا التدبير وهو ان جعل للناس
والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل
والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون
العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين **فان قلت**
ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير
كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج
تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة يا اولي ... مثلك لا يبخل
نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك
فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على
اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر
الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته

وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا
عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا
علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله
ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان
على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان
وان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة
عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل
هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتأكيد
كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحت مثل
كعصف مأكول وقدر ويقدر انه بكل شيء عليم فاذا علم ان الغني خير
للعبد اغناه والا افقره **شرع لكم من الدين** دين نوح ومحمد ومن
بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه
بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو
توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل
باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها
مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا
اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على
الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله
تعالى ان هذه امتكم امة واحدة **كبر على المشركين** عظم عليهم وشق
عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد **يجتبي اليه** يجتلب اليه
ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع فيهم توفيقه
ويجري عليهم لطفه **وما** تفرقوا يعني اهل الكتاب من بعد انبيائهم الا
من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء

يريد رسول الله صلعم

طنان

ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التأخير الى يوم
القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة
مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف
الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم
وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
من بعد ما جاءتهم البينة والذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا
القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب التوراة والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا
فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع
الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة
اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة بما انزل الله من كتاب
اي بأي كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض
وكفروا ببعض كقوله سبحانه ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى
قوله اولئك هم الكافرون حقا لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم
فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق
قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة
بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيمة
فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق
وقيام الحجة والالزام فان قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك
من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد محاجزتهم
في مواقف المقاولة لا المقاتلة يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد

ما استجيب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله
ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود
والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير
منكم واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر
واظهر دين الاسلام داحضة باطلة زالة انزل الكتاب اي جنس الكتاب
والميزان والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل
الذي يوزن به بالحق ملتبسا مقرونا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما
اقتضته الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك الساعة في تأويل البعث
فلذلك قيل قريب او لعل مجيء الساعة قريب فان قلت كيف يوفق ذكر
اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب
ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل
بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن
اوفى ويطفف لمن طفف المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمري ما عند
صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من
قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها آتية لا ريب فيها ولشاهدة العقول
على انه لا بد من دار الجزاء لطيف بعباده بليغ البر بهم قد توصل
بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته
وجزئياته فان قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى
جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف وله اوصاف
والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير
فيطير لبعض العباد صنف من البر ما لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظا له
وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم للآخر فقد
رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الابوين ولده

[illegible]

ذوى الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر
القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به
الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عمل العاملين فإن من عمل للآخرة
وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطي شيئا منها لا ما
يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في
الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم
له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله
وفوزه في المآب معنى الهمزة في أم التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم
الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها
وهو الدين الذي شرع لهم الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به
وقيل شركاؤهم أوثانهم وإنما أضيفت إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله
فتارة تضاف إليهم لهذه الملابسة وتارة إلى الله ولما كانت سببا لضلالتهم
وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم صلوات الله عليه وسلم
إنهن أضللن كثيرا من الناس **ولولا كلمة** الفصل أي القضاء
السابق بتأجيل الجزاء أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم
أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن
جندب وأن الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة
الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا **ترى الظالمين**
في الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا أرق قلوبهم مما كسبوا من السيئات
وهو واقع بهم يريد ووباله واقع بهم وواصل إليهم لا بد لهم منه أشفقوا أو لم
يشفقوا كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها عند ربهم
منصوب بالظرف لا بيشاؤون وقرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره
ويبشر من بشره والأصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف

(الكفرة) (أي) (إشفاقه من المشفق وهو الخوف الرقيق) (أي لهم عند ربهم ما يشاؤون)

١٥٥

الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله أهذا
الذي بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذي يبشر الله به عباده وروي أنه اجتمع
المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون أن محمدا يسأل على ما يتعا
طاه أجرا فنزلت الآية إلا المودة في القربى يجوز أن يكون استثناء متصلا أي لا أسألكم
أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرا في الحقيقة لأن قرابته
قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة ويجوز أن يكون منقطعا
أي لا أسألكم أجرا قط ولكنني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا
تؤذوهم فإن **قلت** هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى وما معنى قوله
إلا المودة في القربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان
مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست
في بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق
الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها
والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروي أنها
لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي
وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول
من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا
خلف أزواجنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي
وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه
عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيامة وروي أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا
كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا

(يتعاطاه) (المودة القربى) (وابناهما)

ضُلّالًا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا اذلة فاعزكم الله
بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون
الم يخرجك قومك فآويناك او لم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك
قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله
فنزلت الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا
الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا
الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على
حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل
محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد
فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار
ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على
بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات
على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة
وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله قربى فلما كذبوه
وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودوني في القربى اي في حق القربى ومن
اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن اجله يعني انكم
قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني
ولا تهيجوا علي وقيل اتت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه
وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب
وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت فرده وقيل
القربى التقرب الى الله اي الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة
والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة عن السدي

معلم

خ / كأنه عن الدلالة

بين عينيه خبر مقدم على المبتدا وهو مكتوب كانه قال مكتوب آيس من رحمة الله بين عينيه

لا تهيجوا كانه من الاهاجة

فاستعن

١٥٠٦

رضي الله عنه

انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في ابي بكر الصديق
ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر
المودة في القربى دل ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا كان سائر الحسنات لها توابع وقرئ
يزد اي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو
مصدر كالبشرى الشكور في صفة الله سبحانه وتعالى مجاز للاعتداد
بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه
التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله
الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشا الله يختم على قلبك فان يشا الله يجعلك
من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على
الله الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من
مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال
هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد
اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من
تخوينه امر عظيم ثم قال ومن عادة الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته
بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان
مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه
ويجوز ان يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل الذي هم
عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقرآن وبقضائه
الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري
الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع
عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط
عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم فان قلت ان كان قوله ويمح الله الباطل

لها توابع

فدمغه

كلاما مبتدا غير معطوف على لختم فما بال الواو ساقطة في الخط **قلت**
كما سقطت في قوله ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية على انها
مثبتة في بعض المصاحف يقال قبلت منه الشي وقبلته عنه فمعنى قبلته
منه اخذته منه وجعلته مبدأ اموري ومنشاه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه
وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما
والعزم على ان لا يعاود ولان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه
لعبد حق لم يكن بد من التقصي على طريقه وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب
اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضوان الله عليه يا هذا ان سرعة
اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير
المومنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة
ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها
في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء
بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيات عن الكباير اذا تيب منها وعن
الصغاير اذا اجتنبت الكباير **ويعلم ما يفعلون** قرى بالياء والتاء
يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سياته ويستجيب الذين امنوا ويستجيب لهم
فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم اي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم
على الثواب تفضلا او اذا دعوه استجاب دعاهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم
على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها
ويزيدهم من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه هذا من
فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه
انه قيل له ما بالنا ندعوا فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله
يدعوا الى دار السلم ويستجيب الذين امنوا لبغوا من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا

نيب

واذا

با

على هذا وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه
قوله عليه الصلوة والسلام اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض
العرب: وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا يعني
انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتفاتن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا
في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من الغلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من
اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا
الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها **بقدر** بقدر يقال قدره
قدرا وقدرا لخبير بصير يعرف ما يؤل اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح
لهم واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه
الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا **فان قلت**
قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم
فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون
فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه **قلت** لا شبهة في ان البغي مع الفقر اقل
ومع البسط اغلب واكثر وكلاهما سبب للاقدام على البغي والاحجام عنه فلو
عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الان قرى قنطوا بفتح النون
وكسرها **وينشر رحمته** اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من
الخصب وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا
اذا اراد هذه الاية ويجوز ان يريد رحمته في كل شي كانه قال ينزل الرحمة
التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة **الولي** الذي يتولى عباده
باحسانه **الحميد** المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته وما بث يجوز ان يكون
مجرورا ومرفوعا على الحمل على المضاف اليه او المضاف **فان قلت** لم جاز فيهما من
دابة والدواب في الارض وحدها **قلت** يجوز ان ينسب الشي الى جميع المذكور
وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل

[illegible]

الحيا الخصب واحيا وقع في القحط

ظاهر

وانما هو في فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله
نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وتجوز ان
يكون للملائكة عليهم السلام فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد
ان يخلق في السماوات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان الذي خلق ما نعلم
وما لا نعلم من اصناف الخلق **اذا** تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل
اذا يغشى ومنه اذا يشا **قال الشاعر** واذا ما اشاء ابعث فيها اخر الليل ناشطا
مذعورا في مصاحف اهل العراق فبما كسبت باثبات الفا على تضمين ما معنى
الشرط وفي مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فا على ان ما مبتداة وبما كسبت
خبرها من غير تضمين معنى الشرط والاية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع
ان يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لا جرم له كالانبيا
والاطفال والمجانين فهؤلا اذا اصابهم شي من الم او غيره فللعوض الموفي والمصلحة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر
الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن
اخرى العبد ملازم للجنايات في كل اوان وجناياته في طاعاته اكثر من جناياته
في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله
يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيامة ولولا
عفوه ورحمته لهلك في اول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من
عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الاخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة
في الاخرة وعنه رضي الله عنه هذه ارجا اية للمؤمنين في القران **بمعجزين** بفائتين
ما قضي عليكم من المصائب **من ولي** من متول بالرحمة الجواري السفن وقرئ
الجوار كالاعلام كالجبال **قالت** الخنسا كانه علم في راسه نار
وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو
ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجري على **ظهره** على ظهر البحر

لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمائه وهما صفتان المؤمن المخلص
فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في ايات الله فهو يستملي
منها العبر **يوبقهن** يهلكهن والمعنى انه ان يشا يبتلي المسافرين في البحر باحدى
بليتين اما ان يسكن الرياح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري
واما ان يرسل الرياح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب
ويعفو عن كثير منها **فان قلت** فما وجوه ما ساغ على طريق العفو عنهم
فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه **قلت** معناه او ان يشا
يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم **فان قلت** فمن قرا ويعفو **قلت**
قد استانف الكلام **فان قلت** فما وجوه القراءات الثلاث في ويعلم **قلت** اما الجزم
فعلى ظاهر العطف واما الرفع فعلى الاستئناف واما النصب فللعطف
على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على
التعليل المحذوف غير عزيز في القران منه قوله تعالى ولنجعله اية للناس وقوله
تعالى خلق الله السماوات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول
الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك
وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما ففيه نظر
لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو في قوله ان
تاتني اتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله ۝ والحق بالحجاز فاستريحا
فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزا صار اقوى
قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع
الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه والجزم
ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه
ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها
من الايات المشكلة **فان قلت** كيف يصح المعنى على جزم ويعلم

قلت كأنه قال أو إن يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة
قوم وتحذير آخرين من **محيص** من محيد عن عقابه ما الأولى ضمنت معنى
الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع لأبي
بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون
وخطأه الكافرون فنزلت والذين يجتنبون عطف على الذين آمنوا وكذلك
ما بعده ومعنى كبائر الإثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الإثم وعن
ابن عباس كبير الإثم هو الشرك **هم يغفرون** أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب
لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وإيقاعه مبتدأ
وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون **والذين
استجابوا لربهم** نزلت في الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به
وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأقاموا الصلاة وأتموا الصلوات الخمس
وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
إذا كان بينهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون
برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن رضي الله عنه ما تشاور قوم إلا
هدوا لأرشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى
قوله وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى وكذلك قولهم ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة
شورى هم ينتصرون أي ينتقمون على ما جعله الله لهم ولا يعتدون وعن
النخعي أنه كان إذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ
عليهم الفساق **فإن قلت** أهم محمودون على الانتصار قلت نعم
لأن من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إن
كان ولي دم أو رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا فهو مطيع
وكل مطيع محمود كلتا الفعلتين وجزاهما سيئة لأنها تسوء

وأطاعوه

من نزلت به قال الله تعالى وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما
يسوؤهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها
من غير زيادة فإذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله فمن عفا وأصلح بينه
وبين خصمه بالعفو والإغضاء كما قال سبحانه فإذا الذي بينك وبينه عداوة
كأنه ولي حميم **فأجره على الله** عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم
وقوله إنه لا يحب الظالمين دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز
التسوية والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان
المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان
يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم
ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة
بإذن الله **بعد ظلمه** من إضافة المصدر إلى المفعول وتفسره قراءة
من قرأ بعد ما ظلم فأولئك إشارة إلى معنى من دون لفظه **ما عليهم
من سبيل** للمعاقب ولا للعاتب والعائب **إنما السبيل** على الذين
يظلمون الناس يبتدئونهم بالظلم ويبغون في الأرض يتكبرون
ويعلون فيها ويفسدون **ولمن صبر** على الظلم
والأذى وغفر ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله إن ذلك منه لمن
عزم الأمور وحذف الراجع لأنه مفهوم كما حذف من قولهم السمن
منوان بدرهم ويحكى أن رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان
المسبوب يكظم غيظه ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية
فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب
إليه ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوبا
إليه وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة

رضي الله عنها لحفصة وكان بينهما ما لا يشتهى وقال لعائشة رضي الله
عنها دونك فانتصري ﴿ومن يضلل الله﴾ ومن يخذل الله فما له من
ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه ﴿خاشعين﴾
متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يعلق من الذل بينظرون
ويوقف على خاشعين من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم
ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر
إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره إلى
المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذلك نظر من طرف
خفي وفيه تعسف يوم القيامة إذا هم على تلك الصفة من الله من صلة لا مرد
مرد أي لا يرده الله بعد ما حكم به أو من صلة يأتي أي من قبل أن يأتي من الله
يوم لا يقدر أحد على رده والنكير الإنكار أي ما لكم من مخلص من العذاب
ولا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم أراد
بالإنسان الجمع لا الواحد لقوله وإن تصبهم سيئة ولم يرد إلا المجرمين
لأن إصابة السيئة بما قدمت أيديهم إنما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة
والغنى والأمن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف ﴿والكفور﴾
البليغ الكفران ولم يقل كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران
النعم كما قال إن الإنسان لظلوم كفار إن الإنسان لربه لكنود والمعنى
أنه ينسى النعم ويذكر البلايا لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها
أتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كما أراد ويهب لعباده من
الأولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور وبعضا
بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط فإن قلت لم قدم
الإناث أولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف
الذكور بعدما نكر الإناث قلت لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران

الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته
وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه
الإنسان فكان ذكر الإناث التي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم والأهم
واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وأخر الذكور
فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم لأن التعريف
تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا
يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير
وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا
وإناثا كما قال إنا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى
وقيل نزلت في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب
ولوط إناثا ولإبراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه ذكورا وإناثا وجعل يحيى
وعيسى عقيمين صلوات الله عليهم أجمعين إنه عليم بمصالح العباد قدير
على تكوين ما يصلحهم ﴿وما كان لبشر﴾ وما صح لأحد من البشر أن يكلمه
الله إلا على ثلاثة أوجه إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب أو
المنام كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد
أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الأبرص
وأوحى إلي الله أن قد تأمروا بإبل أبي أوفى فقمت على رجلي أي ألهمني وقذف
في قلبي وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن
يبصر السامع من يكلمه لأنه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب
مثل أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب
فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة وإما
على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه كما كلم الأنبياء غير
موسى وقيل وحيا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا

أي إسماعاً كما كلم موسى أو بإرسال الأنبياء على ألسنتهم ووحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل في معنى إرسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لأن الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا أكلمه إلا جهرا وإلا خفاتا لأن الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك إرسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وإنما قاله وكيلك أو رسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه أو إسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى أن يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحي أو بأن يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو أو بأن يسمع من وراء حجاب وقرئ أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع على أو هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية إنه علي عن صفات المخلوقين **حكيم** يجري أفعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة إما إلهاما وإما خطابا روحا من أمرنا يريد ما أوحي إليه لأن الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح **فإن قلت** قد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الإيمان والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر

ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر **قلت** الإيمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ألا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم بالصلاة لأنها بعض ما يتناوله الإيمان من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه **صراط الله** بدل وقرئ لتهدى أي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية

وقال مقاتل إلا قوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا

وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبي تمام وثناياك إنها إغريض المبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة جعلناه بمعنى صيرناه معدى إلى مفعولين أو بمعنى خلقناه معدى إلى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي أي خلقناه عربيا غير عجمي إرادة أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وقرئ أم الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بأم الكتاب لأنه الأصل الذي أثبتت الكتب منه تنتسخ علي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها **حكيم** ذو حكمة بالغة أي منزلته

عندنا بمنزلة كتاب هما صفناه وهو مثبت في أم الكتاب هكذا أفنضرب
عنكم الذكر صفحا بمعنى أفننحي عنكم الذكر ونذوده على سبيل المجاز من قولهم
ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل
وقال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس
والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن
يكون الأمر على خلاف ما قدم من إنزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه
ويعملوا بمواجبه وصفحا على وجهين إما مصدر من صفح عنه إذا أعرض منتصب
على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا
عنكم وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى
أفننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا
وتعضده قراءة من قرأ صُفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون
تخفيف صُفُح جمع صفوح وينتصب على الحال أي صافحين معرضين
أن كنتم لأن كنتم وقرئ أن كنتم وإذ كنتم فإن قلت كيف استقام
معنى إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت قلت هو من الشرط الذي
ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير
إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه أن
تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه
استجهالا له وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك
وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه الضمير
في أشد منهم للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الأولين أي سلف في القرآن
في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير
مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم

فإن قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الأوصاف عقيبه
إن كان من قولهم فما تصنع بقوله فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وإن
كان من قول الله فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله
ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها إلى
الذي هذه أوصافه وليسندنه إليه بتقدير بمقدار تسليمهم معه البلاد والعباد
ولم يكن طوفانا والأزواج الأصناف ما تركبون أي تركبونه فإن
قلت يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال
تركبونه قلت غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة
فقيل تركبونه على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام
ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين
لها ثم يحمدوا عليها بألسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان
إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال
سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا
وقالوا إذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم
وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا يركب دابة فقال سبحان الذي سخر
لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد
أغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله تعالى ومحافظتهم
على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما
أحسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات
مقرنين مطيقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمة وأقرنت
ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وحقيقة أقرنه
وجده قرينته وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى
إلى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد

فإن قلت كيف اتصل بذلك قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون قلت كم من راكب
دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين
في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر
واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب
من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة ومنقلب
إلى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون
مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من
أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول
لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع
أنفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم
على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون إلا الشيطان
ولا يمتثلون إلا أوامره ولقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب
من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح إلا بعد ما اطمأنت به الدار فلم
يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به
في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة وجعلوا له من
عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم أي ولئن سألتهم عن خالق السماوات
والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات
المخلوقين ومعنى من عباده جزءا أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له
وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير
تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث وما هو
إلا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى
اشتقوا منه أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا إن أجزأت حرة يوما فلا
عجب ❊ زوجتها من بنات الأوس مجزئة ❊ وقرئ جزءا بضمتين لكفور
عامه للعوسج اللدن في أبياتها زجل

أي غنائم

سبحان الحليم المهمل الذي لا يعاجل بالعقوبة

مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل الكفران
كله أم اتخذ بل اتخذ والهمزة للإنكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم
حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين
وهو الإناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهن ولقد
بلغ بهم المقت إلى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة
فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم أنه آثركم
على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما وتنكير بنات
وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء
إناثا ويهب لمن يشاء الذكور بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي
جعله له مثلا أي شبها لأنه إذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه سبحانه وتعالى
فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم
نسبوا إلى الله سبحانه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت
لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب
أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت ما لأبي حمزة
لا يأتينا ❊ يظل في البيت الذي يلينا ❊ غضبان أن لا نلد البنينا ❊ ليس لنا من
أمرنا ما شينا ❊ وإنما نأخذ ما أعطينا والظلول بمعنى الصيرورة
كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على
أن في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم
قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه
ينشأ في الحلية أي يتربى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم
ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به
على من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال
يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة

مجاثاة

عليها وفيه انه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وانه من
صفة ربات الحجال فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويانف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش
كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وان اراد ان
يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة
بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء قد جمعوا في كفرة ثلث كفرات وذلك
انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين
هم اكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واستحقروهم وقرئ عباد
الرحمن وعبد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا
وانثى جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث وقرئ **اشهدوا**
وااشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآاشهدوا بالف بينهما وهذا
تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله
لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر
يوجب العلم فلم يبق الا ان يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن المشاهدة **ستكتب**
شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسألون وهذا
وعيد وقرئ سيكتب شهادتهم بالياء والنون وشهادتهم وشهاداتهم
ويسألون على يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم هما كفرتان
ايضا مضمومتان الى الكفرات الثلث وهما عبادتهم الملائكة من دون
الله وزعمهم ان عبادتهم بمشية الله كما يقول اخوانهم المجبرة **فان**
قلت ما انكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوا
جادين لكانوا مؤمنين **قلت** لا دليل على انهم قالوه مستهزئين وادعا
ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة
بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه اتخذ بنات واصفاهم بالبنين
وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن

الحجال ح

بلغ مقابلة وستكتب ح

ما عبدناهم ولو كانوا ناطقين بها على سبيل طريق الهزء لكان النطق
بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا
لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي ان يكونوا
جادين وتشترك كلها في انها كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير
وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت
هذه كلمة حق نطقوا بها هزؤا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم
ان هم الا يخرصون معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب
ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب به لانه لا يجوز تكذيب الناطق
بالحق جادا كان او هازلا **فان قلت** ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم
ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم
بمشية الله **قلت** تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول
الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك
كذب الذين من قبلهم الضمير في من قبله للقرآن او الرسول والمعنى انهم
الصقوا عبادة غير الله بمشية الله قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال
ام اتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا فحصل
لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل الحجة
لهم يستمسكون بها الا قولهم انا وجدنا اباءنا على امة على دين وقرئ امة
بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم اي
تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الآم وهو
القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة **على آثارهم مهتدون**
خبران او الظرف صلة لمهتدون مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم
فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه

مدحا خبر كان ح

قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من
دين آبائكم قالوا إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى
قرئ براء بفتح الباء وضمها وبريء فبريء وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر
كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء
منك والخلاء منك **الذي فطرني** فيه غير وجه أن يكون منصوبا على أنه استثناء
منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني فإنه سيهدين وأن يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن مما
تعبدون كأنه قال إنني براء مما تعبدون إلا من الذي فطرني **فإن قلت** كيف
تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة
لجميع الذوات فكانت مخالفة لجميع ما يعبدون والثاني أن الله سبحانه وتعالى غير معبود
بينهم والأوثان معبودة **قلت** كانوا يعبدون الله مع أوثانهم وأن تكون
إلا صفة بمعنى غير على أن ما في قوله ما تعبدون موصوفة تقديره إنني براء من
آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله
لفسدتا **فإن قلت** فما معنى قوله سيهدين على التسويف قلت لا بل ان على
استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجعلها وجعل إبراهيم صلوات الله عليه
كلمة التوحيد التي تكلم بها (وهي قوله) إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني **كلمة باقية**
في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده
لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد ونحوه ووصى بها إبراهيم بنيه
وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه
أي من عقبه أي خلفه بل متعت هؤلاء يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم
بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات
وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول
مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا
وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه إبراهيم وقرئ بل متعنا **فإن**

قلت فما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء قلت كأن الله تعالى اعترض
على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما
متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد
وأراد بذلك الإطناب في تعييرهم لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا
ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان لا أن يشركوا به +
ويجعلوا له أندادا فمثاله أن يشكو الرجل إساءة من أحسن إليه ثم يقبل على نفسه
فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك وإحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ
المسيء لا تقبيح فعله **فإن قلت** قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع
ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز
وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه
الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء
الحق فقال ولما جاءهم جاءوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو أن ضموا
إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب
الله وشرائعه والإصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير
محمد من أهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
وهي الغاية في تشويه صورة أمرهم وقرئ على رجل بسكون الجيم من
القريتين من إحدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ أي من أحدهما والقريتان
مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي
وحبيب بن عمرو الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة
بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان
الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي أو على أبي مسعود
الثقفي وأبو مسعود كنيته عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون أن يبعث
الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج أن الرسل لم يكونوا إلا رجالا

ثم أردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع

من أهل القرى، وأما الإنكار من وجه آخر وهو تحكمهم أن يكون أحد الرجلين
وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به، وأرادوا بعظم الرجل
رياسته وتقدمه في الدنيا، وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله
عظيما. **أهم يقسمون رحمة ربك** هذه الهمزة للإنكار المستقل
بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم، وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة
والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها، والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها
إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته، ثم ضرب لهم مثلا فأعلم أنهم عاجزون
عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم في دنياهم، وأن الله عز وعلا هو الذي
قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها، فلم يسو بينهم
ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش، وغاير بين منازلهم، فجعل منهم أقوياء
وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالي وخدما، ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم
ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا
ويصلوا إلى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم، ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم
تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا، وإذا كانوا في تدبير أمر المعيشة في الحياة الدنيا
على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير أمر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته
العظمى، وهو الطريق إلى حيازة حظوظ الآخرة، والسلم إلى حلول دار السلام
ثم قال **ورحمة ربك** يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه
من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا. **فإن قلت** معيشتهم
ما يعيشون به من المنافع، ومنهم من يعيش بالحلال، ومنهم من يعيش بالحرام
فإذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال. **قلت** الله تعالى قسم لكل
عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع، وأذن له في
تناولها، ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك في تناولها الطريق التي شرعها
فإذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله، وإذا لم

(هامش: معيشة خ)

١٦٦

يسلكها تناولها حراما وليس له أن يسميها رزق الله، فالله تعالى قاسم المعايش
والمنافع، ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم، وهو
عدولهم فيه عما شرع الله إلى ما لم يشرعه. **لبيوتهم** بدل اشتمال من
قوله لمن يكفر، ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا
لقميصه. وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف، وبضمهما جميعا جمع
سقف كرهن ورهن، وعن الفراء جمع سقيفة، وسقفا بفتحتين كأنه لغة
في سقف، وسقوفا، ومعارج ومعاريج، والمعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج
وهي المصاعد إلى العلالي. **عليها يظهرون** أي على المعارج يظهرون
السطوح يعلونها، فما اسطاعوا أن يظهروه، وسررا بفتح الراء لاستثقال
الضمتين مع حرفي التضعيف. **لما متاع الحياة الدنيا** اللام هي الفارقة
بين إن المخففة والنافية، وقرئ بكسر اللام أي للذي هو متاع الحياة الدنيا
كقوله مثلا ما بعوضة، ولما بالتشديد بمعنى إلا، وإن نافية، وقرئ
إلا، وقرئ وما كل ذلك إلا. لما قال خير مما يجمعون فقلل أمر
الدنيا وصغرها أردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا أن يكون
الناس أمة واحدة، أي ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا
لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقفا ومصاعد وأبوابا وسررا
كلها من فضة، وزخرفا، يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب، فنصب
عطفا على محل من فضة، وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو وزنت عند الله الدنيا جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
فإن قلت فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي تؤدي
إليها التوسعة عليهم من إطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا
وتهالكهم عليها، فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام
قلت التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما تؤدي إليه من الدخول

(هامش: ونصبها)

(هامش، خ: وجعلنا لهم زخرفا أي زينة من كل شيء، والزخرف الذهب والزينة، ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة وزخرف)

(هامش: في سعته — مثلا ما بعوضة)

الله من الاسلام اجل الدنيا والرحول في الدين اجل الرياسة من المنافقين فكانت
الحكمة فيما دبر حيث جعل في القرنين اغنيا وفقرا وغلب الفقر على الغنى
قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره
قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن
به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تأته
تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد اى تنظر اليها نظر
العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم
أعشو اذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر وقرئ يعشو
على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض
ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم
بكم عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اى يعرف انه
الحق وهو يتجاهل ويتعامى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض
له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا لهم قرناء
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقيض اى يقيض له الرحمن
ويقيض له شيطان فان قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان
في قوله وانهم ليصدونهم قلت لان من مبهم في جنس العاشي وقد
قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير
واحدين جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا العاشي وقرئ
جاءانا على ان الفعل له ولشيطانه قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد
المشرقين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران
فان قلت ثم بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل
محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين كما ينفع
الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم

في العذاب

جمع اعمى

لشدته وعنائه وذلك ان لكل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه
طاقته ولك ان تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك بعد
المشرقين على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني مباعدة القرين
وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل اى لن ينفعكم تمنيكم لان
حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين
في سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا
رأى الممنو بشدة من مني بمثل حاله وقوعه تنفس بعض كربه وهو
التأسي الذي ذكرته الخنساء وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه
بالتأسي فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه
فان قلت ما معنى قوله اذ ظلمتم قلت معناه اذ صح ظلمكم
وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين وذلك يوم
القيامة واذ بدل من اليوم ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة
اى تبين اني ولد كريمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد ويكد
روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على
الكفر وتماديا في الغي فانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم انكار تعجب
من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم واراد انه لا يقدر على ذلك منهم
الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله ان الله يسمع من يشاء
وما انت بمسمع من في القبور ما في قوله فاما نذهبن بك بمنزلة
لام القسم في انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى
فان قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم
فانا منهم منتقمون اشد الانتقام في الآخرة كقوله او نتوفينك فالينا
يرجعون وان اردنا ان ننجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل
بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم

المفترقين

اذا رأى يعني

قوله ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي ... الشاهد

بسبب التشبه في الكفر والضلال ثم اتبعه شيئا او عند بعد ابدا الدنيا والاخرة
وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذي اوحي اليك على البنا للفاعل وهو الله
عز وجل والمعنى وسوا علينا اكان لك الظفر والغلبة او اخرناه الى اليوم الاخر فكن
مستمسكا بالذي اوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه
الا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر
بامرهم الى شي من اللين والرخاوة في امرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا
ينشطه تنفيس ولا يثبطه تاخير **وانه** وان الذي اوحي اليك لذكر لشرف
لك ولقومك وسوف تسالون عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن
تعظيمكم له وشكركم على ان رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين ليس
المراد بسوال الرسل حقيقة السوال لاحالته ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم
والفحص عن مللهم هل جات عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبيا وكفاه
نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه
بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الاية في نفسها كافية
لا حاجة الى غيرها والسوال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السوال
على الحقيقة كثير منه مسالة الشعرا الديار والربوع والاطلال وقول
من قال سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها
ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع له
الانبيا ليلة الاسرى في بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك
ولم يسال وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التورية
والانجيل وعن الفرا هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سالهم فكانه
سال الانبيا ما اجابوه به عند قوله اني رسول رب العالمين محذوف
دل عليه قوله فلما جاهم باياتنا وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على
دعواه وابراز الاية اذا هم منها **يضحكون** اي يسخرون منها ويهزؤن بها

ويسمونها سحرا واذا للمفاجاة **فان قلت** كيف جاز ان يجاب لما باذا
المفاجاة **قلت** لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه
قيل فلما جاهم باياتنا فاجؤا وقت ضحكهم **فان قلت** اذا جاتهم اية واحدة
من جملة التسع فما اختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الايات **قلت** اختها
التي هي اية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على انها اكبر
من بقية الايات على سبيل التفصيل والاستقرا واحدة بعد واحدة كما تقول
هو افضل رجل رايته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رايتهم اذا قفوتهم
رجلا رجلا **فان قلت** فهو كلام متناقض لان معناه ما من اية من
التسع الا وهي اكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة
ومفضولة في حالة واحدة **قلت** الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات
بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشيا التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت
منازلها فيه التفاوت اليسير ان تختلف ارا الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم
هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رايت رجالا
بعضهم افضل من بعض وربما اختلف ارا الرجل الواحد فيها فتارة يفضل
هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسية ۝ من تلق منهم تقل لاقيت
سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري ۝ ولقد فاضلت الانمارية بين
الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت
ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين
طرفاها **لعلهم يرجعون** ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان
فان قلت لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يامره به ويطلب
منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وان لا
يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا
ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنين والطوفان والجراد وغير ذلك

التفضيل

وتعارب

التقارب تفاضيلها

الكلمة

يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه **فإن قلت** كيف سموه بالساحر
مع قولهم إننا لمهتدون **قلت** قولهم إننا لمهتدون وعد منوي إخلافه
وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم
العذاب ألا ترى إلى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون فما
كانت تسميتهم إياه الساحر بمنافية لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا
يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر **بما عهد عندك**
بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما
عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف
العذاب عمن اهتدى **ونادى فرعون في قومه** جعلهم
محلا لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها
بذلك فأسند النداء إليه كقوله قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون
عنده عظماء القبط فرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط
وكأنه نودي به بينهم فقال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار يعني أنهار
النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس
قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني
وبساتيني ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري نصب
على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم
الإشارة وتجري خبر للمبتدأ وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوى الربوبية
همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وأمر فنودي
بها في أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير
وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد أنه لما
قرأها قال لأولينها أخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن
عبد الله أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهي القرية التي

بن طاهر

حـ في سورة النور

حـ أي مع قولهم إننا لمختار الهدى على الضلال [illegible]

له ٤٩

حـ يتربع يتمكن

الدهماء جماعة الناس

الخصيب

افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه
أم أنا خير أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع
قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من
إنزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تكون منقطعة على بل أنا خير والهمزة للتقرير
وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري
الأنهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير ولا تكاد تبين
كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي من هذا الذي هو
مهين أي ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير ولا يكاد يبين الكلام لما به من
الرتة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به
وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الأنبياء
كلهم أبيناء بلغاء وأراد بالقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا
إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب مقترنين
إما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به وإما من تقارنوا بمعنى
تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات الله
عليه فوصفه بالضعف وقلة الأعضاد اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه
ربه وسوره وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره وقرئ أساورة جمع أسورة وأساور
جمع إسوار وهو السوار وأساورة على تعويض التاء من ياء أساوير وقرئ ألقي عليه
أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فاستخف قومه فاستفزهم
وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفزه من قولهم
للخفيف فز آسفونا منقول من أسف إذا اشتد غضبه ومنه الحديث في
موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي
وعدوا طورهم فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم
وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف أي فريق

حـ لأن الخصال [illegible] استخبر [illegible]

أآنا

أآنا

حـ قال أبو [illegible] عقر

حـ أساور جمع إسوار [illegible]

للمؤمن الكافر

قد سلف وسُلُفًا جمع سليف أي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة
للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم
لإتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا حديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون
به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا
شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال صلى
الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال خصمتك ورب الكعبة
ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى
يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد
رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله ~~صلى الله عليه وسلم قول الله~~ تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت
هذه الآية والمعنى لما ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه إذا قومك قريش منه من
هذا المثل يصدون ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه
من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم وضجيجهم
إذا تعبوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود أي من
أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة
وأنهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما وقالوا آلهتنا خير أم هو يعنون
أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فإذا كان عيسى من حصب النار كان
أمر آلهتنا هينا ما ضربوه أي ما ضربوا هذا المثل لك إلا جدلا إلا لأجل الجدل
والغلبة في القول لا لطلب التمييز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون
لُدّ شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك أن قوله تعالى
إنكم وما تعبدون من دون الله ما أريد به إلا الأصنام وكذلك قوله عليه

يا محمد ح

السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم إنما قصد به الأصنام ومحال أن يقصد
الأنبياء والملائكة إلا أن ابن الزبعرى بخبثه وجداله وجب رجليه لما رأى
كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد به أصنامهم
لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير
الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه سبحانه أن الذين سبقت لهم منا
الحسنى فدل به على أن الآية خاصة في الأصنام على أن ظاهر قوله وما تعبدون
لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن
أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله آلهتنا
خير أم هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة وما ضربوه
لك إلا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني آلهتنا خير أم هو إلا للجدل وقرئ آلهتنا خير
بإثبات همزة الاستفهام وبإسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنه خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أي جدلين وقيل لما نزلت
إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه
يستأهل أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى
يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم
بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء ويجوز أن يقولوا لما أنكر
عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا
منكرا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف
منهم قولا وفعلا فإنا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فقيل لهم
مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما
أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل وما عيسى إلا عبد كسائر
العبيد أنعمنا عليه حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا

أي ما ضربوه لك ح

لهم ح

أشف أي أفضل ... على هذا أشف أي فضل

أدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة وعجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو
نشاء لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال
ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من
غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا
تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وانه وان عيسى عليه
السلام لعلم للساعة اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول
العلم به وقرأ ابن عباس رضي الله عنه لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرئ
ابي رضي الله عنه لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم
به علما وفي الحديث ان عيسى عليه الصلوة والسلام ينزل على ثنية بالارض
المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة
وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح والامام يؤم بهم
فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه
وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى
الا من آمن به وعن الحسن ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم الساعة
لان فيه الاعلام بها فلا تمترن بها من المرية وهي الشك واتبعون واتبعوا
هداي وشرعي او رسولي وقيل هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقوله هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القرآن ان
جعل الضمير في وانه للقرآن عدو مبين قد بانت عداوته لكم اذ اخرج
اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور بالبينات بالمعجزات او بآيات
الانجيل والشرائع البينات الواضحات بالحكمة يعني الانجيل والشرائع فان
قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون
في الديانات وما يتعلق بالتكاليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته
والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من امر دينهم

الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى عليه السلام وهم اليهود والنصارى
فويل للذين ظلموا وعيد للاحزاب فان قلت من بينهم الى من يرجع
الضمير فيه قلت الى الذين خاطبهم عيسى عليه السلام في قوله قد جئتكم بالحكمة
وهم قومه المبعوث اليهم ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون
الا اتيان الساعة فان قلت اما ادى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون
فيستغني عنه قلت لا لان معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم
بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون ويجوز ان تأتيهم بغتة وهم
فطنون يومئذ متحابون تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين
في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة
الباقية المزدادة قوة اذا رأوا ثواب التحاب في الله والتباغض في الله وقيل
الا المتقين المجتنبين اخلاء السوء وقيل نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط
يا عبادي حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ والذين
آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى مضاف اي الذين صدقوا بآياتنا
وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا
وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي
فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين
وقرئ يا عباد تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على
وجوهكم كقوله سبحانه تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال
الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل
والكوب الكوز لا عروة له وفيها الضمير للجنة وقرئ تشتهيه
وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في
العيون وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر والتي اورثتموها
صفة او بما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظرف في التي تقع

الحبار الاثر

احبارا وفي الوجه الاول يتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها
بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها **منها تاكلون**
من للتبعيض اي لا تاكلون الا بعضها واعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار
ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها **لا يفتر**
عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص
حرها والمبلس اليائس الساكت سكوت يائس من فرج وعن الضحاك يجعل
المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى **هم**
فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها الظالمون
وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول
القائل [illegible] والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن
عباس رضي الله عنه ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار
عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم
وعظم ما هم فيه وقرأ ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار
ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى
سل ربك ان يقضي علينا **فان قلت** فكيف قال ونادوا يا مالك
بعد ما وصفهم بالابلاس قلت تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف
بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويغوثون
اوقاتا لشدة ما بهم **ماكثون** لابثون وفيه استهزاء والمراد
خالدون عن ابن عباس رضي الله عنه انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب
فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك **لقد جئناكم**
بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب ان يكون

حرر كما يقال هذا الامر اورثني الحزن ولا يعني به انه انتقل اليه

في قال ضمير الله لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك
كارهون لا يقبلونه وتنفرون منه وتشمئزون عنه لان مع الباطل الدعة ومع
الحق التعب **ام ابرموا** ام احكم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون
كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتسارون فيتناجون في امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم **فان قلت** ما المراد بالسر والنجوى قلت السر ما
حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم
بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا يريد الحفظة عندهم يكتبون ذلك وعن
يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا
يخفى عليه شيء في السماوات والارض فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات
النفاق **ان كان للرحمن ولد** وصح ذلك وثبت ببرهان
صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد
واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا
كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد
والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن
نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي
محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة
وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ان كان
الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من
يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه
نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق
المبالغة فيه من الوجه الذي ذكر مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب
اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية

النفاذ والإشباع [illegible] ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله
للحجاج حين قال له والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت
إلها غيرك وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف المليء
بالنكت والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل إن كان
للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم
بإضافة الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين
من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرأ
بعضهم عبدين وقيل هي إن النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من
قال بذلك وعبد ووحد وروي أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال إن
الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقني فقال له الوليد
بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن من ولد فأنا أول الموحدين
من أهل مكة أن لا ولد له وقرئ ولد بالضم للواو ونزه ذاته موصوفة
بربوبية السماوات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من
صفات الأجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره
فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم
وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب وإعلام
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون
البتة وإن ركب في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله
اعملوا ما شئتم وإيعاد بالشقاء في العاقبة ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك
علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم في طيء حاتم
في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو
جواد في طيء جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله
ومثله قوله تعالى وهو الله في السماوات وفي الأرض كأنه ضمن معنى
المعبود

أم

حسـ ومعصود الانفي محمد

أو المالك أو نحو ذلك والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم
ما أنا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا أن المعطوف داخل في حيز الصلة
ويحتمل أن يكون في السماء صلة الذي وإله خبر مبتدأ محذوف على أن الجملة
بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية والربوبية لا على معنى الاستقرار
وفيه نفي الآلهة التي كانت تعبد في الأرض ترجعون قرئ بضم
التاء وفتحها ويرجعون بالياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك
آلهتهم الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند
الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة
وإيقان وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز أن يكون
متصلا لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدعون
بالتاء وتشديد الدال **وقيله** قرئ بالحركات الثلاث وذكر في
النصب عن الأخفش أنه حمله على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله
وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من
ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما
بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده
علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل
بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى
من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع
على قولهم أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله إن هؤلاء
قوم لا يؤمنون جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب أو وقيله
يا رب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم فأعرض عن دعوتهم
يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام أي تسلم منكم
ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله والضمير

على

عطف على الساعة أي يعلم الحق أم القسم [illegible]

لرسوله

في وقلة ما دق لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستأمنا الله بفضله دفع
منه ونعطيهم لدعائه والتجائه لله عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان

مكية إلا قوله إنا كاشفوا العذاب قليلا الآية **وهي سبع وخمسون**
آية وقيل تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الواو في والكتاب واو
القسم إن جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر المبتدأ
المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسما بها وقوله إنا أنزلناه جواب
القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة
النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة
الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها
ليلة البراءة والصك أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة
كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل
هي مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل
الله إليه مائة ملك يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب
القبر والنار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد
الشيطان ونزول الرحمة قال صلى الله عليه وسلم إن الله يرحم أمتي في هذه
الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام
إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن
أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطي فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر
من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين

ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع إلا من شرد على الله شراد البعير
ومن دعا أنه هذه الليلة أي بين كما زعم من زيادة ظاهرة والقول الأكثر
أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم
لقوله تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر وقوله شهر رمضان
الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان **فإن قلت**
ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة
إلى سماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر فكان جبريل ينزله
على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما **فإن قلت** إنا كنا منذرين
فيها يفرق كل أمر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستأنفتان
ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله إنا أنزلناه في ليلة مباركة
كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا
إياه في هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه
الليلة مفرق كل أمر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل الله
فيها من الأمور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم
يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل
ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها
إلى الأخرى القابلة وقيل يبدأ في انتساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة
ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة
الحروب إلى جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال
إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك
الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقي على ألسنة
الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق
كل على البناء للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرئ نفرق بالنون على

رضى الله عنه نفرق بالنون **كل امر حكيم** كل شان ذى حكمة اى مفعول
على ما يقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب
الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرا من عندنا نصب على الاختصاص
جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة
بان قال اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا
وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر الذى هو ضد النهى اما ان يوضع
موضع فرقانا الذى هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من
حيث انه اذا حكم بالشى وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد
الضميرين فى انزلناه اما من ضمير الفاعل اى انزلناه آمرين امرا او من ضمير
المفعول اى انزلناه فى حال كونه امرا من عندنا لاجل الرحمة عليهم وان
يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعولا له وقد وصف
الرحمة بالارسال كما وصفها به فى قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده
اى يفصل فى هذه الليلة كل امر وتصدر الاوامر الصادرة من جهته
عز وعلا لان الغرض فى تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا
كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية
تقتضى الرحمة على المربوبين وفى قراءة زيد بن على رضى الله عنهما امر من عندنا
على هو امر وهى تنصر انتصابه على الاختصاص وقرا الحسن رحمة من ربك
على تلك رحمة وهى تنصر انتصابها بانها مفعول له **انه هو السميع
العليم** وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه
وقرئ رب السماوات وربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك **فان
قلت** ما معنى الشرط الذى هو قوله ان كنتم موقنين قلت كانوا يقرون
بان للسماوات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب
رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذى انتم مقرون به

ومعترفون بانه رب السماوات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان
كما تقول ان هذا انعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاءه ان
بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم فى شك
يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم ويقين ولا عن جد وحقيقة بل
هو قول مخلوط بهزء ولعب يوم تاتى السماء مفعول به من ارتقب يقال رقبته
نحو رقبته وانتظرته واختلف فى الدخان فعن على بن ابى طالب رضى الله عنه وبه
اخذ الحسن انه دخان ياتى من السماء قبل يوم القيمة يدخل فى اسماع الكفرة حتى يكون
راس الواحد منهم كالراس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض
كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق
الناس الى المحشر قال حذيفة رضى الله عنه يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما
وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضى الله عنه خمس قد مضت
الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى انه قيل لابن مسعود رضى الله
عنه ان قاصا عند ابواب كندة يقول انه دخان ياتى يوم القيمة فياخذ بانفاس
الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم
الرجل ان يقول لشى لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وساحدثكم ان قريشا لما استعصت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز
وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل الرجل
فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه
الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما

كشف عنهم رجعوا الى شركهم **بدخان مبين** ظاهر حاله لا يشك احد في
انه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة للدخان وهذا
عذاب الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون
منصوب على الحال اي قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم
العذاب انى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من
الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الادكار
من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات البينات
من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان
عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال
انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اي ريثما نكشف عنكم العذاب
تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع
والابتهال **فان قلت** كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم
القيمة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا **قلت** اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذ
بون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا
مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم
يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيمة كقوله
فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم **فان
قلت** بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا
يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرئ
نبطش بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى
او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر
ولقد فتنا بالتشديد للتاكيد او لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة
انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا لارتكابهم المعاصي

واقترافهم الآثام او ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على
الايمان او سلبهم ملكهم كريم على الله او على عباده المؤمنين او كريم
في نفسه لان الله سبحانه لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي
هي ان المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا
مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة معناه وجاءهم بان الشان
والحديث ادوا الي عباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الي
وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون
نداء على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي
واتباع سبيلي وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه
ورسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى في وجهيها اي لا تستكبروا على الله
بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبي الله سلطان مبين بحجة واضحة
ان ترجمون ان تقتلون وقرئ عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل
على انه يعصمه منهم ومن كيدهم وهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم
والقتل **فاعتزلون** يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من
لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوني كفافا لا لي ولا علي
ولا تتعرضوا الي بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك
ان هؤلاء بان هؤلاء اي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه **اللهم** عجل لهم ما
يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما
ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم
مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء
فاسر قرئ بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار
القول بعد الفاء فقال اسر بعبادي وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل
قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي يعني فاسر ببني اسرائيل فقد دبر

الله ان يقدموا ويتبعهم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين
الرهو فيه وجهان احدهما انه الساكن **قال الاعشى** يمشين رهوا
فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل اي مشيا ساكنا على
هينة اراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما
ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء
وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا
حصلوا فيه اطبقه الله عليهم والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض
العرب انه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحا
على حاله منفرجا انهم جند مغرقون بالغرق يعني انهم والمقام الكريم ما كان
لهم من المجالس والمنازل الحسنة ومن المنابر والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر
من الانعام ونعمة فاكهين وفكهين كذلك كان منصوب على معنى مثل ذلك
الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او في موضع الرفع على الامر كذلك
قوما آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل
كانوا متسخرين مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم
ملكهم وديارهم اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه
بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفي حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه
الا بكت عليه السماء والارض **وقال جرير** تبكي عليك نجوم الليل والقمرا
وقالت الخارجية ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع
على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع
والبكاء عليه وكذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من بكاء مصلى
المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفى ذلك
عنهم في قوله سبحانه فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم

في السماء

احسن القطامي

كان المناجاة في تلك الساعة

جرم اي دوستامن

رفع

كما قال بشار الشمس طالعة ليست بكاسفة

يعني انها كانت تبكي على الشمس الطلوع ويقول الواجب عليها ان تنكسف ويتكلم انقطاع

المناقبة بحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن
فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني
فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم
لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا من فرعون
بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم
واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون
وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله من فرعون من
عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس
رضي الله عنه من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة
قال من فرعون على هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله
في ذلك بقوله انه كان **عاليا من المسرفين** اي كبيرا رفيع
الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله ان
فرعون علا في الارض ومن المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا
للضمير في اخترناهم لبني اسرائيل وعلى علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة
وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط
منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على
الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم
مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة
او اختبار ظاهر **لننظر كيف تعملون** كقوله وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم هؤلاء اشارة الى كفار قريش **فان قلت** كان
الكلام واقعا في الحياة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حياتنا الاولى
وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين

وما معنى قوله ان هي الا موتتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة
اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى **قلت** معناه والله الموفق للصواب
انه قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة تعقبتها
حيوة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان تعقبها حيوة
الا الموتة الاولى دون الثانية الموتة وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من
تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله الا حياتنا
الاولى في المعنى يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فاتوا بآبائنا خطاب
للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم
ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى
حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب
ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون
هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه
ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها
وكان اذا كتب قال بسم الله الذي ملك باسم الذي ملك سحرا وبحرا دبرا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله
عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا ام غير نبي وعن ابن عباس رضي الله عنه
كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر
حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسا البيت وقيل
لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون
ويسمى الظل تبعا لانه يتبع الشمس **فان قيل** ما معنى قوله سبحانه اهم
خير ام قوم تبع قلت معناه اهم خير في القوة والمنعة كقوله تعالى

اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه
اهم اشد ام قوم تبع وما بينهما وما بين الحبشين وقرا عبيد بن عمير ميقا
تهم وقرى ميقاتهم بالنصب على انها اسم ان ويوم الفصل خبرها اي
ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل لا يغني مولى اي مولى كان من قرابة
او غيرها عن اي مولى كان شيئا من غنا اي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير
للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى الا من
رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا
من رحمه الله ويجوز ان ينتصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينتصر منه من
عصاه **الرحيم** لمن اطاعه قرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها
ثلث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة وروي انه لما نزل اذلك خير
نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد
والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم
به فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن ابي الدرداء
رضي الله عنه انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام
الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت
مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهو
ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة
تشهد على انه اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي
هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني والاغراض
ما لا يستقل باداية لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رحمه
الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي
بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة رحمه الله مثل قول صاحبيه في انكار
القراءة بالفارسية كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت

ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة
كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك
تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام **والحميم** الماء الحار الذي
انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو
أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي
وقرئ بكسر التاء وضمها إلى سواء **الجحيم** إلى وسطها ومعظمها **فإن قلت**
هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤوسهم
الحميم لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه **قلت** إذا صب عليه الحميم فقد
صب عليه عذابه وشدته إلا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله
صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله تعالى أفرغ علينا صبرا فذكر
العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون أهول وأهيب يقال ذق إنك
أنت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على
قومه **وروي** أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها
أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا
وقرئ أنك بمعنى لأنك وعن الحسن بن علي رضوان الله عليهما أنه قرأ به على
المنبر إن هذا العذاب أو إن هذا الأمر هو ما كنتم به تمترون أي تشكون أو تتمارون
وتتلاحون وقرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان
وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الإقامة
والأمين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف
به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه
من المكاره **قلت السندس** ما رق من الديباج **والإستبرق**
ما غلظ منه وهو تعريب استبره **فإن قلت** كيف ساغ أن يقع في
القرآن العربي المبين لفظ أعجمي **قلت** إذا عرب خرج من أن يكون عجميا

والتهكم

المنبر

استبره

أن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه
على أوجه الإعراب كذلك الكاف مرفوعة على الأمر كذلك أو منصوبة
على مثل ذلك أثبناهم وزوجناهم وقرئ بحور عين على الإضافة
والمعنى بالحور من العين لأن العين إما أن تكون حورا أو غير حور فهؤلاء من
حور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه بعيس عين
والعيساء البيضاء تعلوها حمرة وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت
وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت **فإن قلت** كيف استثنيت
الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها
قلت أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله إلا الموتة الأولى
موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب
التعليق بالمحال كأنه قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل
فإنهم يذوقونها وقرئ ووقاهم بالتشديد **فضلا من ربك** عطاء
من ربك وثوابا يعني كل ما أعطي المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار
وقرئ فضل أي ذلك فضل فإنما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة ومعناه
ذكرهم بالكتاب المبين فإنما يسرناه أي سهلناه حيث أنزلناه عربيا بلسانك
بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا **فارتقب** فانتظر ما يحل
بهم إنهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر **عن رسول الله**
صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك
وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة الجمعة أصبح
مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية وقيل ست

بسم الله الرحمن الرحيم

حم إن جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف
مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة لتنزيل وإن جعلتها

وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدا والظرف خبرا
إن في السموات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان
في خلق السماوات لقوله وفي خلقكم **فان قلت** علي ما عطف وما يبث
اعلى الخلق المضاف ام على الضمير المضاف اليه قلت بل على المضاف لان
المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت
بك وزيد وهذا ابو بكر وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا
مررت بك انت وزيد آيات لقوم يوقنون قرئ بالنصب والرفع على قولك
ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو في السوق واما قوله آيات لقوم يعقلون
فمن العطف على عاملين سوا نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما
ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب
في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتدا وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف
وقرى بن مسعود رضي الله عنه وفي اختلاف الليل والنهار **فان قلت**
العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد اباه سيبويه
فما وجه تخريج الآية عنده قلت فيه وجهان عنده احدهما ان يكون على اضمار في
والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود
والثاني ان ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضا المجرور معطوفا على ما
قبلها او على التكرير ورفعها باضمار هي وقرى واختلاف الليل والنهار بالرفع
وقرى آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرى وتصريف الرياح والمعنى
ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السماوات والارض النظر الصحيح علموا انها
مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا بالله واقروا فاذا نظروا في خلق
انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض
من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في
سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول

الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا
ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لانه سبب
الرزق تلك اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات آيات الله ونتلوها
في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى
الاشارة ونحوه وهذا بعلي شيخا وقرى يتلوها **بعد الله وآياته** اي بالبا
بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد
ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل احسن
الحديث وقرى يؤمنون بالبا والتا والافاك الكذاب والاثيم المتبالغ
في اقتراف الآثام يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على الانام
العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه **مستكبرا** عن الايمان بالآيات
والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر
بن الحارث وما كان يشتري من احاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع
القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله **فان قلت** ما معنى
ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت
ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب
الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى
ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعد ما راها وعاينها شي يستبعد في
العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من
تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها
واستكباره عن الايمان بها كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها
والضمير ضمير الشان كما في قوله كان ظبية تعطو الى وارق السلم
ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع واذا بلغه شي من
آياتنا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار

اراد به المعنى البياني تعريفا بالسابق من الآيات ما قدمت وما وسطت وما اخرت

وانه اذا احس بشي من الكلام انه من جملة الايات التي انزلها الله تعالى على محمد
صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزا بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزا بما بلغه
ويحتمل واذا علم من اياتنا شيا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجعله محملا
يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ ايات الله هزوا وذلك نحو
افتراص ابن الزبعرى قوله عز وعلا انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك
ويجوز ان يرجع الضمير الى شي لانه في معنى الاية كقول ابي العتاهية نفسي
بشي من الدنيا معلقة الله والقايم المهدي يكفيها حيث اراد عتبة
اوليك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين والورا اسم
للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال اليس ورايي ان تراخت
منيتي ادب مع الولدان ازحف كالنسر ومنه قوله عز وعلا من ورايهم
اي من قدامهم ما كسبوا من الاموال في رحالهم ومتاجرهم ولا ما اتخذوا
من دون الله من الاوثان هذا اشارة الى القران يدل عليه والذين
كفروا بايات ربهم لان ايات ربهم هي القران اي هذا القران كامل في الهداية
كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وايما رجل والرجز اشد
العذاب وقرى اليم بالجر والرفع ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص
على اللولو والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر
فان قلت ما معنى منه في قوله جميعا منه وما موقعها من الاعراب
قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشيا كاينة منه وحاصلة
من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه
ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر
لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدى قوله ما في السموات وما في الارض
جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدا ومنه خبره وقرى ابن عباس

رضي الله عنه منة وقرى سلمة بن محارب منه على ان يكون منه فاعل سخر
على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك او هو منه حذف المقول
لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا لا يرجون ايام
الله لا يتوقعون وقايع الله باعدايه من قولهم لوقايع العرب ايام العرب
وقيل لا ياملون الاوقات التي وقتها الله لثواب المومنين ووعدهم الفوز
فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر رضي الله
عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب
كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرا قاري هذه الاية فقال عمر رضي الله عنه
ليجزي عمر بما صنع وليجزي تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا
لما اراده الله من توفيتهم جزا مغفرتهم يوم القيامة فان قلت
قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين امنوا وهم معارف قلت
هو مدح لهم وثنا عليهم كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين
لصبرهم واغضايهم على اذى اعدايهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم
من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم
الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر رضي الله عنه ليجزي عمر
بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عند نزول الاية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرى ليجزي
قوما اي الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى
الجزا الكتاب التوراة والحكم والحكمة والفقه او فصل الخصومات
بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما احل الله
لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نوت غيرهم
مثل ما اتيناهم بينات ايات ومعجزات من الامر من امر الدين فما وقع بينهم الخلاف
في الدين الا من بعد ما جاهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا بغيا

بينهم اى لعداوة وحسد **على شريعة** على طريقة ومنهاج من الامر
من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء
الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع
الى دين آبائك ولا توالهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم واما المتقون
فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفضل بين الولايتين **هذا** القرآن
بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب
كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن
وايقن وقرئ هذه بصائر اى هذه الآيات أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها
انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اى
كاسبهم أن نجعلهم أن نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى
مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم
بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك
لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه
منطلق ومن قرأ سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم
على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم
ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اى سواء في محياهم وفي مماتهم
والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق
احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي
ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك
على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار أن
يستووا في الممات كما استووا في الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم
في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام
مستأنف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم

كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان
يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح يبكي
ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت ولتجزى معطوف على
بالحق لأن فيه معنى التعليل او على معلل محذوف تقديره وخلق السماوات والارض
ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت اى هو مطواع لهوى النفس
يتبع ما تدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة هواه
لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو احسن رفضه اليه فكأنه اتخذ
هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها وأضله **الله على علم**
وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه
ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة
والمقربة فمن يهديه من بعد اضلال الله وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث
وغشوة بالفتح والكسر وقرئ تذكرون نموت ونحيا نموت نحن ونحيا ببقاء اولادنا
او يموت بعض ويحيا بعض او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد ذلك
او يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها
وليس وراء ذلك حياة وقرئ نحيا بضم النون وقرئ الا دهر يمر وما يقولون
ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين وكانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي
هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بامر
الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى
اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر
فان الله هو الدهر اى فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وقرئ **حجتهم** بالنصب
والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره **فان قلت** لم سمي قولهم
حجة وليس بحجة قلت لأنهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها
فسمي حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب

مثل قوله وخيل قد دلفت لها بخيل
وقوله اسود شرى القتيل اسود غابٍ

فقولهم تحية بينهم ضرب وجيع ه كانه مثل ما حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد
نفي ان يكون لهم حجة البته **فان قلت** كيف وقع قوله قل الله يحييكم
جوابا لقولهم ايتوا بابائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا
الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله
عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك ما هو واجب الاقرار به
ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا
على ذلك كان قادرا على الاتيان بابائهم وكان اهون شيء عليه عامل النصب
في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم **جاثية** باركة مستوفزة
على الركب وقرى جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي
هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس رضي الله عنه جاثية
مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى
اول الحديث من دعى دعا الجاهليه فهو من جثى جهنم
الى كتابها وقرى كل امة على الابتدا وكل امة على الابدال من كل امة
اي صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون محمول على القول **فان**
قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل قلت الاضافة
للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة
فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال
عباده ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان
انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون اي نستكتبهم اعمالكم في رحمته
في جنته وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم الم
تكن اياتي عليكم والمعنى الم ياتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف
المعطوف عليه وقرى والساعة بالنصب عطفا على الوعد الرجوع

الحديث من دعا دعا الجاهليه فهو من جثى جهنم ٥

كم أمرٍ كان في خفضٍ وفي دعةٍ صبت عليه صروف الدهر من صببِ ٥

واسجد لقرد السوء في زمانه وداره ما دمت في سلطانه

دعا على الظالم اذا كان اخر الليل فاسبغ الوضوء ثم صل ركعتين وقل وانت ساجد اللهم ان فلان بن فلان قد اذاني فاسقم اللهم جسمه واقطع اثره وصل على محمد وعلى اله وسلم

قال معوية لعرابة بن اوس بما سدت قومك يا عرابة قال كنت أحلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو خير مني ومن قصر عني فانا خير منه نقلته من التصفية للامام يحيى حمزة عليهم